



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مع الأئمة الهداة

في شرح

الزيارة الجامعة الكبرى

تأليف

السيد عبد الحسين البزاز

جزء الأول

دار الكتب العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مع الاثمه الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره

كاتب:

آيت الله على حسينى ميلانى

نشرت فى الطباعة:

مركز الحقايق الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٩	مع الأئمه الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره المجلد ١
١٩	اشاره
١٩	اشاره
٢٣	كلمه المركز
٢٥	كلمه المؤلف
٢٧	المدخل
٢٧	اشاره
٢٩	معنى الزياره لغه وعرفاً
٣١	الأئمه أحياء
٣٣	زياره الأنبياء والأئمه زياره الله جلّ جلاله
٣٣	شبهه واهيه
٣٥	ما هو الغرض من الزياره؟
٣٦	لماذا كلّ هذا التأكيد على الزيارات؟
٣٨	معرفة الأئمه روائياً
٤٠	مقام الصالحين
٤١	الخلاصه
٤٢	آداب الزياره فى مدرسه أهل البيت
٤٣	أبرز الزيارات المنقوله
٤٥	الزياره الجامعه
٥٣	دراسه حول الزياره الجامعه الكبيره
٥٣	اشاره
٥٦	سند الزياره الجامعه
٥٧	المشايع الأربعه

٥٧	اشاره
٥٧	حكم الصدوق بصره أخبار كتابه
٥٨	«الصحیح» فی الاصطلاح
٥٩	ترصّی الصدوق علی مشایخه
٦٢	لا جرح للمشایخ الأربعة
٦٢	تعّدّد الرواه یوجب الوثوق
٦٣	استفاده الوثاقه من الترحّم
٦٤	بعض الروایات المرویه عنهم
٧٠	أبو الحسین الأسدی
٧٢	محمّد بن إسماعیل البرمکی
٧٢	موسی النخعی
٧٨	إستشهاد العلماء بالزیاره الجامعه
٨٢	شروح الزیاره الجامعه
٨٣	الزیاره الجامعه غنیّه عن السند
٨٥	الزیاره الجامعه فی كلمات الأکابر
٨٨	محضّله هذه الكلمات
٩٠	لا غلّو ولا تقصیر
٩٠	اشاره
٩٢	ما هم الغلو؟
٩٣	الغلو كما جاء فی الروایات
٩٤	الإعتدال بین الغلو والتقصیر
٩٧	كلام الشیخ المجلسی فی الغلّو
١٠١	المعرفه الحقیقیه
١٠٢	الخاتمه فی محاور الزیاره الجامعه
١٠٤	القسم الأوّل السلام علی الأئمّه علم ومعرفه
١٠٤	اشاره

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ١٠٨
- اشاره ١٠٨
- ما هو السلام؟ ١٠٩
- يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ١١٠
- اشاره ١١٠
- المقصود من «أهل البيت» ١١١
- لماذا أهل بيت النبوة؟ ١١٣
- استقرار وظائف النبوة في أهل البيت ١١٣
- نبوه الأنبياء السابقين ببركة أهل البيت ١١٤
- مشاركه أهل البيت في رساله النبي الأكرم ١٢١
- نبوه نبيتنا أول النبوات ١٢٤
- تقدمه في الخلق وهو نبي الأنبياء ١٢٨
- كون الإمام على معه هناك ١٣٣
- و مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ ١٣٥
- و مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ ١٣٦
- اشاره ١٣٦
- نزول الملك إلى الزهراء الطاهرة ١٣٦
- نزول الملائكة إلى الأئمه ١٣٧
- نزول الملائكة إلى قبور النبي والأئمه ١٣٧
- نزولها في ليلة القدر ١٣٨
- من روايات عرض الأعمال عليهم ١٤١
- قصه نادره ١٤٣
- و مَهْبِطَ الْوَحْيِ ١٤٤
- «الوحي» لغة ١٤٤
- نزول الملائكة بالمعارف الإلهيه ١٤٦
- الأئمه محدثون ١٤٦

- ١٤٧ وَ مُعْدِنِ الرَّحْمَةِ
- ١٤٧ «المعدن» لغه
- ١٤٩ الرحمة الإلهية
- ١٥٠ آيات في الرحمة الإلهية
- ١٥١ دور الأئمة في الرحمة الإلهية
- ١٥١ وَ خُزَانِ الْعِلْمِ
- ١٥١ اشاره
- ١٥٢ شأن العلم في الإسلام
- ١٥٣ الأئمة خزّان علم الله
- ١٥٤ خزّان علم الرسول
- ١٥٥ خزّان علم الكتاب
- ١٥٨ خزّان علم الغيب
- ١٥٩ إمامتهم وسيرتهم
- ١٦٠ قبج تقدم المفضول
- ١٦١ وَ مُنْتَهَى الْحِلْمِ
- ١٦١ اشاره
- ١٦١ الفرق بين الحلم والصبر
- ١٦٢ المراد من «المنتهى»
- ١٦٣ إشاره إلى حلم النبي
- ١٦٤ إشاره إلى حلم الأئمة
- ١٦٥ روايات في الحلم
- ١٦٦ وَ أَصُولَ الْكَرَمِ
- ١٦٦ «الأصل» لغه
- ١٦٧ «لكرم» لغه
- ١٦٨ وَ قَادَةَ الْأُمَّمِ
- ١٦٨ اشاره

- ١٦٨ الأُمم لُغَه
- ١٦٩ النبي والأئمة قادة الأنبياء
- ١٧٠ قادة الملائكة إلى العباده
- ١٧١ هم القاده في الآخرة إلى الجنة
- ١٧٢ رجوع الحكام إليهم في المعضلات
- ١٧٣ وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ
- ١٧٣ أقسام النعمه
- ١٧٥ وجود النبي والأئمة نعمه
- ١٧٦ ولايتهم نعمه
- ١٧٧ كلّ النعم بواسطتهم
- ١٧٩ وَ عَنَّا صِرَ الْأَبْرَارِ
- ١٧٩ «العنصر» و «البر» لغة
- ١٨٠ وجود الأئمة والأبرار من حقيقه واحده
- ١٨٢ النبي الأكرم والإمام على من نور واحد في روايات العامة
- ١٨٣ في رواياتنا
- ١٨٥ خلقه شيعتهم من طينتهم
- ١٨٧ الفرق بين «الشيعة» و «المحب» بحسب الروايات
- ١٩٥ الأئمة هم الأصل في بزّ الأبرار
- ١٩٦ وَ دَعَائِمِ الْأَخْيَارِ
- ١٩٦ اشاره
- ١٩٧ «الخير» مفهوماً ومصداقاً
- ١٩٨ على رأس كلّ خير: المعرفة والطاعة
- ١٩٩ معرفه الله وطاعته بالأئمة
- ٢٠٢ وَ سَاسَةَ الْعِبَادِ
- ٢٠٢ «السياسة» لغه
- ٢٠٣ المراد من «العباد»

- الأئمة ساسه البشر والملائكه ٢٠٦
- حق السائس بالتربيه والعلم ٢٠٨
- حق السائس بالملك ٢٠٩
- سياسه الأئمه ستتجلى فى عصر الظهور ٢٠٩
- وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ ٢١١
- «الركن» لغه ٢١١
- «البلد» لغه ٢١٢
- نكته قرآنيه ٢١٢
- وهنا مسائل ٢١٣
- الأئمه أوتاد الأرض ٢١٣
- هم العله لخلق الناس وبقائهم ٢١٤
- هم الأركان فى الهدايه والتزكيه والتعليم والمغفره ٢١٦
- أثر وجودهم للجنّ والحيوانات ٢١٨
- وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ ٢٢٠
- اشاره ٢٢٠
- «لايمان» لغه ٢٢١
- روايه فى الإيمان ٢٢٢
- «لايمان» هو «الدين» ٢٢٤
- الأبعاد الثلاثه لشخصيته الإنسان الكامل ٢٢٦
- على باب الدين ٢٢٧
- على باب حطه ٢٢٧
- باب السلم ٢٢٨
- على باب الفقه ٢٢٩
- على باب الجنه ٢٢٩
- على باب مدينه العلم ٢٣٠
- على باب الحكمه ٢٣٠

- ٢٣٠ على باب النبي
- ٢٣١ على باب الله
- ٢٣٢ على الباب المبتلى به الناس
- ٢٣٢ وَأَمَنَاءَ الرَّحْمَنِ
- ٢٣٢ «الأمانه» لغيره
- ٢٣٣ الغرض من جعل الأمانه
- ٢٣٤ إضافه «الأمانه» إلى «الرحمن»
- ٢٣٤ ما هو الملاك لهذا الائتمان
- ٢٣٤ إشاره إلى ما ورد في حفظ الأمانه وأدائها
- ٢٣٧ وَ سَلَالَةَ النَّبِيِّينَ
- ٢٣٧ اشاره
- ٢٣٨ لا يتوهم أفضلية النبيين من الأئمه
- ٢٤٠ وَ صُفُوهَ الْمُرْسَلِينَ
- ٢٤٠ اشاره
- ٢٤١ حديث في أنهم «الصفوه»
- ٢٤١ وَعِترَهُ خَيْرَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ٢٤١ «العترة» لغيره
- ٢٤٣ من الأحاديث في أن النبي وآله خيرهم رب العالمين
- ٢٤٥ ليس «العترة» مطلق الأقارب
- ٢٤٧ وَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ
- ٢٥٠ السَّلَامَ عَلَى أَتَمِّهِ الْهُدَى
- ٢٥٠ الهدايه من الله
- ٢٥١ الرسول هاد
- ٢٥١ القرآن هاد
- ٢٥١ أتمه أهل البيت هداه
- ٢٥٢ هدايه النبي وهدايه الإمام

- ٢٥٥ إشاره إلى قوله تعالى «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ . . .»
- ٢٥٦ وَ مَصَابِيحِ الدُّجَى
- ٢٥٦ اشاره
- ٢٥٧ الأئمة مصابيح الظلمات: ظلمه عدم
- ٢٥٧ ظلمه الشرك
- ٢٥٨ ظلمه الجهل
- ٢٥٨ ظلمه الفتنة
- ٢٦٠ ظلمه الذنوب
- ٢٦٢ وَ أَعْلَامِ التَّقَى
- ٢٦٢ اشاره
- ٢٦٢ «العلم» لغة
- ٢٦٣ «التقى» لغة
- ٢٦٣ الأئمة أعلام التقى بذواتهم وإرشاداتهم
- ٢٦٤ هم أعلام لكافة الناس
- ٢٦٤ وَ دَوَى النُّهَى
- ٢٦٤ «النهى» لغة
- ٢٦٤ روايات في أنهم أولى النهى
- ٢٦٧ وَ أَوْلَى الْحِجَى
- ٢٦٨ وَ كَهْفِ الْوَرَى
- ٢٦٨ «الكهف» لغة
- ٢٦٨ عموم «الورى»
- ٢٧١ كهف الملائكة
- ٢٧٢ علم الأئمة بلغات الحيوانات وحالاتها:
- ٢٧٣ قبورهم أيضاً «كهف الورى»
- ٢٧٤ «كهف الورى» فى المشكلات العلميه
- ٢٧٥ وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ

- ٢٧٥ اشارة
- ٢٧٥ الإرث فى اللغة
- ٢٧٦ الإرث فى الفقه
- ٢٧٧ الإرث فى القرآن
- ٢٧٨ موارىث الأنبياء وعموم الإرث
- ٢٨٢ إنفاق الأنبياء والأئمة ما يملكون فى سبيل الله
- ٢٨٤ وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى
- ٢٨٤ «لَمَثَلٌ» لَعْنَةٌ
- ٢٨٥ الأئمة مثل العلى الأعلى
- ٢٨٧ وَ الدَّعْوَةُ الْحُسْنَى
- ٢٨٧ اشارة
- ٢٨٨ الأئمة «دعوه»
- ٢٨٩ الأئمة «دعاه»
- ٢٩٠ معنى «الحسنى»
- ٢٩٠ وَ حُجِّجَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْأَجْرَةِ وَ الْأُولَى
- ٢٩٠ اشارة
- ٢٩٠ وجه الحاجه إلى إقامة الحجه
- ٢٩٢ مقتضى القاعده نصب الحجه ثم الاحتجاج به
- ٢٩٥ أما على أهل الدنيا
- ٢٩٦ أما على أهل الأولى
- ٢٩٧ وأما على أهل الآخرة
- ٢٩٧ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ
- ٣٠٠ السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ
- ٣٠٠ اشارة
- ٣٠١ من عرفهم فقد عرف الله
- ٣٠٤ وَ مَسَاكِينِ يَرْكَبُ اللَّهَ

- ٣٠٤ اشاره
- ٣٠٤ «البركه» لغه
- ٣٠٦ «المعدن» لغه
- ٣٠٧ «الحكمه» لغه
- ٣٠٨ الحقائق المحكمه عند الأئمه
- ٣٠٩ الحكمه من الله
- ٣١٠ الحكمه فى الروايات
- ٣١١ وَ حَفَظَهُ سِرِّ اللَّهِ
- ٣١١ اشاره
- ٣١١ ما ستره الله عن العباد محفوظاً عند الأئمه
- ٣١٣ أسروا ببعضها لأحدٍ من أصحابهم
- ٣١٥ وَ حَمَلَهُ كِتَابَ اللَّهِ
- ٣١٥ «الحمل» لغه
- ٣١٦ المراد من «كتاب الله»
- ٣١٧ حقائق القرآن عند الأئمه
- ٣١٩ وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ
- ٣١٩ «الوصى» لغه وشرعاً
- ٣٢٠ الوصايه عن النبى هى الإمامه من بعده
- ٣٢٤ الإمامه لا تنال الظالمين
- ٣٢٥ الأئمه أوصياء الرسول
- ٣٢٩ الوصى لقب أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣٣٠ حديث الثقلين وصيه النبى
- ٣٣٢ التصريح بالوصيه فى حديث التار
- ٣٣٤ من أحاديث الوصيه
- ٣٣٥ وَ دُرِّيَّهُ رَسُولَ اللَّهِ
- ٣٣٥ اشاره

- ٣٣٥ «الذريّه» لغّه
- ٣٣٧ الأئمه أولاد رسول الله وذريته
- ٣٣٩ الإمام الكاظم وهارون
- ٣٤١ إباء النواصب عن قبول الحقيقه
- ٣٤٢ قضيه الحجّاج مع يحيى بن يعمر
- ٣٤٤ إضافه «الذريّه» إلى «رسول الله»
- ٣٤٤ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ
- ٣٤٨ السّلام على الدّعاة إلى الله
- ٣٤٨ اشاره
- ٣٤٩ الأئمه هم الدعاه إلى الله
- ٣٥٠ من قضايا الأئمه في سبيل الدعوه إلى الله
- ٣٥٥ أساليب الأئمه في دعوه الناس
- ٣٥٦ كتاب الحجّاج إلى علماء عصره في القضاء والقدر
- ٣٥٧ وَ الْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاهِ اللَّهِ
- ٣٥٧ «الدليل» لغّه
- ٣٥٨ آيات في «مرضات الله»
- ٣٦٠ مبيت أمير المؤمنين ابتغاء مرضات الله
- ٣٦٣ الفرق بين «الداعي» و «الهادي» و «الدليل»
- ٣٦٣ الأئمه أدلاء في كلّ الأحوال
- ٣٦٥ وَ الْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ
- ٣٦٥ «الإستقرار» لغّه
- ٣٦٦ ما المقصود «بأمر الله» ؟
- ٣٦٨ وَ التّامّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ
- ٣٦٨ «التمام» لغّه
- ٣٦٨ «المحبّه» لغّه
- ٣٦٩ محبّه الأئمه لله غير معلّله

- ٣٧٠ يشترط تصديق المحبوب
- ٣٧١ حديث الزايه وحب الله علياً
- ٣٧٤ السز في إضافه «المحبه» إلى لفظ «لجلاله»
- ٣٧٤ وَ الْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ
- ٣٧٤ اشاره
- ٣٧٥ الإخلاص في العباده
- ٣٧٦ الإخلاص في التوحيد
- ٣٧٧ وَ الْمُظْهِرِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ
- ٣٧٧ اشاره
- ٣٧٧ طرق إظهارهم أحكام الله
- ٣٧٩ طرق أخذهم الأحكام
- ٣٨١ تفويض الأحكام إلى النبي والأئمه عليهم السلام
- ٣٨٧ من كلمات أعلام الطائفه
- ٣٩١ وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ
- ٣٩١ «العباد» لغة
- ٣٩٣ ١- عصمه الأئمه عليهم السلام
- ٣٩٤ ٢- علم الأئمه عليهم السلام
- ٣٩٤ ٣- عمل الأئمه وسلوكهم الإلهي
- ٣٩٥ ٤- شفاعه الأئمه عليهم السلام
- ٣٩٧ وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ
- ٤٠٠ السَّلَامَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الدُّعَاةِ
- ٤٠١ وَ الْقَادَةِ الْهُدَاةِ
- ٤٠١ اشاره
- ٤٠٢ المحتاج إلى الهادي لا يكون هادياً
- ٤٠٣ وَ السَّادَةِ الْوُلَاةِ
- ٤٠٣ اشاره

- ٤٠٣ إشارة إلى الولاية التشريعية
- ٤٠٥ وَ النَّادِهِ الْخَمَاهِ
- ٤٠٥ اشارته
- ٤٠٦ حفظ الدين وأهله
- ٤٠٧ وَ أَهْلِ الذِّكْرِ
- ٤٠٧ اشارته
- ٤٠٨ «الذكر» إنا القرآن وإنا النبي والأئمة أهله
- ٤١٠ ولعله مطلق «الذكر»
- ٤١١ وَ أُولَى الْأَمْرِ
- ٤١١ اشارته
- ٤١٢ «أولوا الأمر» في القرآن الأئمة المعصومون
- ٤١٤ وَ بَقِيَّةِ اللَّهِ
- ٤١٤ اشارته
- ٤١٤ الأئمة بقيه الله في الأمة
- ٤١٥ الأئمة خيرٌ للأمة
- ٤١٦ الإمامه باقيه في عقب الحسين عليه السلام
- ٤١٨ وَ خَيْرَتِهِ
- ٤١٨ النبي وأهل بيته خيره خلق الله
- ٤١٨ حزب الله في القرآن
- ٤٢٠ حزب الله في الروايات
- ٤٢٢ وَ عَيْبِهِ عِلْمِهِ
- ٤٢٣ وَ حُجَّتِهِ
- ٤٢٣ اشارته
- ٤٢٣ بعث الرسول ونصب الإمام شرط صحته المؤاخذة
- ٤٢٥ الإمام المهدي حجته الله
- ٤٢٧ وَ صِرَاطِهِ

- ٤٢٧ اشارة
- ٤٢٨ موجز الكلام على حديث أصحابي كالنجوم -
- ٤٣٠ ولايه على الصراط المستقيم
- ٤٣٢ استدلال المحقق الطوسي
- ٤٣٤ وَ نُورِهِ
- ٤٣٥ وَ بُرْهَانِهِ
- ٤٣٦ المحتويات
- ٤٤٥ تعريف مركز

عنوان و نام پديدآور: مع الأئمة الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبيره / تاليف السيدعلى الحسينى الميلانى.

مشخصات نشر: قم: مركز الحقائق الاسلاميه، ١٤٣٢ ق. = ١٣٩٠ -

مشخصات ظاهرى: ٤ ج.

يادداشت: عربى.

شابك: دوره ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٤٦-٠ : ؛ ٧٠٠٠٠٠ ريال : ج. ١ ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٤٧-٧ : ؛ ١٢٠٠٠٠٠ ريال : ج. ٢ ٩٧٨-٦٠٠-

٥٣٤٨-٧٩-٨ : ؛ ١٢٠٠٠٠٠ ريال : ج. ٣ ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٨٠-٤ : ؛ ج. ٤: ٩٧٨-٦٠٠-٥٣٤٨-٩٤-١

يادداشت: ج. ٢ (چاپ اول: ١٤٣٤ ق. = ١٣٩٢) (فيا).

يادداشت: ج. ٣ (چاپ اول: ١٤٣٥ ق. = ١٣٩٣).

يادداشت: ج. ٤ (چاپ اول: ١٤٣٧ ق. = ١٣٩٤) (فيا).

يادداشت: كتابنامه.

عنوان قراردادى: زيارتنامه جامعہ كبيره . شرح

موضوع: زيارتنامه جامعہ كبيره -- نقد و تفسير

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٧٧٧

رده بندى كنگره: BP٢٧١/٢٠٢: ح ٥٦ / ١٣٩٠

سرشناسه: حسينى ميلانى، سيدعلى، ١٣٢٦ -

شناسه افزوده: مركز الحقائق الاسلاميه

شماره كتابشناسى ملي: ٢٥٩٣٧٢٩

مع الأئمة الهداه فى شرح الزياره الجامعه الكبره

تاليف السيد على الحسينى الميلانى

ص: ٣

يسرّ مركز (الحقائق الإسلاميه) أن يقدّم إلى المكتبه الإسلاميه كتاب (مع الأئمه الهداه في شرح الزياره الجامعه) ، الذي أتحف به سيدنا الفقيه المحقق آيه الله الحاج السيد على الحسينى الميلانى -دامت بركاته- أهل الولاء للنبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم الصلاه والسّلام، فى محاضراتٍ متواصله ألقاها فى الحوزه العلميه بقم باللغه الفارسيه، فقام المركز بترجمتها إلى اللغه العربيّه، كما سيبادر إلى ترجمتها إلى اللغات الأخرى أيضاً، ليعمّ نفعها المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها إن شاء الله.

لقد شرح سيدنا الزياره الجامعه على ضوء آيات الكتاب الكريم والروايات المعتمده، وعلى أساس الأصول الثابته فى مباحث الإمامه فى علم الكلام، بما لم يسبقه أحدٌ فى هذا الباب فيما نعلم.

ولقد بذل الإخوه المحققون فى المركز جهداً كبيراً فى تصحيح الكتاب وإرجاع المطالب إلى المصادر الأصليّه وإخراجه منقحاً بقدر الإمكان، وسيقع فى أربعه أجزاءٍ مع الفهارس التفصيليه فى الجزء الأخير.

فإليكم الجزء الأول من هذا الكتاب، ومن الله التوفيق.

مركز الحقائق الإسلاميه

الحمد لله رب العالمين، والصّلاه والسّلام على سيّدنا محمد وآله الطّاهرين المعصومين، ولعنه الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين.

وبعد:

فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في الحديث المتفق عليه:- من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهليّة. . . .

وإنّ أفضل الطرق لمعرفة أحوال الشّخص هو دراسته سلوكه وأقواله إنّ كان صادقاً فيما يفعل ويقول. . . .

وإنّ الأئمّه الطّاهرين المعصومين صلوات الله عليهم أخبر من غيرهم بأنفسهم، وهم أصدق من حدّث عن خصائصهم ومنازلهم ومعالم شخصياتهم.

وإن التأمّل والتدبّر في زياراتهم الوارده عنهم صلوات الله عليهم معين غنى يوفّر لنا الفهم الأوسع لمقاماتهم وصفاتهم.

ولعلّ الزياره الجامعه الكبيره التي علّمها الإمام على الهادي صلوات الله عليه للشيعة، أجمع ما ورد عنهم في بيان مقاماتهم الشاميه ومنازلهم الرفيعه، ولذلك، اهتمّ بها علماؤنا الكبار قدّس الله أنفسهم عبر العصور تلاوةً وتدريساً وشرحاً.

ص: ٧

وقد طلب منى ثلّه من الفضلاء الأعزاء شرح هذه الزيارة المباركة المرويّه بإسنادٍ موثوق به، لكثرة فوائدها فى باب معرفه الإمامه والإمام، وحاجه الناس إليها فى عصر ظهر فيه أفراد يشككون فى مراتب الأئمه الطاهرين وعلو مقامهم، عن قصور منهم لإدراكها أو تقصير وتعمد.

فانتهزت فرص العطله فى الحوزه العلميه، وشرحت تلك الزيارة الشريفه بالاستعانه بآيات الكتاب الكريم، وبما روى عنهم صلوات الله عليهم فى كتب التفسير والحديث والفقّه، كما أوردت بالمناسبه كثيراً من أحاديث الجمهور المتعلقه بالموضوع.

ووضعت للبحث مدخلاً تعرّضت فيه لجمليه من المسائل الضروريّه، ثم قسّمت الزيارة إلى أقسام حسب المحاور الوارده فيه.

وبهذه المناسبه، ندعوا الباحثين عن مثل هذه الأمور الجليله، فى حوزاتنا العلميه وخارجها، إلى اعتماد منهج فهم المعصومين وما يتعلّق بهم صلوات الله عليهم من خلال كلماتهم النورانيّه ومراجعته سلوكهم الربّاني، والابتعاد عن التفسير بالرأى والترجيح بالظنون.

والله أسأل أن يعرّفنا نفسه عزّ وجلّ ويعرّفنا نبيّه صلّى الله عليه وآله والأئمه المعصومين من بعده، وأن يجعل هذا الكتاب وسيلهً لثبات أقدام المؤمنين ولهدايه من كان أهلاً لها إلى الحق المبين، والحمد لله ربّ العالمين.

علّى الحسينى الميلانى

١٤٣٢

ص: ٨

*الزياره لغه وعرفاً

*الأئمه أحياء

*زياره النبي والأئمه زياره الله

*شبهه واهيه

*ما هو الغرض من الزياره؟

*لماذا التأكيد على الزيارات؟

*معرفة الأئمه روائياً

*مقام الصالحين

*من آداب الزياره

*أبرز الزيارات المأثوره

*متن الزياره الجامعه.

معنى الزيارة لغةً وعرفاً

الظاهر أن «الزيارة» مصدر «الزور» بمعنى الميل والرغبة إلى طرف والعدول عن غيره، فقد ذكر ابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة) ما نصّه:

«الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول» (١).

ومن هنا جاءت كلمه «الزائر»، لأنّ من زار أحداً فقد مال إليه وعدل عن غيره. فإنّ من يقصد زياره الإمام عليّ بن موسى الرضا- عليه السّلام فهو في الواقع بمجرد قصده وخاصّةً في حين تشرفّه بالحضور في حرمة الشريف، قد مال إلى الإمام وعدل عمّن سواه وأعرض.

«وفي الدعاء: اللهم اجعلني من زوّارك» (٢).

توضيحه: إنه لما كان الله تعالى ليس بجسم، ولا يحويه مكان أو جهة خاصّة، فإن معنى هذا الدعاء هو: اللهم اجعلني ممّن يميل ويرغب بالتوجه إليك فقط.

وعندما يصبح العبد كذلك، يكون قد أعرض وعدل عمّا سوى الله تعالى، ومن اللّاجئين إلى ساحه قدسه العظيمه والطالبيين عونهُ دون غيره.

ص: ١١

١-١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٦. [١]

٢-٢) مجمع البحرين ٣/٣٢٠. [٢]

ويضيف الشيخ الطريحي صاحب (مجمع البحرين) بعد ذلك وحسبما جاء في المأثور:

«من فعل كذا فقد زار الله في عرشه» (١).

فما معنى «زار الله في عرشه»؟

لعله: أن من فعل ذاك الفعل المعين، يكون قد وُفق لأن يقصد الله ويتوجه إليه ويعرض عن غيره، فيختصه الله جلّ وعلا لنفسه، ويجعل رغبته وميله إليه دائماً ويحول بينه وبين الميل إلى من سواه.

وفي بعض الكلمات: أن الزيارة حضور الزائر عند المزور.

والحضور عند المزور تارة يكون بالقلب واخرى بالجسم وثالثة بالقلب والجسم، ومن الواضح أنّ الحضور بالقلب والجسم معاً هو الحضور المفيد المؤثر وبه تتحقق الزيارة الواقعيّة، بل المهمّ في تحقّقها-بمعنى التوجّه والميل والرغبة والعدول عن الغير-هو الحضور القلبي، وإنّ صدق عند العرف العام عنوان الزيارة على مجرد الحضور بالبدن، سواء كان هناك توجّه بالقلب أولاً، لا سيّما في زياره سائر الناس.

وممّا يؤكد ما ذكرناه، الروايات الواردة بزياره الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله والأئمّه الأطهار من بُعد، فلولا كون الملاك هو الحضور القلبي بالتوجّه التام والعدول والإعراض عن غير المزور عليه السّلام، لما صيّدق عنوان الزيارة على ما يقوله في خطاب المزور عن بُعد، ولما ترتبت الآثار المطلوبه من الأجر والحالات المعنويّه على تلك الزيارة، التي لا تحصل في كثير من الأحيان لكثير من

ص: ١٢

الأشخاص الذين يحضرون عند المزور بالأبدان.

وعلى الجملة، فإن المقصود من «الحضور» أولاً وبالذات هو الحضور القلبي عند المزور عليه السّلام، وكأنّ الحضور البدني مقدّمه محصّله لذلك، وإن كان للحضور البدني الصّرف أثرٌ بقدره بفضل الله ورحمته وكرمه.

كما أنّ هذا التوجّه والحضور القلبي سيكون مقدّمهً لحصول الارتباط المعنوي بالله وأوليائه والقرب منهم، بحيث إذا استمرّت حركته وتقدّم في مراتب القرب، أصبح ولا ميل له إلّا إلى الله سبحانه، ولا توجّه عنده إلّا لساحته المقدّسه، فيكون معرضاً عن كلّ ما سواه وتنقطع علقته عن كلّ شيء غيره، حتى يكون خالصاً في الله ليلبغ درجه «المخلصين»، وهذا هو المقام الذي يسعى له الموحّدون والهدف الذي ينشدون.

الأئمّه أحياء

ولابدّ هنا من الإشارة إلى ما نعتقده كما تدلّ عليه الآيات والروايات وغيرها من الأدلّه، من حياه الأنبياء والأوصياء والشهداء عند الله، وأنهم يعرفون زوّارهم ويعلمون بأمرهم، وينظرون إليهم. . . .

روى الشيخ ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات عن الصادق عليه السّلام في حديثٍ له حول سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال:

وإنه لينظر إلى زوّاره، فهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم، من أحدهم بولده. وإنه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول له: أيها الباكي، لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر مما

حزنت. وإنه ليستغفر له من كلِّ ذنبٍ وخطيئته (١).

وهذه عقيدته سائر الفرق من المسلمين أيضاً، ولذا يزورون قبور الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله، وقد أفرد بعض علماء الجمهور كالحافظ جلال الدين السيوطي هذه المسألة بالتأليف، ورووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيها أحاديث صريحه:

كقوله صلى الله عليه وآله: من زارني بعد وفاتي... (٢).

وقوله صلى الله عليه وآله: من سلم عليّ من عند قبري سمعته... (٣).

فهى عقيدته جميع الفرق إلّا شذمه عرفت بخروجها عن عقائد المسلمين وأتبع ابن تيمية الحراني وابن عبد الوهاب النجدي.

ولعلّ أفضل كلام فى الباب هو ما أفاده الشيخ المفيد البغدادي رحمه الله حيث قال:

وإنّ رسول الله والأئمّة من عترته خاصّة، لا يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم فى دار الدنيا بإعلام الله تعالى لهم ذلك، حالاً بعد حال، ويسمعون كلام المناجى لهم فى مشاهدتهم المكرّمه العظام، بلطيفه من لطائف الله تعالى بينهم بها من جمهور العباد، وتبلغهم المناجاة من بُعد، كما جاءت به الرواية (٤).

ص: ١٤

١-١) كامل الزيارات: ٢٠٦، [١] أمالي الطوسى: ٥٥. [٢]

٢-٢) كامل الزيارات: ١٣. [٣]

٣-٣) بحار الأنوار ١٠/٤٤١. [٤]

٤-٤) أوائل المقالات: ٧٢. [٥]

زياره الأنبياء والأئمه زياره الله جل جلاله

وأورد شيخنا الصدوق-رحمه الله-فى كتاب من لا يحضره الفقيه حديثاً عن المعصوم-عليه السلام-يوثق ما أثبتناه آنفاً وهو قوله:

«زياره الله تعالى زياره أنبياءه وحججه، من زارهم فقد زار الله - عز وجل -» (١).

ذلك، لأن «من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، ومن تابعهم فقد تابع الله-عز وجل-» كما فى الحديث (٢).

إنه ارتباط وثيق بين الله تعالى من جانب، وبين النبى الأكرم-صلّى الله عليه وآله-وأهل بيته من جانب آخر. وإن العبد الذى يريد زياره الله تعالى-كما تقدّم فى معنى الزياره-يتحتم عليه زياره النبى الأكرم-صلّى الله عليه وآله-والأئمه الأطهار -عليهم السلام-وهذا يلزمه أن من يتوجه إليهم ويعدل عن غيرهم، فقد توجه إلى الله تعالى وأعرض عمّن سواه.

شبهه واهيه

وبناءً على ما تمّ بيانه، فإن زياره الأئمه الأطهار-عليهم السلام-هى زياره «حقيقته» لله تعالى، ولا مجال لإعتبارها زياره مجازيه البته. لكن أحد المعاصرين ادعى فى كلام له نُشِرَ فى إحدى المجلّات:- «إن زياره الأئمه ومحبتهم أو عشقهم-حسب تعبيره-هو عشق مجازى وليس حقيقياً، لأنّ العشق الحقيقى لله

ص: ١٥

١-١) من لا يحضره الفقيه ٢/٩٣.

٢-٢) من لا يحضره الفقيه ٢/٩٣.

تعالى ولا غير» .

وهو ادعاءٌ يخالف كل ما بين أيدينا من الروايات والأدلة الواضحة الدلالة والمناديه بأعلى صوتها بأن زياره الإمام الحسين، والإمام علي بن موسى الرضا وغيرهما عليهم الصلاة والسلام زياره الله حقيقه، لا يوجد فيها مجاز، ولا تحتمل ذلك، لأن الرابطه بين الله-عز وجل- وبين الأئمه الطاهرين مبيته على أساس حقيقى ينعدم فيها المجاز، وقد عرفنا أن الزياره هى الميل والتوجه والرغبه والإعراض والعدول عن الغير.

وهل حب آل محمد عليهم السلام غير حب الله تعالى؟

وهل طاعتهم غير طاعته سبحانه؟

وهل عصيانهم والتمرد على أوامرهم لا يعنى عصيان الله تعالى والتمرد عليه؟

وهل أن إتباعهم وإلتزامهم لا يؤديان إلى إتباع والتزام الله تعالى؟

كيف يكون ذلك والروايه التى أوردها الصيّدوق صريحه: «زياره الله تعالى زياره أنبياءه وحججه، من زارهم فقد زار الله-عز وجل-» (١).

وهذه قضيه واقعيه وحقيقته ليس فيها مجاز، فطاعتهم طاعه الله وعصيانهم عصيانه، وهى عقيدته وقاعده.

وخلاصه الكلام أن المراد من الزياره هو التوجه والميل، وهذا الميل ملازم للعدول والإعراض عن غير الله.

وعلى هذا الأساس، فزياره النبى الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمه

ص: ١٦

الأطهار، والميل إلى الإمام صاحب الزمان عليه الصّلاه والسّلام، هو ميل إلى الله تعالى حتماً وزياره لله جزءاً.

وعلى ما تقدّم، فإن معنى الزيارة لغويّاً، يتطابق مع معناها قرآنيّاً (1) وروائيّاً. وليس هناك تباين بين ما أراه الشارع المقدس من مفهوم الزيارة وتعلّق به غرضه من تشريعها، وما يعنيه المعنى اللّغوي.

ما هو الغرض من الزيارة؟

من خلال معنى الزيارة الذي أوضحناه آنفاً، يتوضح الغرض الديني والحكمه من تشريع من زياره الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله والأئمّه المعصومين عليهم السّلام، وما تستلزمه من مشقه السفر إليهم، وبذل الأموال وصرف الأوقات. ويتبين أيضاً السرّ من كلّ هذا التأكيد على زيارتهم، خاصّه زياره سيدالشهداء أبي عبدالله الحسين في كربلاء، والإمام عليّ بن موسى الرضا في ايران.

إننا لا نولي اهتماماً لتخرصات وتزّهات الوهابيه في مسأله زياره القبور والتوسّل بالنبي وآله والأولياء الأبرار، رغم أننا-ومن خلال عرضنا للبحوث القادمه-سنردّ عليها، إلّا أن بحوثنا ستتركز حول ما جاء عن أئمتنا عليهم السّلام في هذا المجال.

فالهدف من هذه الزيارات هو التوجّه إلى الرسول وآل بيته-عليهم السّلام- والحضور في ساحاتهم المقدّسه حضوراً قلبياً، والإقرار لهم بالسّير على نهجهم

ص: ١٧

(١-١) للاطلاع، يراجع كتاب المفردات في غريب القرآن، مادّه «زَوَرَ» .

وإلتزام خطّهم، والعدول والإعراض عن سبيل ومناهج غيرهم. وهذا في حدّ ذاته زيارة لله تعالى ووقف النفس لخدمته سبحانه والقصد إليه وحده لا- شريك له، وهو ما يستبطن العدول عن غيره. وهذا المعنى جليّ جدّاً في أدبيات آداب الزيارة للمراقد الطاهرة لأهل البيت-عليهم السّلام-والوارده في كتب الأدعية والزيارات كقول الزائر مخاطباً ربّه جلّ وعلا:

«اللهم إنك أكرم مقصود، وأكرم مأثي، وقد أتيتك متقرّباً إليك بابن بنت نبيّك» (١).

ويؤيد ما قلناه بشكل أوضح، العبارة التالية التي وردت في طلب إذن الدخول للمراقد الطاهرة:

«الحمد لله الذي منّ علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان» (٢).

وهذا هو الهدف المرجو.

لماذا كلّ هذا التأكيد على الزيارات؟

وبما ذكرنا يظهر الجواب عمّا لو طرح السؤال فيما يخصّ زيارة النبي والأئمّة الأطهار، وخاصّه الإمام الحسين عليه السّلام، بأنه لماذا هذا التأكيد على زيارته عليه السّلام في المراسم والمناسبات المختلفة وفي كلّ ليله جمعه؟

وما هو السرّ في الحثّ على تكرار ذلك؟

وما الهدف من الذهاب إلى كربلاء؟

ص: ١٨

١-١) بحار الأنوار ٩٩/١٤. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٩٩/١١٥. [٢]

لأنه إذا زار الإمام مرّه حصل له التوجه والارتباط به والعدول عن غيره بقدرها، فإذا ما تكررت الزيارة فستنشأ في الزائر ملكة نفسانيه وتتأصل في قراره نفسه حقيقه واقعيه-شاء أم أبى-تجعله مريداً لله ولحججه الأئمه الأطهار معرضاً عن غيرهم بالكلية.

بعبارة أخرى، تنمو في الزائر-بفعل الزيارة-سلوكيه الإنقطاع عن الغير، وتتكسّر هذه السلوكيه بتكرار الزيارة حتى يتمخض محضاً، ليصل إلى درجه لا يلهيه فيها أى مالٍ ولا يشغله أى جاهٍ ولا تخيفه أية قوه مهما بلغت.

أجل، فالإنسان بحاجة إلى هذه الدرجه من الإيمان؛ نظراً لما يحيط به من مخاطر تهدّده بالعدول-ولو عدول وقتى-قد يعتريه حيال أدنى خوفٍ من أحدٍ، أو طمع بمغريات الحياه أو تبهره هيبه الوجاهات فتقلل من ارتباطه وميله لإمامه ووليّه.

إذن، فتكرار الزيارة والمداومه عليها والحضور عند النبي والأئمه المعصومين-عليهم السلام-سيوجد في الزائر حاله من الإنقطاع إلى المولى المعصوم، والإنقطاع عن غيره، وقد عرفنا أن هذه الحاله مع الإمام هي في الحقيقه مع الله ورسوله، وإذا ما صار هذا الإنقطاع مستقرّاً في نفسه، فستحلّ فيه حاله الإطمئنان وما أعظمها من درجه! حيث سيكون من شأن هذا الإطمئنان أن يمنحه مناعه قويّه تحول بينه وبين العدول عن الله ورسوله وأئمتّه الطاهرين والإنحراف عن ولايتهم.

ورغم معرفتنا للأئمة الأطهار عليهم السّلام-كلٌّ مِنّا بمقدار وسعه الفكرى وفهمه وإدراكه-إلّا أن هذا الأمر قد حاز على أهميته وتأكيدات خاصّه، فيما ورد من روايات فى معرفة الأئمة. ففى الكافى:

قال زراره: «قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أخبرنى عن معرفة الإمام منكم واجبه على جميع الخلق؟

فقال عليه السّلام:

إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجّه لله على جميع خلقه فى أرضه، فمن آمن بالله وبمحمّد رسول الله وأتبعه وصدّقه، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبه عليه» (١).

فلما كان هذا التأكيد على أن معرفة الإمام واجبه على كلّ واحدٍ منّا، تعيّن علينا طلبها، وإذا كانت لدينا تلك المعرفة وجب علينا إستزادتها. ولما كانت الزيارة تستتبع المعرفة، فلا بُدّ-حيثُ-من الالتزام بهذه الزيارات وخاصّه المأثوره منها عنهم، لأنها بمثابة المقدّمه لهذا الأمر الواجب.

وعن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول:

«إنما يعرف الله عزّ وجلّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت. ومن لا يعرف الله عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت، فإنما يعرف ويعبد غير الله» (٢).

ص: ٢٠

[١-١] الكافى ١/١٨١. [١]

[٢-٢] الكافى ١/١٨١. [٢]

وحسب هذه الروايه اللطيفه، إن لم تكن هناك معرفه بالأئمه، فستكون العباده لغير الله. من هنا تجب معرفه الأئمه لكى تتحقق عباده الله تعالى. ولما كانت الزياره مقدمه للمعرفه وتكرارها زياده فى هذه المعرفه، وجب علينا زياره الأئمه عليهم الصلاه والسلام.

ولعله على هذا الأساس، أفتى فقهاؤنا أن زياره سيدالشهداء الحسين عليه السلام واجبه للمستطيع ولو مرّه واحده فى العمر. ولذلك نجدهم لم يمنعوا من زياره الأئمه والذهاب إلى كربلاء فى الأزمنه السابقه، رغم مشقه المسير وخطوره الطريق، بل شجّعوا على هذا الأمر ودعوا إليه، لأن فى ذلك زياده فى معرفه الإمام التى هى عين عباده الله تعالى. وقد أورد الشيخ الجليل ابن قولويه فى كتاب كامل الزيارات روايات كثيره فى هذا الباب.

وفيما يخص هذه المعرفه، نقرأ روايه اخرى عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: «إنكم لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا حتى تصدقوا، ولا تصدقوا حتى تسلّموا» (١).

ومن الجدير بالذكر: ورود هذا المعنى فى كتب أهل السنّه بطرقهم، فقد روى الحافظ الطبرانى بسنده عن الإمام الحسن السبط عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: والذى نفسى بيده لا ينفع عبد عمله إلا بمعرفه حقنا (٢).

ص: ٢١

١-١ (١) الكافى ١/١٨٢. [١]

٢-٢ (٢) المعجم الأوسط ٣/١٢٢.

واستناداً للرواية المذكورة عن الإمام الباقر إذ قال: «لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا»، يمكننا أن نعرف مقام الصالحين الذي يطمع الأنبياء ويتضرعون إلى ربهم ويدعونه لأن يرفعهم إليه ويوصلهم إلى مصاف الصالحين، فيقول سيدنا إبراهيم عليه السلام:

«رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ اَلْحِقْنِي بِالصّٰلِحِيْنَ» ١.

ويقول يوسف عليه السلام:

«تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَ اَلْحِقْنِي بِالصّٰلِحِيْنَ» ٢٢.

إن هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات والروايات تدلّ على عظمه مقام الصالحين وجلالته، بحيث يدعو الأنبياء والأولياء ويطلبون الوصول إليه، والرواية أفادت أنه لا يكون أحد من الصالحين إلّا بالمعرفة، فكانت المعرفة شرطاً لبلوغ هذا المقام.

ولكننا قد علمنا-مما تقدّم على ضوء الروايات المعتبرة-أن لزياره النبي وآله المعصومين دخلاً في حصول المعرفة، وأنها تتدرج من زيارتهم والخضوع لهم والتوسّل بهم.

فظهر أنّ لزياره أهل العصمة دوراً في الوصول إلى مقام الصالحين.

ولعله يشهد بذلك، ما ورد في زياره الأنبياء للحسين عليه السلام، كما في الخبر عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ليس نبيّ في

السموات إلويسأل الله تعالى أن يأذن لهم في زياره الحسين، ففوج ينزل وفوج يصعد» (١).

بل إن للنبي والأئمة عليهم السلام دخلاً في كل شيء، ولنقرأ هذه الروايه التي رواها الشيخ الكليني في الكافي في أبواب معرفه الإمام عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سببٍ شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علمٍ باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن» (٢).

الخلاصه

أنّ الزائر المؤمن عندما يحضر لزياره الأئمة عليهم السلام-سواء كان هذا الحضور بالجسم والروح أو حضوراً روحياً من خلال الزياره عن بعد-فإن من آثار هذا الحضور الوصول إلى مقام التسليم لله تعالى وللرسول وأهل بيته عليهم السلام، وينقطع إليهم ويعدل عن سواهم.

وهذا المقام يتحقق بتكرار الزياره بالمعنى الصحيح، وإن كان البعض من المؤمنين يصلون إليه ببركه زياره واحده.

وإن زياره المعصومين عليهم السلام زياره لله عزّ وجلّ، كما في الروايه، وهي-كما تقدّم-عبارة عن الميل والتوجه والرغبه، والعدول والإعراض عن الغير، فمن توجه إليهم ورغب فيهم فقد توجه إلى الله وعدل عن غيره.

ص: ٢٣

١-١) كامل الزيارات: ٢٢٠/الباب ٣٨. [١]

٢-٢) الكافي ١/١٨٣. [٢]

وقد تقدّم أيضاً أن الزيارة تتحقّق بالحضور البدني وحده كما تتحقّق بالحضور القلبي كذلك، وبالحضور القلبي والبدني معاً، ولا ريب في أن المهمّ هو الحضور القلبي، فإن كان مع البدن كان أفضل.

آداب الزيارة في مدرسه أهل البيت

ولم تقتصر روايات مدرسه أهل البيت-عليهم السّلام-على الحثّ الأكيد على الزيارات، خاصّه تلك التي لا شك في صدورها عنهم، بل ذهبت أعمق من ذلك لتربيته أتباعهم بالالتزام بذلك، فرسمت لهم مساراً خاصاً وآداباً ينبغي مراعاتها، وأعطوها صفه آداب الزيارة، حيث يتعيّن على الزائر المؤمن الذي يروم زيارته النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله والزهراء والأئمّه الأطهار عليهم السّلام طلباً للزّلفه والكرامه لديهم، أن يهياً نفسه ظاهرياً وباطنياً للحضور عندهم وتأديه التحيه والسّلام عليهم، وهم قد وضعوا هذه الآداب لطفاً منهم بنا، لمزيد الاستفاده من آثار الزيارة وبركاتها الماديّه والمعنويّه.

فمن هذه الآداب:

١-الغسل قبل السفر.

٢-ترك الكلام بالباطل والجدال والخصام في مدّه السفر للزياره.

٣-غسل آخر قبل الدخول في الروضه المطهّره للزياره.

٤-إرتداء الملابس النظيفه والطاهره.

٥-قصر الخطى في المسير للزياره.

ص: ٢٤

ولا يخفى أن هناك زيارات كثيره لأئمتنا الطاهرين ذات مضامين عاليه قد صدرت عنهم عليهم السّلام، إلّا أن من بينها عدّه زيارات قد حازت فى الأوساط السديتيه على اهتمام أكثر، وتناولتها أقلام علمائنا الأعلام بالشرح والتحقيق منذ قديم الأيام، وهى الزيارات التاليه:

١- زياره أمير المؤمنين عليّ -عليه السّلام- فى يوم غدير خم.

حيث احتوت هذه الزياره على سلسله من المعارف الرفيعه، والحقائق الاعتقديه الثّره، والمستمدّه من آيات الكتاب العزيز وما قاله الرسول الأعظم بحقّ مولانا أمير المؤمنين، ممّا يدلّ على أفضليته نقلاً وعقلاً من سائر الخلائق أجمعين بعد النّبىّ الأمين صلّى الله عليه وآله.

٢- زياره عاشوراء

وهى التى يُزار بها الإمام الحسين -عليه السّلام- فى يوم عاشوراء ثم فى سائر الأيام، ولها آثار وبركات عظيمه، وقد جزم عظماءنا بقطعيه سندها، حتى أن الفقيه الورع الشيخ خضر بن شلال قال: أنه قد يكون المنكر لها خارجاً عن المذهب (١). لذلك كانت هذه الزياره محطّ اهتمام علماءنا العظام والمؤمنين بمختلف طبقاتهم، ولا تزال، وكيف لا يكون الأمر كذلك؟ وهى التى تمنح من يواظب على قراءتها معرفه بالإمام الحسين والأئمّه المعصومين عليهم السّلام - وتزيده ولاءً لهم، وانزجاراً من أعدائهم، إذ لا معنى للولاء من دون البراءه من الأعداء كما سيظهر إن شاء الله.

ص: ٢٥

١- (١) أبواب الجنان: ٤٠٥ للفقيه الورع الشيخ خضر بن شلال المتوفى سنه ١٢٥٥.

وهذه الزيارة خاصه للتوجه والتوسل والإرتباط بصاحب الساحة المقدسه ولي العصر والزمان-عجل الله تعالى فرجه الشريف- ولها في هذا المجال بالغ الأثر.

٤-الزيارة الجامعه لأئمه المؤمنين-عليهم السلام-وهي المعروفة بالزيارة الجامعه الكبيره.

وإن كل واحد من هذه الزيارات بحاجه إلى شرح وافٍ، بتبيين دقائقها وكشف اللثام عن حقائقها.

والكتاب الذي بين أيدينا هو رؤيه جديده لشرح وتوضيح الزيارة الجامعه، نابعه عن تحقيق ودراسه متبصره في مضامينها المتعاليه ومفاهيمها الرفيعه، تفتح طريقاً وضاءً لمعرفة مقام وعظمه أهل البيت عليهم السلام، ليتسنى للمحققين وسائر طلاب الحقيقه التزام صراطهم المستقيم، وسلوك نهجهم الواضح.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَ مَوْضِعِ الرَّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ وَ مَهْبِطِ الْوَحْيِ وَ مَعْدِنِ الرَّحْمَةِ وَ خَزَانِ الْعِلْمِ وَ مُنْتَهَى الْجِلْمِ
وَ أَصُولِ الْكِرَامِ وَ قَادَةَ الْأُمَمِ وَ أَوْلِيَاءِ النَّعْمِ وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَ دَعَائِمَ الْأَخْيَارِ وَ سَاسَةَ الْعِبَادِ وَ أَرْكَانَ الْبِلَادِ وَ أَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَ أُمْنَاءَ
الرَّحْمَنِ وَ سِدَالَه النَّبِيِّينَ وَ صِيْفُوهُ الْمُؤَسِّلِينَ وَ عِثْرَةَ خَيْرِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى وَ مَصَابِيحِ
الدُّجَى وَ أَعْلَامِ التُّقَى وَ ذَوَى النُّهَى وَ أَوْلَى الْحَجَى وَ كَهْفِ الْوَرَى وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى وَ الدَّعْوَةِ الْحُسَيْنِيَّ وَ حُجَجِ اللَّهِ
عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأَوْلَى وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَ مَسَاكِينِ بَرَكَهِ اللَّهِ وَ مَعَادِنِ حِكْمِهِ اللَّهِ وَ
حَفَظِهِ سِرِّ اللَّهِ وَ حَمَلِهِ كِتَابِ اللَّهِ وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَى
الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَ الْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاهِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَقَرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَ التَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَ الْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ الْمُطَهَّرِينَ
لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

وَرَحْمَهُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتِهِ السَّلَامُ عَلَى الْاَنْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهٰدِيَةِ وَالسَّادَةِ الْوٰلِيَةِ وَالذَّادَةِ الْحَمَاهِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ
اللّٰهِ وَخَيْرِيَّتِهِ وَحَزْبِهِ وَعَيْبِهِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ وَرَحْمَهُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ كَمَا شَهِدَ اللّٰهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجِبُ
وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَعُو كَرَهُ الْمُشْرِكُونَ وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْمَأْتَمَةُ الرَّاشِدُونَ
الْمُهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُضِيَّطْفُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ
بِكِرَامَتِهِ اضْيَطْفَاكُمْ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ
وَأَيْدَكُمْ بِرُوحِهِ وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجًا عَلَى بَرِيَّتِهِ وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ وَحَفَظَهُ لِسِرِّهِ وَخَزَنَهُ لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ وَ
تَرَاجِمَةً لَوْحِيهِ وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ وَأَدْلَاءَ عَلَى صِرَاطِهِ عَصَمَكُمْ اللّٰهُ مِنَ الزَّلَلِ
وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيرًا فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ

وَ أَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ وَ مَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَ أَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ وَ وَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَ أَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ وَ نَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ وَ دَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحُكْمِ وَ الْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ بَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَ صَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ وَ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَ أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ جَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَ بَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَ أَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَ نَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَ سَيَّنْتُمْ سُنَنَهُ وَ صَبَرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا وَ سَلِمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَ صَدَقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى فَالزَّاعِبُ عَنْكُمْ مَيَارِقُ وَ اللَّانِزِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ وَ الْمُقْصِرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ وَ الْحَقُّ مَعَكُمْ وَ فِيكُمْ وَ مِنْكُمْ وَ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ أَهْلُهُ وَ مَعِدْنُهُ وَ مِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَ إِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَ حَسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ وَ فَضِيلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ وَ آيَاتُ اللَّهِ لَعْدِيكُمْ وَ عَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَ نُورُهُ وَ بُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ وَ أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهُ وَ مَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهُ وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهُ وَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ أَنْتُمْ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ وَ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَ شَهَادَةُ دَارِ الْفَنَاءِ وَ شُفْعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَ الرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَ الْآيَةُ الْمَخْزُونَةُ وَ الْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَ الْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ مَنْ آتَاكُمْ فَقَدْ نَجَا وَ مَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ فَقَدْ هَلَكَ

إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَ عَلَيْهِ تَدْلُونَ وَ بِهِ تُؤْمِنُونَ وَ لَهُ تُسَلِّمُونَ وَ بِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَ إِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَ بِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ سِجْدَ وَ اللَّهِ مَنْ
وَالْأَكْمَ وَ هَلَمَّكَ مِنْ عِيَادَاكُمْ وَ خَابَ مِنْ جَحِيدِكُمْ وَ ذَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَ فَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَ أَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَ سَلِمَ مَنْ
صَدَّقَكُمْ وَ هُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ مِنْ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَ مَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَ مَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَ مَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَ
مَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَ جَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ وَ أَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَ نُورَكُمْ وَ
طِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَ طَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَ لَكُمْ بَعْرَشَهُ مُحَدِّقِينَ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتِ
أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ جَعَلَ صِلَواتِنَا عَلَيْكُمْ وَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلايَتِكُمْ طِيبًا لِخَلْقِنَا وَ طَهَّارَةً لِنَفْسِنَا وَ تَرْكِهَ لَنَا وَ
كَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَ مَعْرُوفِينَ بِتَضَيِّدِكُمْ إِيَّاكُمْ فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ وَ أَعْلَى مَنَازِلِ
الْمُقَرَّبِينَ وَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَ لَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَ لَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَ لَا يَطْمَعُ فِي إِذْرَاكِهِ طَامِعٌ حَتَّى لَا
يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا صِدِّيقٌ وَ لَا شَهِيدٌ وَ لَا عَالِمٌ وَ لَا جَاهِلٌ وَ لَا دَنِيٌّ وَ لَا فَاضِلٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ

صَالِحٍ وَلَا فَاجِرٍ طَالِحٍ وَلَا جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَلَا شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وَلَا خَلْقٍ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٍ إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَهُ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأُشْهَدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بَعْدُوكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبِصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالِهِ مَنْ خَالَفَكُمْ مَوَالٍ لَكُمْ وَالْأَوْلِيَاءُ لَكُمْ مُنْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ سَلَّمَ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقَرَّرٌ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِعِلْمَتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِتَدْوَلَتِكُمْ آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ عَائِدٌ بِكُمْ لَا تَدْبِقُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَ مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَ مُقَدِّمٌ أَمَامَ طَلِبَتِي وَ حَوَائِجِي وَ إِزَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَ أُمُورِي مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَ عَلَانِيَتِكُمْ وَ شَاهِدٌ كُمْ وَ غَائِبِكُمْ وَ أَوْلِيَكُمْ وَ آخِرِكُمْ وَ مُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَ مُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ وَ قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَ رَأْيِي لَكُمْ تَبِيعٌ وَ نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ وَ يَرُدَّكُمْ فِي

أَيَّامِهِ وَ يُظَهِّرُكُمْ لِعَدْلِهِ وَ يُمَكِّنُكُمْ فِي أَرْضِهِ فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا- مَعَ عِدْوِكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَ تَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ وَ
بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَ مِنَ الْجَبِيتِ وَ الطَّاعُوتِ وَ الشَّيَاطِينِ وَ حَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ وَ الْجَاهِلِينَ لِحَقِّكُمْ وَ
الْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَ الغَاصِبِينَ لِأَرْضِكُمْ وَ الشَّاكِينَ فِيكُمْ وَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَ مِنْ كُلِّ وَ لِيَجْهَ دُونَكُمْ وَ كُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ وَ مِنْ
الْأَائِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَتَبَتَنِي اللَّهُ أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ عَلَى مَوَالِيكُمْ وَ مَحَبَّتِكُمْ وَ دِينِكُمْ وَ وَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ وَ رَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ وَ
جَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَ جَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَضُ آثَارَكُمْ وَ يَسِيلُكُمْ سَبِيلَكُمْ وَ يَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَ يُحْشِرُ فِي
زُمرَّتِكُمْ وَ يَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ وَ يَمْلِكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَ يُشَرِّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَ يُمَكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَ تَقَرُّ عَيْنُهُ عَدَا بُرُؤِيَتِكُمْ بِأَبِي أَنْتُمْ وَ
أُمِّي وَ نَفْسِي وَ أَهْلِي وَ مِيَالِي مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ وَ مَنْ وَ حَدَهُ قَبْلَ عَنْكُمْ وَ مَنْ فَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ مَوَالِي لَا أَحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَ لَا
أَبْلُغُ مِنَ الْمِيَادِحِ كُنْهَكُمْ وَ مِنَ الوُصْفِ قَدْرَكُمْ وَ أَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَ هُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَ حُجُجُ الْجَبَّارِ بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَ بِكُمْ يَخْتِمُ وَ بِكُمْ
يُنزِّلُ الْغَيْثَ وَ بِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ بِكُمْ يُنْفَسُ الْهَمُّ وَ بِكُمْ يَكْشِفُ الضَّرَّ وَ عِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ

رُسَيْلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَإِلَى جِدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ وَإِنْ كَانَتْ الزِّيَارَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعُ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِبَطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَاشْرَقَتِ الْمَارِضُ بِنُورِكُمْ وَفَازَ الْفَاضِلُونَ بِوَلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسَلِّمُكَ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَعَدَ وَلَايَتِكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْمَارُوحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْأَثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَ خَطَرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ كَلَامَكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ تَقْوَى وَفِعْلُكُمْ خَيْرٌ وَعِيَادَتُكُمْ إِحْسَانٌ وَسِيَجِيَّتُكُمْ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمْ الْحَقُّ وَالصَّدْقُ وَالرَّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحُتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَضْلَاهُ وَفَرَعَهُ وَمَعِيدَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا بِكُمْ مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ بِأَبِي أَنْتُمْ

وَ أُمِّي وَ نَفْسِي بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنِي اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَ أَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَادًا مِنْ دُنْيَانَا وَ بِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَ عَظُمَتِ النُّعْمَةُ وَ ائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَ بِمُؤَالَاتِكُمْ تَقْبَلُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرِضَةَ وَ لَكُمْ الْمَوْدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَ الدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَ الْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْجَاهُ الْعَظِيمُ وَ الشَّانُ الْكَبِيرُ وَ الشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعِيدًا إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنْ بَيْنِي وَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ذُنُوبًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنْ ائْتَمَنَّاكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَ اسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَ قَرْنَ طَاعَتِكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَ كُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجِدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْمَأْتَمَةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيَّكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمَّلِهِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَ بِحَقِّهِمْ وَ فِي زُمْرِهِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.

دراسه حُول الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ

اشاره

*سندھا

*استشهاد العلماء بها

*شروحھا

*إنھا غتیہ عن السند

*من كلمات الأكابر بشأنھا

ص: ۳۵

قد نصّ غير واحد من أكابر علمائنا على أن الزيارة الجامعه من الزيارات التي لا شك في صدورها عن المعصوم عليه الصّلاه والسلام، وهو الإمام على بن محمّد الهادى.

وأما السّبب فى تسميتها بالزياره الجامعه، فهو أنّ الراوى قد طلب من الإمام أن يعلّمه قولاً إذا زار واحداً منهم عليهم السلام، وأن المضامين المشتمله عليها صادقه على كلّ واحدٍ من الأئمه الطاهرين، وأن بالإمكان زياره جميع الأئمه المعصومين عليهم السلام بها، بأن يخاطب بها كلّهم معاً.

ويبقى الكلام فى زياره مولانا الإمام المهدي عليه السلام بها، فقد يمنع من ذلك، لبعض ما جاء فى زياره من قبيل «لائذ عائد بقبوركم» .

وأما زياره النبى الأكرم والصدّيقه الطاهره فوجه المنع أقوى.

نعم، الظاهر أنه لا مانع من زياره النبى وأهل بيته مجتمعين، لجواز تصحيح ذلك من باب التغليب، والله العالم.

وعلى الرغم من وثوقنا وإطمئناننا بصدور هذه الزيارة عن الإمام الهادي - عليه السلام - إلا أنه لا بد من إستيفاء البحث في صحه سندها وإثبات ذلك.

وقد رواها شيخ المحدثين ابن بابويه الصدوق رحمه الله في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام) قائلاً:

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضى الله عنه، ومحمد بن أحمد السناني، وعلي بن عبد الله الوراق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، وأبو الحسين الأسدي قالوا: حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - علمني يا ابن رسول الله... (١).

أما في كتاب (من لا يحضره الفقيه) فقد قال:

روى محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا موسى بن عبد الله النخعي، قال قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم... (٢).

هذا سند الزيارة الجامعة الكبيره.

ص: ٣٨

١-١ (١) عيون أخبار الرضا ١/٣٠٥. [١]

٢-٢ (٢) من لا يحضره الفقيه ٢/٦٠٩.

أما المشايخ الأربعة في أول السند، فيتم الاعتماد عليهم بذكر مطالب:

حكم الصدوق بصحة أخبار كتابه

لقد صرح الشيخ الصّيدوق في مقدمه كتابه (الفقيه) ونصّ على وثوقه بما أخرجه فيه، وأنه يفتى بما جاءت به تلك الروايات، وهذه عبارته:

ولم أقصد فيه قصد المصنّفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إيراد ما أفتى به وأحكم بصحّته وأعتقد فيه أنه حجّه فيما بيني وبين ربّي -تقدّس ذكره وتعالّت قدرته-. وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهوره عليها المعول وإليها المرجع... (1).

وقد وقع الكلام في ذلك بين الأعلام، لا سيّما وقد وجدوا التناقض بين بعض فتاواه في كتبه الفقيه كالمقنع والهدايه، والأخبار المرويّه في كتابه المزبور، والمهمّ هنا ما حكاه السيد الحكيم عن الشيخ المجلسي، من أنّ الشيخ الصدوق قد عدل عمّا نصّ عليه في أول كتابه، ثمّ أشكل على هذا الكلام بأنه يستلزم نسبه التدليس إلى الصّيدوق، لأنه لم يتّبه على هذا العدول في موضعه، وشأن الصدوق أجلّ من ذلك، وهذا نصّ كلام الفقيه الحكيم:

وإيراد الصدوق للمرسل في كتابه لا يدلّ على اعتقاده بمضمونه، لأنه عدل عمّا ذكر في صدر كتابه كما عن المجلسي.

وإنّ كان يشكل ذلك: بأن الواجب التنبيه منه على ذلك، لئلا يكون تدليسا،

ص: ٣٩

وهو بعيد عن مقامه الأقدس.

مع أن حصول البداء له في ذلك مستبعد جداً (١).

وعلى الجملة، فإنه -بالإضافة إلى عدم الدليل على ما ذكره المجلسي - لا يمكن الاعتماد على التوجيه المزبور، وعليه، فإن أخبار كتاب (من لا يحضره الفقيه) باقية على الاعتبار عند الصدوق، إلّا ما ثبت عدوله عنه منها، والرواه المروي عنهم في الكتاب موثوق بهم عنده، إلّا ما قام الدليل على خلاف ذلك.

«الصحيح» في الاصطلاح

إن «الصحيح» في مصطلح قدماء الأصحاب وإن كان يختلف عنه في مصطلح المتأخرين، إلّا أن المقصود عند الجميع واحد، وتوضيح ذلك:

إن «الصحيح» عند القدماء هو كلّ خبر حصل الوثوق بصدوره، أمّا عند المتأخرين -القائلين بتنويع الخبر إلى الصّحيح والموثوق والضعيف وغير ذلك - فهو خبر الثقة عن مثله، وهكذا، عن المعصوم، فهم وضعوا هذا الشرط كي يحصل الوثوق بصدوره.

وعلى الجملة، فالكلّ يريدون تفريق الحجّج عن اللماحجه من الأخبار، ومن المعلوم، أنّ الخبر الحجّج هو الموثوق بصدوره، وقد أوضح هذا المطلب صاحب كتاب مقباس الهدايه في علم الدرايه إذ قال:

«وقد زعم القاصرون من الأخباريين اختصاص هذا الإصطلاح بالمتأخرين الذين أولهم العلامة رحمه الله -على ما حكاه جمع منهم الشيخ البهائي رحمه الله في مشرق الشمسين -أو ابن طاووس -كما حكاه بعضهم -فأطالوا التشنيع عليهم

ص: ٤٠

١- ١) مستمسك العروه الوثقى ١/٣٠٣. [١]

بأنه اجتهاد منهم وبدعه.

ولكنّ الخبير المتدبّر يرى أنّ ذلك جهل منهم وعناد، لوجود أصل الإصطلاح عند القدماء، ألا ترى إلى قولهم: لفلان كتاب صحيح، وقولهم: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عن فلان، وقول الصدوق رحمه الله: كلّ ما صحّحه شيخي فهو عندي صحيح، وقولهم: فلان ضعيف الحديث، ونحو ذلك.

فالصادر من المتأخّرين تغيير الإصطلاح إلى ما هو أضبّط وأنفع، تسهياً للضبّط وتمييزاً لما هو المعتبر منها عن غيره» (١).

ترضى الصدوق على مشايخه

يمتاز الشيخ الصّدوق عن ساير المحدثين الإماميه القدامى بكثرة أسفاره إلى مختلف البلاد واجتماعه بكبار المحدثين من أصحاب المذاهب وروايته عنهم وروايتهم عنه، فلذا كثر في مشايخه العلماء من الفرق الاخرى، فقرّر أصحابنا أنه إذا روى الصّدوق عن رجلٍ وأكثر عنه مع الترضى والترحم عليه، كان ذلك أماره على كونه من الإماميه، قال الشيخ المامقاني:

وقد قالوا: إنّ ذكر الثقات مشايخهم مقروناً بالرّضيل والرّحملة قرين للمدح، بل هو عديل للتوثيق. قال المحقق الداماد رحمه الله: إنّ لمشايننا الكبار كالصّدوق رضى الله عنه مشيخه يلتزمون إرداف تسميتهم بالرّضيل أو الرّحملة لهم، فأولئك أثبات أجلاء، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه، نصّ بالتوثيق أو لم ينصّ (٢).

ص: ٤١

١-١) مقباس الهدايه فى علم الدرايه: ٣٢.

٢-٢) تنقيح المقال فى علم الرجال ١/٢٦٧. [١]

وعلى هذا الأساس نقول: بأنّ المشايخ الذين روى عنهم الصّيدوق الزياره الجامعه كلّهم من الإماميه، وينبغى الاعتماد عليهم، لترضيّه وترحمه عليهم مع كثره روايته عنهم فى مواضع كثيره من كتبه، وإليك بعض ذلك:

على بن أحمد الدقاق، روى عنه فى:

الأمالى: ٧٦٨، ٤٥١، ٣٣٤، ٣٠٩.

التوحيد: ٤٨، ٥٦، ٥٧، ٦٠.

الخصال: ٥٤٣.

علل الشرايع ١٧٦، ١٧٥، ١٣١/١.

عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٣١٥.

كمال الدين: ٥٢٠.

من لا يحضره الفقيه ٤/٤٤٥ و ٤٧٦.

محمّد بن أحمد السنانى، روى عنه فى:

الأمالى: ٧٧٥، ٤١٠.

الخصال: ٤٥٣.

علل الشرائع: ١٧٦، ١٧٥، ١٣١/١.

من لا يحضره الفقيه ٤/٤٧٦.

على بن عبد الله الوراق، روى عنه فى:

علل الشرائع: ٢٤٠، ١٧٦، ١٧٥، ١٣٢/١.

كمال الدين: ٥٢٠.

حسين بن إبراهيم المكتّب، روى عنه فى:

علل الشرائع ١/٦٧.

الخصال: ٥٤٣.

ص: ٤٢.

إن هؤلاء المشايخ الذين أكثر عنهم وترضى عليهم، لم يرد في حق أحدٍ منهم جرح أو قدح من قبل كبار علماء الرجال، فلو ورد فيهم أو في بعض طعن من الشيخ الطوسي أو الشيخ النجاشي -مثلاً- لتقدّم الجرح بلا ريب وسقط الرجل عن الاعتبار.

ولكنّ إكثار الصّيدوق مترحماً مترضياً، وروايته عنهم في كتابه الذي التزم بالفتيا بما روى فيه، مع عدم وجود أيّ جرح من أحدٍ فيهم، يوجب الوثوق بهم والاعتماد عليهم.

تعدّد الرواه يوجب الوثوق

إنّ تعدّد الرواه مع تلك الخصوصيات في كلّ واحدٍ منهم وجهٌ آخر للاعتماد والوثوق بالخبر المروى بواسطتهم، وقد روى الشيخ الصّدوق الزياره الجامعه عن أربعةٍ من مشايخه، وهم:

١- علي بن أحمد بن محمّد الدقاق

قال الشيخ المامقاني بترجمته:

وقد قالوا: إنّ ذكر الثقات مشايخهم مقروناً بالرّضيل والرّحملة قرين للمدح، بل هو عدل للتوثيق. قال المحقق الداماد رحمه الله: إنّ لمشايخنا الكبار الصّدوق رضى الله عنه مشيخه يلتزمون إرداف تسميتهم بالرّضيل أو الرّحملة لهم، فأولئك أثبات أجلاء، والحديث من جهتهم صحيح معتمد عليه، نصّ بالتوثيق أو لم ينصّ (١).

ص: ٤٣

وهو حفيد «محمّد بن سنان» ولذا لُقّب بالسناني، قال المامقاني:

يمكن عدّ الرجل في الحسان، نظراً إلى استفاده كونه إمامياً من عدم غمز الشيخ رحمه الله في مذهبه، واستفاده المدح المعتدّ به فيه من إكثار الصّدوق رحمه الله الرواية عنه مترخماً (١).

٣-علي بن عبد الله الوراق. قال المامقاني:

روى عنه الصّدوق رحمه الله مترخماً عليه (٢).

٤-حسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب. قال المامقاني:

قال في التعليقه: إنه يروى الصّدوق رحمه الله عنه مترضياً مترخماً، وأقلّ ما يستفاد منه حسن حاله (٣).

استفاده الوثاقه من الترخّم

وجاء في تنقيح المقال ما نصّه:

إنّه لا يخفى عليك إمكان استفاده وثاقه الرجل، نصّوا على توثيقه أم لا، من أمور. . . منها: ترخّم الإمام عليه السّلام على رجل أو ترضّيه عنه أو نحو ذلك، فإنّه لا يعقل صدور ذلك منه إلّا بالنسبه إلى ثقّه عدل. بل الترخّم والترضّي ونحوهما من المشايخ يفيد ذلك، كما لا يخفى على الفطن اللبيب (٤).

ص: ٤٤

١-١ (١) تنقيح المقال ١/٢١٠. [١]

٢-٢ (٢) المصدر ٢/٢٩٧. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر ١/٣١٥. [٣]

٤-٤ (٤) المصدر ١/٢١٠. [٤]

أقول:

ويشهد بذلك ما جاء في كلام السيد الخوئي -وهو من المتشددين في التوثيق، وكان بعض مشايخنا من تلامذته يتبعه في ذلك- من الاستدلال بروايه «حسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب» -وهو أحد المشايخ الأربعة الرواه للزياره كما عرفت- إذ قال بترجمه «محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين الملقب ب «ديباجه» ما نصّه:

«ويدلّ علي ذمّه أيضاً عدّه من الروايات:

منها: ما رواه الصدوق عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني... .

ومنها: ما رواه عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هشام... .» (١).

فلولا وثاقه «الحسين بن إبراهيم» عند السيد الخوئي لما قال: «ويدلّ... .»، ولما كان المفروض عدم وجود التوثيق الصريح لهذا الرجل في الكتب الرجاليه، فإنّ كونه من مشايخ الحديث والإكثار من الروايه عنه والترضى عليه هو الدليل على وثاقته.

بعض الروايات المرويّه عنهم

والآن، نذكر نصوص بعض الروايات التي رواها الشيخ الصّيدوق في كتبه عن المشايخ المذكورين، ولا يخفى جلاله مضامين هذه الروايات، وذلك مما يمكن أن يكون وجهاً آخر للاعتماد عليهم:

ص: ٤٥

حدّثنا محمّد بن أحمد السناني رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

قال الله جلّ جلاله: لو اجتمع الناس كلّهم على ولاية عليّ ما خلقت النار (١).

وحدّثنا الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر الأسدي الكوفي، قال: حدّثني موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن عليّ بن أبي حمزه، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليّ على ناقه من نور، وعلى رأسك تاج له أربعة أركان، على كلّ ركن ثلاثة أسطر: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، وتعطى مفاتيح الجنّة، ثمّ يوضع لك كرسي يعرف بكرسي الكرامة فتقعد عليه، ثمّ يجمع لك الأولون والآخرون في صعيد واحد، فتأمر بشيعتك إلى الجنّة، وبأعدائك إلى النار، فأنت قسيم الجنّة، وأنت قسيم النار، ولقد فاز من تولّاك، وخسر من عاداك، فأنت في ذلك اليوم أمين الله، وحبّه الله الواضحه (٢).

١-١ (١) أمالي الصدوق: ٧٥٥. [١]

٢-٢ (٢) معاني الأخبار: ١٣١-١٣٢.

وروى محمد بن أبي عبد الله الأسدي الكوفي، عن موسى بن عمران، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزه حديث تفسير قوله تعالى: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ» ١ بالإمامه، جعلها الله عزّ وجلّ في عقب الحسين عليه السّلام باقيه إلى يوم القيامة (١).

وروى محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي بن أبي حمزه، عن أبيه، عن يحيى بن أبي القاسم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

الأئمة بعدى اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم، فهم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدى، المقرّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر (٢).

وعن محمد بن أحمد السناني رضی الله عنه، عن محمد بن أبي عبد الله الأسدي الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد

ص: ٤٧

١-٢) معاني الأخبار: ١٣١ و ١٣٢.

٢-٣) كمال الدين: ٢٥٩، [١] من لا يحضره الفقيه ٤/١٧٩.

النوفلى، عن على بن سالم، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

إنَّ الله تبارك وتعالى لا- يوصف بزمان، ولا- مكان، ولا حركة، ولا انتقال، ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال، تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً (١).

٦

وحدَّثنا محمد بن أحمد السنانى رضى الله عنه، قال: حدَّثنا محمد بن أبى عبد الله الأسدى الكوفى، قال: حدَّثنا موسى بن عمران النخعى، عن عمه الحسين بن يزيد، عن على بن سالم، عن أبيه، عن سعد بن طريف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام:

يا على، أنت إمام المسلمين، وأمير المؤمنين، وقائد الغز المحجلين، وحجّه الله بعدى على الخلق أجمعين، وسيد الوصيين، ووصى سيد النبيين.

يا على، إنه ليأ عرج بي إلى السماء السابعة، ومنها إلى صدره المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وأكرمنى ربى جلّ جلاله بمناجاته، قال لى: يا محمد؟

قلت: لبيك ربى وسعديك، تباركت وتعاليت.

قال: إنَّ علىاً إمام أوليائى، ونور لمن أطاعنى، وهو الكلمه التى ألزمتها المتقين، من أطاعه أطاعنى، ومن عصاه عصانى، فبشره بذلك.

فقال على عليه السلام: يا رسول الله، بلغ من قدرى حتّى إنى أذكر هناك؟

فقال: نعم يا على! فاشكر ربك.

ص: ٤٨

فخرَ عليّ عليه السّلام ساجداً شكراً لله عليّ ما أنعم به عليه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: إرفع رأسك يا عليّ، فإنّ الله قد باهى بك ملائكته (١).

٧

وحدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن أبي صفية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

من سرّه أن يجمع الله له الخير كلّه فليوال عليّاً بعدى، وليوال أوليائه، وليعاد أعداءه (٢).

٨

وحدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى الدقاق رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن عليّ بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليهم السّلام، قال: سئل النبيّ صلّى الله عليه وآله: أين كنت وآدم في الجنّه؟

قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينه في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان عليّ

ص: ٤٩

١-١ (١) أمالي الصدوق: ٣٧٥. [١]

٢-٢ (٢) المصدر: ٥٦٠. [٢]

سفاح قطّ، ولم يزل الله عزّ وجلّ ينقلني من الأصلاب الطيّبه إلى الأرحام الطاهره هادياً مهدياً، حتّى أخذ الله بالنبوّه عهدى، وبالإسلام ميثاقى، وبين كلّ شيء من صفتى، وأثبت فى التوراه والإنجيل ذكرى، ورقى بى إلى سمائه، وشقّ لى اسماً من أسمائه الحسنى، أمتى الحمّادون، فذو العرش محمود وأنا محمّد (١).

٩

وحدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبى عبدالله الكوفى، عن موسى بن عمران النخعى، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن سالم، عن أبيه، عن أبى حمزه الثمالى، عن سعد الخفّاف، عن الأصبغ بن نباته، عن عبدالله بن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعِ، وَمِنْهَا إِلَى سِدْرِهِ الْمُنْتَهَى، وَمِنَ السِّدْرَةِ إِلَى حِجْبِ النُّورِ، نَادَانِي رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ:

يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، فلى فاضع، وإيأى فاعبد، وعلى فتوكل، وبى فتق، فإننى قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبياً.

وبأخيك علىّ خليفه وباباً، فهو حجّتى على عبادى، وإمام لخلقى، به يعرف أوليائى من أعدائى، وبه يميّز حزب الشيطان من حزبى، وبه يقام دينى، وتحفظ حدودى، وتنفذ أحكامى، وبك وبه وبالائمه من ولده أرحم عبادى وإمائى.

وبالقائم منكم أعمار أرضى بتسيحى وتهليلى وتقديسى وتكبيرى وتمجيدى، وبه أظهر الأرض من أعدائى، وأورثها أوليائى، وبه أجعل كلمه الذين كفروا بى السفلى، وكلمتى العليا، وبه أحيى عبادى وبلادى بعلمى، وله أظهر

ص: ٥٠

الكنوز والذخائر بمشيئتي، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي، وأمدّه بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري، وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً، ومهدى عبادي صدقاً (١).

١٠

وحدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفى، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعى، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزه، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام: لأىّ علّه دفنت فاطمه عليها السّلام بالليل ولم تدفن بالنهار؟

قال: لأنّها أوصت أن لا يصلّى عليها الرّجلان (٢).

أبو الحسين الأسدى

قال الشيخ الصدوق: قالوا: حدّثنا

محمّد بن أبي عبد الله وأبو الحسين الأسدى

أقول:

ظاهر العبارة هو التعدّد، بأنّ يكون الراوى فى هذه الطبقة رّجلان، هما: «محمّد بن أبي عبد الله» و «أبو الحسين الأسدى» .

فإنّ كان كذلك، كفى وثاقه أحد الرّجلين.

وإنّ كان سهواً أو غلطاً من النّسّاخ، وأنهما رّجل واحد هو: أبو الحسين

ص: ٥١

[١-١] أمالى الصدوق: ٧٣١. [١]

[٢-٢] علل الشرائع ١/١٨٥. [٢]

محمّد بن جعفر بن عون الأسدي الكوفي» ، فإن «أبا الحسين الأسدي» ثقه بلا كلام.

وقد ذهب السيد الخوئي -تبعاً للنجاشي- إلى الاتحاد، فذكر بترجمه «محمّد بن جعفر بن عون» ما نصّه:

قال النجاشي: محمّد بن جعفر بن محمّد بن عون الأسدي، أبو الحسين الكوفي، ساكن الرّي، يقال له: محمّد بن أبي عبد الله، كان ثقه، صحيح الحديث، إلّا أنّه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه، وكان أبوه وجهاً. روى عنه أحمد بن محمّد بن عيسى. له كتاب الجبر والاستطاعه.

أخبرنا أبو العباس بن نوح، قال: حدّثنا الحسن بن حمزه، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر الأسدي بجميع كتبه. قال: ومات أبو الحسين محمّد بن جعفر ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وثلاثمائه. وقال ابن نوح: حدّثنا أبو الحسن بن داود، قال: حدّثنا أحمد بن حمدان القزويني، عنه بجميع كتبه.

وقال الشيخ: محمّد بن جعفر الأسدي، يكنّى أبا الحسين، له كتاب الردّ على أهل الاستطاعه، أخبرنا به جماعه عن التلعكبري، عن محمّد بن جعفر الأسدي.

وقال في رجاله، في باب من لم يرو عنهم عليهم السّلام: محمّد بن جعفر الأسدي، يكنّى أبا الحسين الرازي، كان أحد الأبواب.

وقال في كتاب الغيبة: وقد كان في زمان السّيفراء المحمودين أقوام ثقات، ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسّيفاره من الأصل، منهم أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي رحمهم الله.

أخبرنا أبو الحسين بن أبي جيد القمّي، عن محمّد بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطار، عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن صالح بن أبي صالح، قال: سألتني

بعض الناس فى سنه تسعين ومائتين قبض شىء فامتنعت من ذلك، وكتبت أستطلع الرأى فأتانى الجواب: بالرئى محمد بن جعفر العربى فليدفع إليه، فإنه من ثقاتنا.

الغيبه: فى ذكر السفراء المحمودين الثقات الذين ترد عليهم التوقيعات. الحديث ١، ثم ذكر الشيخ عدّه روايات متعلقه بذلك، ثم قال: «ومات الأسدى على ظاهر العداله ولم يطعن عليه، فى شهر ربيع الآخر سنه اثنتى عشره وثلاثمائه» .

أقول: الروايات الداله على وكاله محمد بن جعفر الأسدى كثيره» (١).

محمد بن إسماعيل البرمكى

وعنه رواها الشيخ الصدوق فى «من لا يحضره الفقيه» فينطبق عليه ما تقدّم.

والنجاشى أيضاً نصّ على وثاقته إذ قال:

«كان ثقّه مستقيماً» (٢).

وقال العلّامة الحلّى بترجمته:

«اختلف علماؤنا فى شأنه، فقال النجاشى: إنه ثقّه مستقيم. وقال ابن الغضائرى: إنه ضعيف. وقول النجاشى عندى أرجح» (٣).

موسى النخعى

فى روايه الصدوق فى (العيون): «موسى بن عمران النخعى» .

وفى روايته فى (الفقيه): «محمد بن عبدالله النخعى» .

ص: ٥٣

١-١) معجم رجال الحديث ١٦/١٧٦ و ١٧٧. [١]

٢-٢) رجال النجاشى: ٣٤١.

٣-٣) خلاصه الأقوال: ١٥٤-١٥٥. [٢]

إنه لما كانت الروايه واحده، والسند من قبل وبعد واحداً، فالرجل واحدٌ ولا تعدّد.

فيحتمل وقوع التصحيف من النسخ بأن كتبوا «عمران» بدلاً عن «عبدالله» ويشهد بذلك روايه الشيخ الطوسي الزياره الجامعه عن الصدوق وفيها: «موسى ابن عبدالله»، حيث قال:

روى محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا موسى بن عبدالله النخعي قال قلت لعلي بن محمد: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً. . . (١).

ويحتمل أن يكون «موسى» في نسخه «الفقيه» منسوباً إلى جدّه «عبدالله» فتكون النسختان صحيحتين، والرجل واحد.

وللنسبه إلى الجدّ في الكتب الروائيه نظائر كثيره، بل قد نجد الرجل الواحد يذكر تارةً باسمه واسم أبيه، واخرى باسمه ولقبه، وثالثهً باسمه وكنيه أبيه، ورابعه باسمه واسم جدّه. . . .

وثاقه موسى النخعي

ثم إنّ هذا الرجل من مشاهير رجال الحديث، فقد وردت الروايه عنه في مختلف كتب أصحابنا في التفسير والفقه والحديث، أمثال:

تفسير علي بن إبراهيم القمي

ومن لا يحضره الفقيه.

ص: ٥٤

وتهذيب الأحكام

والاستبصار

وكتاب التوحيد

وعلل الشرائع

ومعاني الأخبار

وكمال الدين

وغيرها من الكتب المعتمده لدى الطائفة. . . .

فهذا أمر.

الأمر الثانى:

إنه من رجال كتاب (كامل الزيارات) وقد قال الشيخ ابن قولويه فى ديباجته:

وجمعه عن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين من أحاديثهم. . . ما وقع لنا من جهه الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثاً روى عن الشذاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عند المذكورين غير المعروفين بالروايه المشهورين بالحديث والعلم، وسميته كتاب كامل الزيارات. . . (١).

ولهذا، فقد قال السيد الخوئى بوثاقه جميع رواه الكتاب، وعلى هذا الأساس حكم بصحة كثير من الأخبار وأفتى على طبقها فى الفقه. لكنّه عدل عن ذلك أخيراً وخصّ التوثيق بالمشايخ الذين يروى عنهم ابن قولويه مباشرةً.

فبناءً على عموم التوثيق، يكون «موسى النخعى» من الثقات، لكونه من رجال كتاب كامل الزيارات.

ص: ٥٥

الأمر الثالث:

اعتماد الشيخ الصدوق عليه في كتاب من لا يحضره الفقيه على ما ذكرناه سابقاً.

مضافاً إلى قوله في كتاب الوصية من الفقيه بعد نقل بعض الأخبار:

«وقد أخرجت الأخبار المسنده الصحيحة في هذا المعنى في كتاب (كمال الدين وتمام النعمه)» (١).

ومن جملة رواه تلك الأخبار هو «موسى بن عمران النخعي» .

الأمر الرابع:

اعتماد الشيخ عماد الدين الطبري (٢) عليه، فإنه قال في مقدمه كتاب (بشاره المصطفى) :

«ولا أذكر فيه إلا المسند من الأخبار عن المشايخ الكبار وثقات الأخيار. . .» (٣).

ومن رواه هو «موسى بن عمران النخعي» .

الأمر الخامس:

قال الشيخ ابن المشهدى (٤) في مقدمه كتابه (المزار) :

«فإني قد جمعت في كتابي هذا من فنون زيارات للمشاهد المشرفات. . . وما

ص: ٥٦

١-١) من لا يحضره الفقيه ٤/١٨٠.

٢-٢) هو: من علماء الإمامية في القرن السادس.

٣-٣) بشاره المصطفى لشيعة المرتضى: ١٨. [١]

٤-٤) هو: الشيخ أبو عبدالله محمد بن جعفر بن علي المشهدى الحائري.

يلجأ إليه من الأدعيه عند المهمّات، ممّا أتصلت به من ثقات الرواه إلى السادات (١).

و «موسى النخعي» من جمله الرواه فيه.

الأمر السادس:

إن هذا الرجل من رجال تفسير على بن إبراهيم القمي (٢)، وقد نصّ على وثاقه رجاله في أول الكتاب.

الأمر السابع:

جاء في تنقيح المقال، بعد أن ذكر أنه الراوى للزياره الجامعه:

«وفي روايته لها دلالة واضحة على كونه إمامياً صحيح الاعتقاد، بل في تلقين مولانا الهادي عليه السلام شهاده على كون الرجل من الحسان مقبول الروايه لهم، وعدم ذكره في كتب الرجال غير قادح فيه (٣).

الأمر الثامن:

قال السيد الخوئي في رجاله ما نصّه:

١٢٨٤٧-موسى بن عمران:

روى عن الحسين بن يزيد، وروى عنه موسى بن عمران. تفسير القمي: سورة النحل، في تفسير قوله تعالى: «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ».

وروى عن الحسين بن يزيد النوفلي، وروى عنه محمد بن أبي عبدالله. الكافي: الجزء ٤، كتاب الحجّ ٣، باب استطاعه الحجّ ٣٠، الحديث ٥.

ص: ٥٧

١- ١) كتاب المزار: ٢٧.

٢- ٢) تفسير القمي ٢/٣٤٢.

٣- ٣) تنقيح المقال ٣/٢٥٧. [١]

ثم إنه روى الكليني، عن محمد بن أبي عبد الله، عن موسى بن عمران، عن عمه الحسين بن عيسى بن عبد الله، عن علي بن جعفر. الروضة: الحديث ١٤١.

كذا في المرآة أيضاً، والظاهر أنّ فيه تحريفاً، فإنّ الحسين بن عيسى بن عبد الله لا يكون عمّاً لموسى بن عمران، بل عمّه الحسين بن يزيد بقريته سائر الروايات، والصحيح: موسى بن عمران، عن عمّه الحسين، عن عيسى بن عبد الله، والله العالم.

أقول: هذا متحد مع من بعده.

١٢٨٤٨-موسى بن عمران النخعي:

روى عن الحسين بن يزيد، وروى عنه محمد بن أبي عبد الله الكوفي. كامل الزيارات: الباب (٩)، في الدلالة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام، الحديث ٧.

وروى عن الحسين بن يزيد عمّه، وروى عنه محمد بن أبي عبد الله الأسدي. مشيخه الفقيه: في طريقه إلى يحيى بن عباد المكي.

وروى عنه محمد بن أبي عبد الله الكوفي، الفقيه: الجزء ٤، باب الوصية من لادن آدم عليه السلام، الحديث ٤٥٧، وباب نوادر الموارث، الحديث ٨١٧.

وروى عن الحسين بن يزيد النوفلي عمّه، وروى عنه محمد بن جعفر الأسدي أبو الحسين. الفقيه: الجزء ٣، باب الرهن، الحديث ٩٠٩.

وروى عنه محمد بن أبي عبد الله الكوفي. مشيخه الفقيه: في طريقه إلى ما كان فيه من حديث سليمان بن داود عليهما السلام. «(١)».

ص: ٥٨

ومما يدلُّ على جلاله الزيارة الجامعة ومكانتها الكبيره لدى كبار علماء الطائفة: استشهداهم بها فى تفسير الآيات القرآنيه، وبيان الأحكام الشرعيه، وشرح الأخبار، ولنذكر نماذج من ذلك:

*ففى (نور الثقلين) بذيل الآيه المباركه:

«بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ١.

«وفى عيون الأخبار فى الزيارة الجامعة للأئمه عليهم السلام المنقوله عن الجواد عليه السلام:

السلام على الدعاه إلى الله... وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (١).

ويروى الفيض الكاشانى رحمه الله روايه عن الإمام عليه السلام قال:

نحن كلمه التقوى وسبل الهدى والمثل الأعلى (٢).

ثم يأتى بعباره من الزيارة الجامعة قائلاً:

وفى الزيارة الجامعة الجواديه عليه السلام: السلام على أئمه الهدى... وورثه الأنبياء والمثل الأعلى (٣).

ويقول الشيخ الحويزى فى (تفسيره) بذيل الآيه المباركه «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ»:

ص: ٥٩

١-٢) تفسير نور الثقلين ٣/٤٢١ [١] وقوله: المنقوله عن الجواد. سهو.

٢-٣) تفسير الصافى ٤/١٣٠. [٢]

٣-٤) المصدر ٤/١٣٠. [٣]

وفى عيون الأخبار فى الزيارة الجامعه للأئمه عليهم السلام: السلام على الدعاه إلى الله... (١).

*ويقول فى موضع آخر:

فى عيون الأخبار فى الزيارة الجامعه: خلقكم الله أنواراً وجعلكم بعرشه محققين... (٢).

*ويقول أيضاً:

وفى الزيارة الجامعه: السلام على أئمه الهدى... (٣).

*ويقول بتفسير آيه التطهير فى أثناء ما يستدلّ به لفهم مدلولها:

وفى الزيارة الجامعه: عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن... (٤).

*ويقول فى موضعٍ آخر:

فهل فصل الخطاب إلامعرفه اللغات؟

وفيه فى الزيارة الجامعه: «وفصل الخطاب عندكم» (٥).

*ويقول فى موضعٍ آخر:

وفى من لا يحضره الفقيه: فى الزيارة الجامعه...: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» (٦).

ص: ٦٠

١-١) تفسير نور الثقلين ٣/٤٢١. [١]

٢-٢) المصدر ٣/٦٠٨. [٢]

٣-٣) المصدر ٤/١٨٠. [٣]

٤-٤) المصدر ٤/٢٧١. [٤]

٥-٥) المصدر ٤/٤٤٤. [٥]

٦-٦) المصدر ٥/٥٦٩. [٦]

*ويقول الفقيه المحدث الشيخ الحرّ العاملي في كتاب وسائل الشيعة بعد خبر رواه:

فيه دلالة على رجعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ مَا هُوَ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ... (١).

*ويروى الشيخ حسن بن سليمان الحلّي في كتاب المحتضر، عن الإمام الهادي عليه الصّلاه والسّلام:

آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين (٢).

*ويستدلّ الشيخ المجلسي في بحار الأنوار بالزيارة الجامعة، وعلى ضوئها يرجح نسخة على أخرى، إذ يقول:

الأصوب أن يكون «معرفين» بدل «معترفين» كما سيأتي في الزيارة الجامعة (٣).

*والشيخ الوحيد البهبهاني رحمه الله أرسل الزيارة الجامعة إرسال المسلم، وقال عن الأئمة الأطهار عليهم السّلام:

مع أنّهم عليهم السّلام كما ذكروا في زيارة الجامعة الكبيره: «فجاهدتم في الله حق جهاده حتى أعلنتم دعوته» (٤).

*ويقول الميرزا القمي في كتابه في الفقه غنائم الأيام:

وما ورد في الزيارة الجامعة الكبيره يشملهم جميعاً (٥).

ص: ٦١

١-١) وسائل الشيعة ١٤/٥٧٩.

٢-٢) المحتضر: ٢٦ و ٢١٩. [١]

٣-٣) بحار الأنوار ٩٧/٢٠٤. [٢]

٤-٤) الرسائل الفقهيّة: ١٧٩. [٣]

٥-٥) غنائم الأيام ١/٢٦٥. [٤]

*وفي كتاب الطهارة للشيخ الأعظم قدس سرّه:

ويؤيد العموم الروايه المشهوره الوارده فى الزياره الجامعه، لكنّها مختصه بزياره خاصّه (١).

*ويقول الفقيه الهمداني رحمه الله فى مصباح الفقيه فى مبحث الأغسال المسنونّه:

... أو ورد فى خصوص زياره مثل الروايه المشهوره الوارده فى زياره الجامعه الّتى يزار بها كلّ إمام، الأمره بالغسل (٢).

*وفي الميزان فى تفسير القرآن فى موضع:

وفى «الفقيه» عن الهادى عليه السّلام فى الزياره الجامعه (٣).

*وفى مصباح الفقاهه فى مسأله حكم من ناصب الأئمّه وأنكر إمامتهم أو حاربهم:

ويدلّ عليه أيضاً قوله عليه السّلام فى الزياره الجامعه: «ومن جحدكم كافر...» (٤).

*ويقول فى موضع آخر:

... كما ورد فى وجوب إطاعتهم وفى عدّه موارد من الزياره الجامعه ذكر ذلك (٥).

ص: ٦٢

١-١ (١) كتاب الطهارة ٢/٣٢٩. [١]

٢-٢ (٢) مصباح الفقيه ١ [٢] ق ٢/٤٣٨.

٣-٣ (٣) تفسير الميزان ٢٠/٢٧٧. [٣]

٤-٤ (٤) مصباح الفقاهه ١/٥٠٤.

٥-٥ (٥) المصدر ٣/٢٨١. [٤]

*ويقول السيد الخوئي في كتاب الطهاره:

إنّ المخالف لهم كافر، وقد ورد في الزيارة الجامعه (١).

*ويستدلّ سيدنا الاستاذ الكلّبايگانی قدس سرّه في مقام الاستدلال لنجاسه الكفار:

وفي الزيارة الجامعه: «من حاربكم مشرك» (٢).

*وفي كتاب صراط النجاه في موضع:

ولذا ورد في الزيارة الجامعه أنّهم الباب المبتلى به الناس (٣).

فهذا قسمٌ من استشهادات واستدلالات أكابر علمائنا في مختلف المسائل في كتبهم في الفقه والتفسير والحديث وغيرها، ولولا ثبوت الزيارة الجامعه عندهم لما كانت هذه الكثره من الاستدلالات والاستشهادات، حتى أنّ الواحد منهم قد استشهد مراراً في كتابه بتفسير الآيات أو في بيان الأحكام، ومن البعيد جداً أن لا يقول بصحّه سند الزيارة ويكرّر الاستدلال أو الاستشهاد بشيء منها.

شرح الزيارة الجامعه

ومن ناحيه أخرى، فقد لاقت هذه الزيارة إهتماماً فائقاً من قبل العلماء، فانبأوا لشرحها وتوضيح معانيها، وشمروا عن سواعدهم وبذلوا جهودهم وأوقفوا شطراً من حياتهم لتبيين مفاهيمها العاليه ومعانيها الرفيعه. كلّ ذلك يعتبر قرينه قويه لإعتقادهم الراسخ ويقينهم الثابت بصحّه صدور الزيارة الجامعه.

ص: ٦٣

١- ١) كتاب الطهاره ٢/٨٤.

٢- ٢) نتائج الأفكار في نجاسه الكفار: ١٩٠. [١]

٣- ٣) صراط النجاه ٣/٤١٩. [٢]

وينظره عابره إلى كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) القيم، لشيخنا الجليل آقابزرگ الطهرانى رحمه الله، نعلم مقدار الشروح التى ذُوت لهذه الزياره، حيث أحصى هذا الكتاب أكثر من عشرين شرحاً.

ومن ضمن من انبرى لهذه المهمه علماء أعلام ذووا شأن رفيع لدى الطائفة الشيعيه:

كالمجلسى الأول،

والمجلسى الثانى،

والسيد الجزائرى،

والشيخ البحرانى مؤلف كتاب الحدائق،

والسيد الشبر،

والشيخ البهائى رحمهم الله

وقد اهتم هؤلاء العظماء وغيرهم من العلماء بشرحها إما ضمن شرحهم لكتابتى تهذيب الأحكام ومن لا يحضره الفقيه، أو بتخصيص شروح مستقلة لها.

الزياره الجامعه غنيّه عن السند

وعلى الرغم من كل الأدله التى أوردناها آنفاً بخصوص صحّه سند الزياره الجامعه، فإننا نودّ أن نثبت ذلك من جهه أخرى، فنقول:

إننا نجد أنفسنا أحياناً فى غنى عن إثبات نسبه كلامٍ من نثرٍ أو شعرٍ إلى قائله، لمعرفةنا بطريقه كلام القائل، وأسلوبه الرفيع، ومستواه الفكرى والعلمى، وأدبه وفصاحته وبلاغته.

فكذلك الكلمات المرويّه عن أحد الأئمّه من أهل العصمه والطهاره، من

الأخبار والأدعية والزيارات، فإنّ العلماء بأساليب الأئمة، العارفين بمنزلهم في العلم والفصاحة والبلاغه، يدركون أن كلماتهم تفصح عن معينٍ تُرّ لا يتأتى من غيرهم من البشر البته. عندئذٍ تراهم في غنى عن الخوض في سند الكلام، ليقينهم بصدوره عن الإمام المعصوم عليه السّلام.

نأخذ نماذج على ما قلناه، دعاء كميل، ودعاء الصباح، للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، ودعاء عرفه للإمام الحسين عليه السّلام، فإن من له أدنى أنس بكلماتهم يعلم يقيناً بصدور هذه الأدعية عن مقام العصمه، سواء كان لها سند أو لا.

وهذا ما حصل لبعض أكابر علماءنا الأعلام حينما سئل عن سند بعض الروايات أو الأدعية أو الزيارات. فالشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله صرّح بخصوص دعاء الصّباح - وهو أحد الأدعية المرويّه عن أمير المؤمنين - بقوله: قوه منته يكشف عن قطعته صدوره عن المعصوم (1).

وإنّ هذه الكبرى لتتطبق على الزيارة الجامعه. وعلى هذا الأصل بنى الفقيه المحدّث السيد عبداللّه شبر رحمه الله الخير بكلام أهل البيت عليهم السّلام حينما يتحدّث عن الزيارة الجامعه فيقول:

«إن فصاحه ألفاظها وفقراتها، وبلاغه مضامينها وعباراتها، تنادى بصدورها عن عين صافيه نبعت عن ينباع الوحي والإلهام. . .» (2).

هذا كلّه، مضافاً إلى أن أكثر مضامينها ومفاهيمها قد ورد في روايات معتبره عن أهل البيت الأطهار، بل إن كثيراً منها وارد في كتب العامه بأسانيدهم عن

ص: ٦٥

١-١) الفردوس الأعلى: ٧٦.

٢-٢) الأنوار اللامعه في شرح الزيارة الجامعه: ١٨.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ عَنْ بَعْضِ صَحَابَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْضاً مِمَّا يُورِثُ الْيَقِينَ بِصُدُورِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ عَنْ مَقَامِ الْعَصْمَةِ.

الزيارة الجامعة في كلمات الأَكابر

ولا بأس بإيراد بعض الكلمات بشأن الزيارة الجامعة:

فمن ذلك كلام المولى محمد تقي المجلسي رحمه الله، فإنه قال:

«ولمّا وقّنى الله تعالى لزياره أمير المؤمنين عليه السلام شرعت فى حوالى الروضه المقدسه فى المجاهدات، وفتح الله علىّ ببركه مولانا صلوات الله عليه أبواب المكاشفات التى لا تحتملها العقول الضعيفه، رأيت فى ذلك العالم- وإن شئت قلت: بين القوم واليقظه- عند ما كنت فى رواق عمران جالساً، أنى بسيراً من رأى، ورأيت مشهداً فى نهايه الإرتفاع والزينه ورأيت على قبريهما لباساً أخضر من لباس الجنّه، لأنه لم أر مثله فى الدنيا، ورأيت مولانا مولى الأنام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه جالساً ظهره على القبر ووجهه إلى الباب، فلما رأته شرعت فى الزيارة الجامعة بالصّوت المرتفع كالمداحين، فلما أتممتها قال عليه السلام: نعمت الزيارة.

قلت: مولاي، روحى فداك، زياره جدّك، وقد أشرت إلى نحو القبر.

قال: نعم، أدخل... (١).

وقال رحمه الله بشرح الزيارة من كتابه (روضه المتّقين فى شرح من لا يحضره الفقيه):

ص: ٦٦

والحاصل: إنه لا- شك لى أن هذه الزياره من أبى الحسن الهادى سلام الله عليه بتقرير الصّاحب عليه السّلام، وأنها أكمل الزيارات وأحسنها، بل بعد تلك الرؤيا، أكثر الأوقات أزور الأئمّه عليهم السّلام بهذه الزياره، وفى العتبات العاليات ما زرتهم إلّابهذه الزياره» (١).

وهذه حكايه فريده من نوعها ومكاشفه جليله قد حصلت لهذا العالم الجليل، ولا ينالها إلّاذو حظ عظيم.

وهذا كلام صادر عن عَلم من الأعلام ألا وهو المجلسى الأول رحمه الله وله شأن عظيم فى الطائفه. وحسبما أفصح عنه، فالزياره الجامعه أكمل الزيارات وأحسنها، وهى ليست من اختلاق البعض أو قد لفقها أحد ثم نسبها إلى الإمام الهادى عليه السّلام.

ومن ذلك: كلام المولى محمّد باقر المجلسى الثانى رحمه الله، فيقول فى نفس الصدّد:

«وإنما بسطت الكلام فى شرح تلك الزياره قليلاً وإن لم أستوفِ حقّها حذراً من الإطاله، لأنها أصحّ الزيارات سنداً وأعمّها مورداً وأفصحها لفظاً وأبلغها معنىً وأعلاها شأنًا» (٢).

وهى شهاده أخرى من عَلم خبير فى معرفه الروايات والأدعيه والزيارات، وليس لمنصفٍ فيه ملمز ولا- مهمز، وهو حجه عندنا وليس لنا من محيص فى الإذعان بإخلاصه وخدماته والأخذ عنه فى هذه الموارد.

ص: ٦٧

١- ١) روضه المتّقين ٥/٤٥٢.

٢- ٢) بحار الأنوار ٩٩/١٤٤. [١]

ومن العلماء الذين أدلوا بدلوهم في هذه القضية وهو أهل لذلك: السيد عبداللّٰه شبر الأنف الذكر، وكان معاصراً للعلامه المجلسي رحمه الله والسيد نعمه الله الجزائري رحمه الله، وهؤلاء في طبقه واحده من الشائيه والمكانه. يقول رحمه الله في هذا المجال:

«إن زياره الجامعه الكبيره من أعظم الزيارات شأناً وأعلاها مكانه ومكاناً، وإن فصاحه ألفاظها وفقراتها وبلاغه مضامينها وعباراتها تنادى بصدورها من عين صافيه نبعت عن ينباع الوحي والإلهام، وتدعو إلى أنها خرجت من ألسنه نواميس الدين ومعامل الأنام، فإنها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق الملك العلام، قد اشتملت على الإشاره إلى جملته من الأدله والبراهين المتعلقة بمعارف أصول الدين وأسرار الأئمه الطاهرين ومظاهر صفات رب العالمين، وقد احتوت على رياض نصره وحدائق خضره، مزينه بأزهار المعارف والحكمه، محفوفه بثمار أسرار أهل بيت العصمه، وقد تضمّنت شطراً وافراً من حقوق أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وأهل البيت الذين حثّ الله على متابعتهم، وذوى القربى الذين أمر الله بمودّتهم، وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم، مع الإشاره إلى آيات فرقائيه وروايات نبويه وأسرار إلهيه وعلوم غيبيه ومكاشفاتٍ حقّيه وحكم ربائيه. . .» (١).

وهكذا هو شأن علمائنا الأعلام في كلّ ما يقولونه في الموارد المختلفه، فإن كلامهم يخرج موزوناً ودقيقاً، سواء كان مدحاً أو ذمّاً، نهياً أو أمراً، كتاباً أو روايه وحديثاً، فهم عرفاء حكماء يعون ما يقولون. ومن هذا المنطلق يأتي كلام السيد عبداللّٰه شبر في وصف الزياره: «فإنها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق» .

ص: ٦٨

ثم يعطف على ذلك بقوله:

«إشتملت على الإشارة إلى جملة من الأدلة والبراهين المتعلقة بمعارف أصول الدين» .

محصل هذه الكلمات

مثل هذه التفريظات الصّادره فى حق الزياره الجامعه تكشف عن نهجين:

١-إثبات هذه الزياره وتأصيلها بما يكشف عن حقائق مضامينها، وقد بذلنا الجهد مع ما نحن عليه من فهم قاصر لتوضيح وتبيان جوانب من هذه الحقائق.

٢-دفع أوهام البعض ودحض ما قد يشار عن جهلٍ من أنّ الزياره الجامعه تحتوى على مضامين تغالى فى شأن أئمّه أهل البيت عليهم السّلام.

ولذلك انبرى المحدّث القمى بإيراد قول المعصوم بما يلزم على الزائر تلفظه قبل الشروع بقراءه الزياره:

«عن موسى بن عبدالله النخعى أنه قال للإمام على النقى عليه السّلام...»

فقال: إذا صرت إلى الباب... فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرّه... ، ثم قف وكبر الله ثلاثين مرّه، ثم ادن من القبر وكبر الله أربعين مرّه، تمام مائه تكبيره» .

ثم يعلّق المحدّث القمى على ذلك بقوله:

«ولعلّ الوجه فى الأمر بهذه التكبيرات هو الاحتراز عمّا قد تورثه أمثال هذه العبارات الوارده فى الزياره من الغلوّ والغفله عن عظمه الله سبحانه وتعالى، فالطباع مائله إلى الغلو، أو غير ذلك من الوجوه» (١).

ص: ٦٩

وهذا ما نشهده اليوم من بعض المتخرفين من أن الزياره الجامعه فيها غلوّ بشأن الأئمّه.

والبعض الآخر راح يصنّف الشيعه إلى صنفين:

١-الشيعه المغالون.

٢-الشيعه المعتدلون.

وحسب تصنيف هؤلاء، فالذين لا- يعتقدون بالزياره الجامعه ومفاهيمها، شيعه وإن أنكروها، وأما من يعتقد بها ويقرؤها فهم الغلاه.

من هنا نجد أن الأمر يتطّلب الكلام عن الغلو كأحد بحوثنا التمهيديه:

ص:٧٠

اشاره

*الغلو في اللغة

*الغلو كما في الروايات

*الاعتدال بين الغلو والتقصير

*كلام الشيخ المجلسي في الغلو

ص: ٧١

وإن المسلم به-تاريخياً وعقائدياً- أن الأئمة عليهم السلام كانوا يطردون الغلاة ويكفرونهم ويبرءون منهم، وكانوا يحدّرون شيعتهم-على الدوام-من الإتصال بهم والاستماع إليهم.

وإنك لتجد في مصنفات علماءنا الحديثيه والكلاميه أبواباً خاصّه في بحوث الإمامه تحت عنوان «نفى الغلو في النبي والأئمه عليهم السلام» .

قال الراغب:

«الغلو تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السّعر: غلاء. وإذا كان في القدر والمنزله: غلو...» (١).

وقال ابن منظور:

«غلا في الدّين والأمر يغلو غُلوّاً: جاوز حدّه. وفي التنزيل: «لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ». غلوت في الأمر غُلوّاً وغلانيه وغلانياً، إذا جاوزت فيه الحدّ وأفرطت فيه» (٢).

ص: ٧٣

١- (١) المفردات في غريب القرآن: ٣٦٤. [١]

٢- (٢) لسان العرب ١٣٢/١٥. [٢]

ومن جملة المصنفات التي أوردت روايات كثيرة وخطيره في نفى الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام كتاب (بحار الأنوار).
ومن الأخبار المرويّه فيه:

ما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى إتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً» (١).
يُفهم من هذا النص أن بعض من عاصر النبي الأكرم كان يعتقد بالوهيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ويتضح أيضاً من هذه الرواية معنى الغلو.

وفي روايه عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول فيها:

«اللهم إني بريء من الغلاة كبرائه عيسى بن مريم من النصارى، اللهم أخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً» (٢).

وفي روايه أخرى عن الإمام الثاني عشر صاحب الزمان-عليه السلام- إنه قال:

«تعالى الله عزّ وجلّ عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركائه في عمله ولا في قدرته. . .» (٣).

وكذلك روى عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال:

«إياكم والغلوّ فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم. . .» (٤).

ص: ٧٤

[١- ١] بحار الأنوار ٢٥/١٣٤ و ٢٦٥ و ٢٧١. [١]

[٢- ٢] بحار الأنوار ٢٥/٢٦٦-٢٨٤ و ٧٦/٢٢٦. [٢]

[٣- ٣] الصحيفة الهاديّه والتحفه المهدويه: ٢٣٥.

[٤- ٤] بحار الأنوار ١٠/٩٢ و ٢٥/٢٧٠. [٣]

ورغم أننا سنذكر بيان الشيخ المجلسي في ذلك، فإن هذه الروايات تمنحنا معياراً نسير على نهجه.

ويقول الإمام الرضا عليه السلام في بيان آخر:

«فمن ادعى للأنبياء ربوبيته، أو ادعى للأئمة ربوبيته أو نبوته، أو لغير الأئمة إمامه، فنحن برآء منه في الدنيا والآخرة. . .» (١).

«وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإنى برىء من الغالين» (٢).

وينقل أحدهم للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عقيدة الغلاة، فيقول:

«يا بن رسول الله، فإن معى من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلها صفات علي عليه السلام وأنه هو الله رب العالمين.

فلما سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائضه وتصبب عرقاً وقال:

سبحان الله عما يقول الظالمون الكافرون علواً كبيراً، أو ليس كان علي عليه السلام آكلًا في الآكلين وشاربًا في الشاربين؟!» (٣).

بلى، كان عليه السلام إنساناً كباقي الناس يأكل ويشرب. . .

وهناك روايات أخرى في هذا المجال حريئة بالمراجعه والإعتاظ بها.

الإعتدال بين الغلو والتقصير

ولكى نكون على معرفه بالأئمة عليهم السلام، لابد لنا من استقصاء كلماتهم حتى نتفهم مراتبهم التي رتبهم الله فيها، دون أن نقع في متاهات الغلو أو نضل في

ص: ٧٥

١-١) بحار الأنوار ٢٥/١٣٤ و ٢٧١. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٤/٣٠٣ و ٢٥/٢٧٣ [٢] والاحتجاج ٢/٤٣٨. [٣]

٣-٣) بحار الأنوار ٢٥/٢٧٣. [٤]

مرديات التقصير، لأن كليهما حرام.

وهذا ما نجده في خطاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام لأبي حمزه الثمالي إذ قال له:

«يا أبا حمزه، لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله» (١).

وفي روايه أخرى يقول عليه السلام:

«فإن الغلاة شرّ خلق الله، يصعّرون عظمه الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله، إن الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا» (٢).

وهناك نص آخر عنه عليه السلام في هذا الصدد، يعطينا مناراً نستدلّ به في بعض البحوث، يقول فيه عليه السلام:

«كان عليّ عليه السلام-والله-عبداً لله صالحاً، أخو رسول الله (٣) ما نال الكرامه من الله إلا بطاعته لله ولرسوله. . .» (٤).

فأى كرامه هذه التي نالها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعبوديته وعبادته وطاعته لله جلّ وعلا؟

فأتضح لنا من خلال الروايات الآنفه الذكر وأمثالها مواقف الأئمة عليهم السلام المتشدده في مواجهه ضلال الغلاة وخطر الغلو.

ومن خلال ذلك أيضاً تبين معنى الغلو بما فيه من تأليه النبي والاعتقاد بنبوّه

ص: ٧٦

١-١) بحار الأنوار ٢٨٣/٢٥ و ٣٠٦/٣٩. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٢٦٥/٢٥ و ٢٨٤. [٢]

٣-٣) بحار الأنوار ٢٦٥/٢٥ و ٢٨٤.

٤-٤) بحار الأنوار ٢٨٦/٢٥. [٣]

أو ألوهيته الإمام، أى أن يتجاوز الإنسان الحدّ فى منزله النبى والإمام، بأن يعتقد أكثر مما هو للنبى أو الإمام، أو يقول بأنه شريك لله.

والخلاصه هى: إن الأئمة والنبى ليسوا بآلهه ولا شركاء لله سبحانه ولا حلّ فيه ولا آتحدوا. والإعتقاد بشىء من هذه المفاهيم هو مصداق للغلو فى النبى والإمام.

فهم فى الوقت الذى يأمرونا أن نقول: «هم عبيد مربوبون» يقولون:
«قولوا فىنا ما شئتم» .

وهم فى الوقت الذى ينهوننا عن أن نقول: «هم أرباب» يقولون:
«قولوا فىنا ما شئتم» .

ثم يقولون: «لن تبلغوا» أى: لا يمكننا درك واقع شأنهم ومنزلتهم عند الله!
لقد عزّفوا أنفسهم فى الزياره الجامعه بأنهم:

«عباده المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» .

وهذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم- كما سيأتى فى محلّه- حيث يقول تعالى:

«بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ١.

وخلاصه الكلام: إنه مع حفظ صفتى العبوديه والمخلوقيه للأئمة عليهم السلام، لنا أن نقول فيهم ما نشاء.

ولتسائل: ما هى الكرامه الممنوحه من الله جلّ وعلا-؟ وأى منزله هذه التى حظى بها هؤلاء الساده، بحيث أصبحوا «لا يفعلون إلّما يؤمرون»؟

وجاء في روايه صحيحه-بل هي متواتره من طرق الخاصه والعامه-عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ:

«لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُؤْمَرُ بِهِ» (١).

فنحن لسنا مغالين، بل نُهيننا عن الغلو بأن نقول: إِنَّ الإِمَامَ نَبِيًّا، فَضِلًّا عَنِ قَوْلِنَا: إِنَّهُ رَبٌّ.

إِنَّ الَّذِي نَقُولُهُ هُوَ: أَنَّ الْأَثْمَةَ عِبَادَ اللَّهِ، حَازُوا عَلَى مَقَامِ عِنْدَ اللَّهِ، وَبَلَّغُوا شَأْنًا مِنَ الشَّأْنِ لَمْ وَلَنْ يَبْلُغَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

أُنشِدْ كُمْ بِاللَّهِ، هَلْ فِي هَذَا غَلْوٌ؟

أَيْنَ مَحَلُّ الْغَلْوِ فِي شَخْصٍ إِذَا بَلَغَ عَلَى أَثَرِ عِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ أَنْ يَمْنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ هَذَا الدُّنْوِ وَالْإِقْتِرَابِ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى؟

كلام الشيخ المجلسي في الغلو

وبعد ما ينقل الشيخ المجلسي بعض الروايات في الغلو، يعرّج على آراء بعض العلماء في الغلو فيقول:

قال الشيخ الصدوق رحمه الله:

إِعْتِقَادُنَا فِي الْغَلَاةِ وَالْمَفْوُضَةِ: أَنَّهُمْ كَفَّارٌ بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَنَّهُمْ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ . . .

وَإِعْتِقَادُنَا فِي النَّبِيِّ وَالْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَتَلُوا بِالسَّيْفِ، وَبَعْضُهُمْ بِالسَّمِّ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَرَى عَلَيْهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّهُمْ مَا

شَبَّهَ أَمْرَهُمْ . . .» (٢).

ص: ٧٨

١- ١) المعجم الأوسط ١٦٢/٦، تاريخ مدينه دمشق ١٩١/٤٢، كتر العمال ١١/٦١٢.

٢- ٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٢. [١]

من هذا النصّ نعلم أن مثل هذا الكلام كان تناقله بعض الألسن أيضاً في تلك الأزمنة، فالقرآن الكريم ينقل لنا قصه عيسى عليه السلام في قوله تعالى:

«وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا» ١.

وفي الواقع، فإن الأئمة عليهم السلام كان يُقتلون حقاً، إذ كانوا بشراً يعترتهم الموت والحياه مثل سائر أفراد البشر، والغلو في هذا الأمر ممنوع.

ثم يسترسل شيخنا المجلسي في كلامه، فينقل كلام الشيخ المفيد ويعلق عليه فيقول:

«إعلم أنّ الغلوّ في النسيب والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله في العبوديّة أو في الخلق والرزق، أو أن الله تعالى حلّ فيهم أو إتحد بهم و... القول بأنهم كانوا أنبياء... أو القول بأن معرفتهم تُغنى عن جميع الطاعات، ولا- تكليف معها بترك المعاصي. والقول بكلّ منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها...» (١).

ثم يضيف بعد تعريفه للغلوّ قائلاً:

«ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدّثين لقصورهم عن معرفه الأئمة، وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم، فقدحوا في كثير من الرواه الثقات، لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتى قال بعضهم: من الغلوّ نفى السيهو عنهم، أو القول بأنهم يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك» (٢).

ص: ٧٩

١- ٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٦. [١]

٢- ٣) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٧. [٢]

وفى ذلك إشارة منه رحمه الله إلى رأى الشيخ الصدوق فيما يخص سهو النبى صلى الله عليه وآله، وهو رأى أفرط فيه الصدوق رحمه الله نتيجة عدم تمكنه من حلّ بعض الأخبار المشكّله.

ولابدّ من القول أننا قد تطرّقنا فى بحوثنا عن العصمه لنظريه الشيخ الصدوق رحمه الله نقداً وتحليلاً، وقلنا هناك:

إذا كان الشيخ الصدوق رحمه الله يقول بأن نفى السهو عن المعصوم غلوّ، فهذا الكلام فى الواقع سهو من نفس الشيخ الصدوق رحمه الله، ورغم أننا نكنّ له كامل الإحترام والتقدير والتجليل، إلّا أننا لا نقلّم أحداً فى هذا المضمار، لأنّ العقائد تدور حول الأدلّه القطعيّه العقليه والنقليه.

وعلى الرغم من معرفه الشيخ المجلسى رحمه الله بمكانه الشيخ الصدوق رحمه الله وعلوّ شأنه أكثر منّا، مع كلّ ذلك فهو يصفه بقوله الآنف:

«أفرط بعض المتكلّمين والمحدّثين لقصورهم...» .

على هذا الأساس، فإن اعتقادنا بالأئمّه هو أنهم «يعلمون ما كان وما يكون» . وإذا ما قال أحد: هذا غلوّ، فإنه مخطئ، بل إن الأمر أرفع مما يتصوّر، وأعلى ممّا يطيق، وهو ما أرادّه المعصوم عليه السّلام بقوله:

«لا تقولوا فينا ربّاً، وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا...» (١).

قال: «ولنّ تبلغوا»، لقصور عقولنا عن فهم مراتب ومنازل الأئمّه عليهم السّلام كما نقرأ فى روايه أخرى:

«إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبى مرسل أو عبد

ص: ٨٠

مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان» (١).

ثم يقول شيخنا المجلسي:

«فلا بدّ للمؤمن المتدين أن لا يبادر بردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم، إلّا إذا ثبت خلافه بضروره الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمه أو بالأخبار المتواتره. . .» (٢).

فإذا ما ورد عن رواتنا الثقاہ وفي تضاعيف مصنفاتهم أخبار عن مراتب وفضائل ومعاجز وعظمه شأن الأئمّه عليهم السّلام، فلا ينبغي للمؤمن المتدين أن يردّ ذلك أو ينفيه حتى وإن لم يدركه في عقله.

وإنما خصصنا المؤمن المتدين بالذكر، احترازاً عن غير المتدين الذي لا يتقيد بميزان علمي ولا بمعيار عقلي، وإنما يطلق آراءه حسبما يملئ عليه هواه أو بمقدار عقليته المحدوده، هذا إذا لم يكن هناك تأمل وشك في إيمانه. وهذا ما نجده في بعضهم من الذين يطلقون آراءهم بتكذيب أو إنكار مطالب لم تستوعبها عقولهم، أو لا تنسجم مع أمزجتهم، وهذا ما لا يتناسب مع الإيمان والتدين والمعرفه التي تفتضيها رواياتنا.

أقول: إننا أمام محذورين كلاهما حرام:

الأول: محذور الغلو.

والثاني: محذور التقصير.

والمطلوب منّا أن لا نكون في المقصّرين ولا من المغالين. أي: أن لا نكون ممن يدعى للأئمّه فوق ما هم عليه، ولا ممن يغمطون حقّهم بأقلّ مما يستحقّونه.

ص: ٨١

١-١) بحار الأنوار ٢/٧١. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٦. [٢]

هذا من جانب، ومن جانب آخر، أن لا نتقوّل الكذب على الأئمّه، فكلامهم «قولوا فينا ما شئتم» لا يعطى المبرّر بأن نطلق ألسنتنا بتقول الكذب عليهم، أو ننسب إليهم ما هو عارٍ من الدليل ويخالف الواقع، ذلك لأن عبارته «قولوا فينا ما شئتم» مقيّده بما دلّ على حرمة الكذب والقول من غير علم ولا هدى، فلو أن أحداً أخبر-مثلاً-أن الإمام عليه السّلام، كان يُطعم المساكين في شهر رمضان بالآلاف في كلّ ليلة، فهو مفترٍ كذاب.

إذن، فما على المؤمن إذا ما أراد مدح الأئمّه إلماً أن ينقل ما ورد في حقهم صحيحاً ولا تمنعه الأدلّه القطعيّه، وإن لم يستوعبه إدراكه العقليّ.

المعرفه الحقيقيه

إننا نعتقد أن خير ما يوصلنا إلى معرفه شخص معيّن معرفه حقيقيّه بعلمه وفضله وتقواه-مثلاً-هو السّماع من نفس ذلك الشخص كما ذكرنا سابقاً، لأن المفروض كونه صادقاً في الكلام، لا- أن يلقّ له الناس فضائل ومناقب لم تعرف عنه في حياته، أو يختلقون له أموراً على لسان أناسٍ من الأموات.

تأسيساً على هذا الأصل، فإن أفضل من يحكى لنا ما يعرّفنا معرفه حقيقيّه بالنبي والأئمّه من آله صلوات الله عليهم أجمعين، ذواتهم المقدّسه وألسنتهم الصّادقه التي لا- تنطق عن الهوى، وإلماً، ألا يلزم أن يكون المعرّف أعلى من المعرّف؟ فمن هو أرفع منهم وأعلى؟

من هنا، فلا بدّ من إرجاع كلّ ما جاءنا بهذا الصّيد-عن طريق الأساتذّه والمشايخ وكبار الرواه والمحدّثين-إلى أهل العصمه أنفسهم، ونطبّقه على ما صدر عنهم عليهم السّلام، وهذا مصداق «قولوا ما فينا شئتم» وهو الجادّه الوسطى بين الغلوّ والتقصير.

إنه بالتأمل فى نصّ الزياره الجامعه البليغ، تظهر لنا محاورها الأساسيه التاليه:

١-السلام

فواضح أن أوّل عمل يؤديه الداخل على شخصٍ ما هو السلام.

ولا- شك فى أن السّلام على المعصوم يختلف عن السّلام على غيره، كما سنوضح ذلك لاحقاً، لما تحويه عبارات الزياره من خصوصياتٍ تفرّد بها أهل البيت عليهم السّلام دون غيرهم، وفى هذه الحاله لابدّ أن نؤدى السّلام عليهم بما تعلّمناه منهم.

٢-الشهادتان

وهما ما نقرّ به بعد السّلام عليهم:

شهاده أن لا إله إلا الله.

والشهاده برساله النبى الأكرم صلّى الله عليه وآله.

٣-الشهاده الثالثه

وهى ما نشرع بها بقولنا:

«وأشهد أنكم الأئمه الراشدون المعصومون المكرّمون المقربون. . .» .

وهذه الشهادة غير شهادتنا بولاية الإمام على عليه السلام التي في الأذان والإقامة بقولنا: «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله»، بل هي شهادة بولايه ومراتب وفضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام الكثيره.

٤-الإقرار العقائدى أمام المعصوم

حيث نقوم لدى الزياره بعرض معتقداتنا على الأئمه عليهم السلام.

٥-الدعاء والتوسّل

فبعد عرض المباني العقائديه والإقرار بها أمام الإمام عليه السلام، نشرع بالتوسّل وطلب العون منه، ونجعله شافعياً فيما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى.

إذن، لما حصلنا على إذن الدخول، نؤدّي السّلام، ونقرّ بالشهادتين، ثم نشهد الشهاده الثالثه، ثم نعرض اعتقاداتنا ومبادئنا الحقه، وأخيراً نتوجه بالمعصوم عليه السلام إلى الله وحيهاً وشفيعاً لنا عنده جلّ وعلا.

هذه هي المحاور الأساسية للزياره الجامعه.

فكتابنا يقع في أقسام:

ص: ٨٤

القسم الأول السلام على الأئمة علم ومعرفة

أشاره

ص: ٨٥

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَ مَوْضِعِ الرَّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ وَ مَهْبِطِ الْوَحْيِ وَ مَعْدِنِ الرَّحْمَةِ وَ خَزَانِ الْعِلْمِ وَ مُنْتَهَى الْجِلْمِ
وَ أُصُولِ الْكِرَامِ وَ قَادَةَ الْأُمَمِ وَ أَوْلِيَاءِ النَّعْمِ وَ عَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ وَ دَعَائِمِ الْأَخْيَارِ وَ سَاسَةَ الْعِبَادِ وَ أَرْكَانَ الْبِلَادِ وَ أَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَ أُمْنَاءَ
الرَّحْمَنِ وَ سُلَالَهَ النَّبِيِّينَ وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَ عِترَةَ خَيْرِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ

من آداب الدخول فى أى مكان، السَّلَام، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ١.

وورد فى آيه أُخرى:

«فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ» ٢.

وحينما نفوز بشرف الحضور عند الإمام المعصوم، فلا بدّ من أداء الاحترام بالسَّلَام عليه، لكنّ أداء الاحترام للمعصوم يتطلّب آداباً تمتاز عن باقى الأماكن والأشخاص، لذا كان من اللّازم تعلّم هذه الآداب كما علّمنا الأئمّه الهداه عليهم السَّلَام تلطّفاً منهم علينا.

فكيف نسلم على الإمام؟ وبأى عبارات نخاطبه حتى يكون مناسباً لخصوصيّات الزمان والمكان الذى نحضر فيه؟

فالسَّلامُ إسمٌ من أسماء الله الحسنى، حيث ورد في القرآن الكريم:

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ» . . ١.

ومن أسماء الجنَّة: دار السَّلام، قال تعالى:

«وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ» ٢.

وذلك، لأنَّ السَّلامه الحقيقيه ليست إلَّا في الجنَّة، إذ فيها بقاء بلا فناء و غنى بلا فقر و عزّ بلا ذلّ و صحه بلا سقم (١).

و «السَّلام» هو «السَّلامه» وقد يتعدّى ب «على» كقوله تعالى: «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» ٤ وقد يعدّى ب «اللام» كقوله تعالى:

«فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» ٥

و السَّلام نوع من التحيه، قال تعالى:

«تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ» . . ٦.

ويراد من السَّلام التَّأليف بين القلوب وإظهار المحبه والصَّفاء والمسالمة.

ثم إنه قد يراد السَّلام من الله فيقال: سلام الله عليكم، فإنَّ كان الخطاب للإمام عليه السَّلام، فذاك إشارة إلى منازلته الجليله عند الله، وإنَّ كان الخطاب لسائر الناس، فالمراد الدعاء بالسَّلامه من الله له.

ص: ٩٠

إنَّ كلَّ عملٍ يؤدَّى فيه الإنسان الإحترام للآخرين سواء كان كلاماً جميلاً أو حركةً كوضع اليد على الصدر، أو على الرأس، أو القيام إحتراماً لقادم، أو بتقديم طاقه ورد، ينطبق عليه عنوان التحيّة.

فالنسبه بين السلام والتحيّة هي العموم والخصوص، فكلّ سلام تحيّه، وليس كلّ تحيّه سلاماً.

ولكنّ السلام تحيّه أهل الجنّه بعضهم لبعض، قال تعالى:

«إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» ١.

وفي آيه أخرى:

«تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» ٢.

فلذا جعل «السلام» شعار المسلمين في دار الدنيا، لما فيه من الدلالات المعنويه الكبيره والآثار الاجتماعيه الكثيره.

ومن هنا، فقد شرّعت في الشريعه المقدسه للسلام-دون غيره من أنواع التحيّه-أحكامٌ كُلف المؤمنون بها وبعضها إلزامي يعاقب على تركه.

يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوّه

إشاره

يا: حرف نداء، وينادى به القريب والبعيد كما نصّت عليه كتب اللغه والنحو.

وعليه، يمكن زياره الأئمه المعصومين بالزياره الجامعه من قريب أو بعيد، رغم أن الزياره بحضور الروح والجسد عند المعصوم أفضل كما ذكرنا من قبل.

ص: ٩١

ثم إنَّ عنوان «أهل البيت» أصبح مصطلحاً في الكتاب والسنة، وعَلِمًا بين المسلمين للنبي والمعصومين من أهله عليهم الصّلاه والسلام.

لقد اتخذ عنوان «أهل البيت» في القرآن والسنة صفة اصطلاحية.

فبالرغم من أن القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، إلّا أن له خطاباً خاصّاً ينفرد به وأسلوباً متميّزاً، ومن جملة مفردات الخطاب القرآني الخاصّ، مصطلح «أهل البيت»، فقد انحصر كتاباً وسنّة بالرسول الأكرم محمّد صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليّ المرتضى والصّدّيقه الطّاهره فاطمه الزهراء والأئمّه عليهم الصّلاه والسلام.

لقد استوفى هذا المصطلح حقّه بالبحث والدراسة من قبل المحقّقين في مواضعه الخاصّه به. وقد تناولنا طرفاً من ذلك في ذيل آية التطهير في كتابنا الكبير (نفحات الأزهار في خلاصه عبقّات الأنوار) (١).

ونتعرّض هنا لبعض ما ذكرناه هناك، ونحيل التفصيل إلى موضعه، فنقول:

ربّما يقال-كما عن بعض أهل السنّه-أن المراد هم الأشخاص الذين كانوا يسكنون في بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتى النساء والجوارى والغلمان، وذلك، لأن كلمة «الأهل» أطلقت في القرآن الكريم على الزوجه وحدها، إذ قال تعالى في قصّه موسى عليه السلام:

«وَسَارَ بِأَهْلِهِ» ٢.

ص: ٩٢

ونحن نعلم أنه لم يكن مع موسى إلما زوجته، وقد أطلقت كلمه «الأهل» وليس المراد غيرها، مضافاً إلى أن هذه الكلمه تأتي في اللغه بمعنى الزوجه وسكان الدار.

إننا لا ننكر هذا، ولكن الكلام في عنوان «أهل البيت» المركب من «الأهل» و «البيت»، فإننا-على ضوء الكتاب والسنة وخاصة آيه التطهير وما ورد بديلها صحيحاً، وكذا سائر الاستعمالات من الأئمة والصحابه والتابعين وعموم المسلمين نظماً ونثراً-نقول:

إن المقصود من «أهل البيت» متى ما أطلق ليس المعنى اللغوي، بل لقد أصبح علماً أو لقباً ذا مصداقيه حصريه، لأننا لم نجد في الكتاب والسنة وسائر الاستعمالات الصحيحه مصداقاً له إلا محمداً وآل محمداً، ونكتفى هنا بشاهدين:

أحدهما: قول النبي صلى الله عليه وآله في آيه التطهير: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (١).

والآخر: قول زيد بن أرقم-فيما أخرجه مسلم-أنه لما سئل عن معنى «أهل بيتي عترتي» في حديث الثقلين وأنه يشمل الأزواج أو لا؟ قال: لا... (٢).

نعم، متى شمل العنوان ذريه أهل العصمه فهو من باب «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» (٣).

ص: ٩٣

١-١ (١) جامع الأصول ١٠٠/١٠.

٢-٢ (٢) صحيح مسلم ٢٣٨/٢.

٣-٣ (٣) سورة الطور، الآية: ٢١. [١]

لقد كان من الصحيح لو قيل هنا: يا أهل بيت النبي، فما هي النكته في إضافته «أهل البيت» إلى «النبوة»؟

هناك أربعة وجوه للإجابة على هذا السؤال، وكلها مستقاة من الكتاب والسنة وتشهد بها كلمات العلماء، وكل واحد من هذه الوجوه يصلح لأن يكون بياناً للنكته الكامنه في هذا التعبير.

استقرار وظائف النبوة في أهل البيت

هناك فرق لغوي بين البيت والدار، فالبيت أخص من الدار، وهو يعنى الغرفه، والدار يشتمل على الغرفه وغيرها من الأجزاء.

ولابد لكل من البيت والدار-من أى مادّه كان إنشاؤه-من حائط أو سور وسقف، ليصبح سكناً ومستقراً للإنسان ويحفظه من الحرّ والبرد ويحميه من الأذى ويستتره من الأجنبي، حتى يذوق في العيش فيه طعم الإطمئنان الروحي والجسدي، وفي غير هذه الصوره لا يصح إطلاق البيت عليه.

ولما كان البيت مفهوماً ما يستتب فيه الإستقرار والسكون، ولذا قالوا: البيت المسكن (1)، فإنه يمكننا إطلاق هذا العنوان على مصاديق معنويه، فيقال: فلان من بيت علم، أو من بيت تقوى. إذ المراد هنا استقرار العلم والتقوى فيه، وإلّا فالعلم والتقوى ليسا من الأشياء التي تأخذ حيزاً خاصاً أو تشغل مكاناً معيناً.

وعلى الجملة، فإن «البيت» هو محلّ الاستقرار، ومن هنا يظهر معنى «بيت الله» أى «الكعبه» المكرّمه، إذ قال تعالى:

ص: ٩٤

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا» ١.

وقال إبراهيم عليه السلام:

«رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» ٢.

فقد أضيف «البيت» إلى «الله» إضافه تشرifiه، ولا شك أن المراد كون «الكعبه» محلاً لتوجه الناس في عباده الله سبحانه، فعباده الله ومعرفته والتضرع إليه مستقره في هذا المكان.

وكذلك يظهر المراد من الخبر المروي عن أهل البيت عليهم السلام من قولهم:

«نحن... بيت الله» (١).

فهم موضع معرفه الله، وبواسطتهم يعرف ويعبد، وأن من توجه إليهم فقد توجه إلى الله، ومن قصدهم فقد قصد الله.

وكذلك المراد من قولهم:

«نحن... بيت الرحمه» (٢).

أى: إنَّ الرَّحْمَه مستقره عندنا وكامنه فينا، وسيأتى في الزياره: «ومعدن الرحمه».

من هنا يتضح أن الأئمه المعصومين عليهم السلام هم أهل بيت النبوه، لما ينطون عليه من حقائق وأسرار وخصوصيات ربانيه لا توجد في غيرهم، لعدم

ص: ٩٥

١-٣) بحار الأنوار ٢٣/٤٤، الغارات ١/١١٩.

٢-٤) الكافي ١/٢٢١. [١]

وجود الأهلية لذلك إلا لهم.

وخير دليل على انفرادهم بهذه الخصوصية ما جاء في الأحاديث والروايات المستفيضه التي غصت بها كتب المسلمين من الفريقين، بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يختص الإمام على بن أبي طالب عليه السلام بلقاءاتٍ خاصه، حيث كان يخلو به دون حضور أحد، ويفرغ له من العلوم والمعارف أبواباً لا تحصى، ولم يحظ أحد غيره بهذه الحظوه إطلاقاً.

وقد أشار إلى هذه الحقيقه الراهنه غير واحدٍ من كبار علماء الجمهور المفسرين للقرآن الكريم والشراح للأحاديث النبويه:

فقد قال الحافظ السمهودي بشرح قول النبي صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين...»: :

الذين وقع الحث على التمسك بهم من أهل البيت النبوي والعترة الطاهره، هم العلماء بكتاب الله عز وجل، إذ لا يحث صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك بغيرهم، وهم الذين لا يقع بينهم وبين الكتاب افتراق حتى يردا الحوض، ولهذا قال: «لا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (١).

وقال الشيخ ملا على القاري بشرح الحديث المذكور:

الأظهر هو: إن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته. وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما

ص: ٩٦

قال: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» ١.

وقال نظام الدين النيشابورى صاحب التفسير المعروف، بتفسير قوله تعالى:

«وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» ٢.

قال:

وأَمَّا النَّبِيُّ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الظَّاهِرِ، وَلَكِنْ نُوْر سِرِّهِ بَاقٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَأَنَّهُ بَاقٍ، عَلَى أَنْ عَتَرْتَهُ وَرَثَتَهُ يَقُومُونَ مَقَامَهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ أَيْضًا، . . . وَلِهَذَا قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي» (١).

نبوه الأنبياء السابقين ببركة أهل البيت

إن الأئمة عليهم السلام كانوا أهل بيت النبوة منذ القدم، وأن وجود الأنبياء كان ببركتهم، ونبوتهم كانت قائمة بوجود أهل بيت رسول الإسلام، كما سندلّل على ذلك فى مواضعه المناسبه فى هذا الكتاب.

لقد جاء فى الحديث عند الفريقين: أن الله عزّ وجلّ خاطب آدم عليه السلام مشيراً إلى أهل البيت وهم فى عالم الأشباح:

«... هؤلاء خمسهم من ولدك، لولاهم لما خلقتك، ولا خلقت الجنّة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسيّ، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الجنّ ولا الإنس... فإذا كان لك إلى حاجه فبهؤلاء توسل...» (٢).

دلّ هذا الحديث على أنّ أصل وجود الأنبياء ونبوتهم ببركة أهل البيت، وأنه

ص: ٩٧

١-٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٢٢١. [١]

٢-٤) فرائد السمطين ١/٣٦، [٢] بحار الأنوار ٢٧/٥. [٣]

لولاهم لما كانوا ولما كانت النبوات، والأخبار في هذا المعنى عند الفريقين كثيره.

وجاء بتفسير قوله تعالى:

«فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ١.

طرف من الأخبار، فليراجعها من شاء.

وقال الشيخ البوصيري في قصيده البرده الشهيره التي أنشأها بمدح رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن توسل به فبرء من مرضه: وكل آي أتى الرسل الكرام بها

لقد باح هذا العالم الفقيه المحدث الشافعي بهذه الحقيقه، وتبعه على ذلك شراح قصيدته من الفريقين، وصرحوا بما دلت عليه النصوص المعتبره من أن الأنبياء السابقين كانوا مظاهر النور المحمدي، وأن نبينا صلى الله عليه وآله كان قد سبقهم في الوجود.

ومن جمله تلك النصوص هي الأحاديث المتفق عليها في أن النبي وعلياً مخلوقان معاً من نور واحد، وأنه لازم رسول الله في كل العوالم السابقه، وهذا المعنى ثابت لولده الأئمة الهداه الذين اصطفاهم الله لخلافه نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالأدله المعتبره.

بل إن الأنبياء المتقدمين قد أمروا بدعوه الأمم إلى الإيمان بنبوه نبينا وولايه أمير المؤمنين عليه الصلاه والسلام، وذلك ما روى في كتب الفريقين بتفسير قوله تعالى:

«وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» ١.

أخرج الحاكم، قال: «حدّثنا أبو الحسين محمّد بن المظفر الحافظ، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن غزوان، قال: ثنا علي بن جابر، قال: ثنا محمّد بن خالد بن عبد الله، قال: ثنا محمّد بن فضيل، قال: ثنا محمّد بن سوقه، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عبدالله! أتاني ملك فقال: يا محمّد! «وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» علي ما بعثوا؟ قال: قلت: علي ما بعثوا؟ قال: علي ولايتك وولايه علي بن أبي طالب.

قال الحاكم: تفرد به علي بن جابر، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن فضيل، ولم أكتبه إلّا عن ابن المظفر، وهو عندنا حافظ ثقه مأمون» (١).

فالآية باقية علي ظاهرها، والنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم قد سأل، وكان الجواب: بعث الأنبياء علي ولايته وولايه عليّ، عليهما وعلي آلهما الصّلاه والسلام.

ورواه الثعلبي، قال: «أخبرنا الحسين بن محمّد الدينوري، حدّثنا أبو الفتح محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي، حدّثنا عبد الله بن محمّد بن غزوان البغدادي، حدّثنا علي بن جابر، حدّثنا محمّد بن خالد بن عبد الله ومحمّد بن إسماعيل، قالوا: حدّثنا محمّد بن فضيل، عن محمّد بن سوقه، عن إبراهيم، عن علقمه، عن عبد الله بن مسعود، قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أتاني ملك فقال: يا محمّد! . . .» (٢).

ص: ٩٩

١-٢) معرفه علوم الحديث: ٩٦.

٢-٣) تفسير الثعلبي ١/٢٠٤٠.

ورواه ابن عساكر، قال: «أخبرنا أبو سعد بن أبي صالح الكرمانى وأبو الحسن مكي بن أبي طالب الهمداني، قالوا: أنبأنا أبو بكر ابن خلف، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، حدّثني محمد بن مظفر الحافظ...» إلى آخر ما تقدّم عن الحاكم (١).

ورواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، كما في تنزيه الشريعة عن الحافظ ابن حجر، وفي غير واحد من كتب أصحابنا، أنّه روى بإسناده في هذه الآيه، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليله أُسرى به، جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء، ثمّ قال: سلّمهم يا محمد! على ماذا بُعثتم؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أنّ لا إله إلّا الله، وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعليّ بن أبي طالب (٢).

ورواه الحاكم الحسكاني، قال: «حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: حدّثني محمد بن المظفر...» إلى آخر ما تقدّم...

قال: «وأخبرنا أبو عثمان الحيري من أصله العتيق، قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن المظفر... سواءً لفظاً، ولم يذكر علقمه في الإسناد».

«حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا عمر بن أحمد، حدّثنا علي بن الحسين ابن سفيان الكوفي، حدّثنا جعفر بن محمّد بن أبو عبد الله الحسيني، حدّثنا علي بن إبراهيم العطار، حدّثنا عبّاد، عن محمّد بن فضيل، عن محمّد بن سوقه».

قال: «وحدّثنا أبو سهل سعيد بن محمّد، حدّثنا علي بن أحمد الكرمانى، حدّثنا أحمد بن عثمان الحافظ، حدّثنا عبيد بن كثير، حدّثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسي، حدّثنا ابن فضيل، عن محمّد بن سوقه، عن إبراهيم، عن علقمه

ص: ١٠٠

١- ١) تاريخ دمشق- ترجمه أمير المؤمنين- ٢/٩٧.

٢- ٢) الطرائف في معرفه [١] الطوائف ١/١٠١، البرهان في تفسير القرآن ٤/١٤٨، [٢] غايه المرام: ٢٤٩، [٣] خصائص الوحي المبين: ١٥٣. [٤]

والأسود، عن ابن مسعود، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السِّمْاءِ إِذَا مَلِكٌ قَدْ أَتَانِي فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! سَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسَلْنَا عَلَى مَا بَعَثُوا. قُلْتُ: مَعَاشِرَ الرِّسْلِ وَالنَّبِيِّينَ! عَلَى مَا بَعَثَكُمْ اللَّهُ؟ قَالُوا: عَلَى وَلايَتِكَ يَا مُحَمَّدُ وَوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

ورواه غير علي، عن محمد بن خالد الواسطي، وتابعه محمد بن إسماعيل

أخبرني الحاكم أبو عبد الله، حدّثني أبو سعيد أحمد بن محمد بن رحيم النسوي، حدّثنا أبو محمد الحسين بن عثمان الأهوازي، حدّثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا محمد بن سوقه، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: قال لي النبي . . . به لفظاً سواً» (١).

ورواه الموفق بن أحمد المكي، قال: «وأخبرني شهردار-إجازة-، أخبرني أحمد بن خلف-إجازة-، حدّثني محمد بن مظفر الحافظ، حدّثنا عبد الله بن محمد بن غزوان، حدّثنا علي بن جابر . . . إلى آخر ما تقدّم سواء (٢).

ورواه الحموي، عن شهردار بن شيرويه الحافظ، عن أحمد بن خلف، عن الحاكم، عن ابن مظفر الحافظ . . . كما تقدّم سواء (٣).

ورواه أبو عبد الله الكنجي، قال: «قرأت على الحافظ أبي عبد الله ابن النجار، قلت له: قرأت على المفتي أبي بكر بن عبد الله بن عمر الصفار، قال: أخبرتنا الحرّة عائشه بنت أحمد الصفار، أخبرنا أحمد بن علي الشيرازي، أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبد الله النيسابوري، حدّثني محمد بن مظفر الحافظ . . . إلى آخر ما

ص: ١٠١

١-١) شواهد التنزيل ٢/٢٢٢-٢٢٥. [١]

٢-٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٠. [٢] والظاهر سقوط «الحاكم» بين أبي خلف وابن مظفر.

٣-٣) فرائد السمطين ١/٨١. [٣]

تقدّم سواء (١).

إننا لا نطلق هذه الدعوى جزافاً، وإنما رأينا أنّ الكتاب والسنة المتفق عليها ناطقان بهذه الحقيقة، بحيث أنّ أيّ منصف يتأمل في هذا الموضوع لا يتردد في قبوله والقول به وقد أكثرنا من نقل الحديث ومن طرق الجمهور لأهميته الموضوع، كما لا يخفى. وبالجملة، فإن أهل البيت كانوا أهل بيت النبوه منذ البدايه.

مشاركه أهل البيت في رساله النبي الأكرم

لا شك في أن أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أعني أمير المؤمنين عليّاً والصدّيقه الطاهره الزهراء والأئمه عليهم السلام، من أمه النبي. ولا يوجد نبئ في هذا البيت غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ولا ندعى نبوه لأمير المؤمنين ولا لأحد من الأئمه عليهم السلام، لأن هذه الدعوى غلوّ وكفر.

إلّا أننا لا نغالي إذا قلنا: إن الأئمه عليهم السلام كانوا مشاركين للنبي الأكرم في نبوته ورسالته ودعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وإستمراريتها، فنقول:

لقد كان على مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَآلَهُمَا في جميع العوالم وفي كلّ الأحوال، وقد ذكر في خطبه له كونه معه في غار حراء، وأنه كان يسمع ما يسمع ويرى ما يرى، قال عليه السلام:

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعه ومضّر، وقد علمتم موضعى من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالقرايه القريبه، والمنزله الخصيصه، وضعنى في حجره وأنا ولد، يضمّننى إلى صدره، ويكنفنى إلى فراشه،

ص: ١٠٢

وَيَمْسِي نِي جَسَدِهِ، وَيَشْمَنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقَمْنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَهُ فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَهُ فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا، أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَارَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتَ وَاحِدٍ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَدِيجَهُ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمَمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ.

ولقد سمعت رثه الشيطان، حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: «يا رسول الله ما هذه الرثه؟» فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلي خير» (١).

ثم كان مع رسول الله في جميع المراحل، حتى صح أن يقال بأنه شريكه في الرسالة وأنهما معاً صاحبا الرسالة الإسلاميه، وتلك هي دعوه رسول الله صلى الله عليه وآله، كما في روايه الفريقين:

«اللهم إن موسى بن عمران سألك وقال:

«وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» ٢.

وأنا محمد نبيك، أسألك أن تشرح لي صدرى... واجعل لي وزيراً من أهلى على بن أبى طالب أخى، أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى (٢).

ص: ١٠٣

١- (١) نهج البلاغه: ٤١١. الخطبه القاصعه. [١]

٢- (٣) بحار الأنوار ٣٦/١٢٦، [٢] مطالب السؤل: ٢١، تذكره الخواص: ١٥، [٣] الفصول المهمه: ١٢٤. [٤]

لقد أُوتى موسى ما سأل، قال تعالى:

«قَدْ أُوتِيَ سُؤْلُكَ يَا مُوسَى» ١.

وكذلك أُوتى رسول الله ما سأل، ولذا قال فى الحديث المتواتر:

«على منى بمنزله هارون من موسى» (١).

ومن الشواهد: قضيه المباهله:

فإنه لما قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يباهل نصارى نجران عملاً بقوله تعالى:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» ٣.

فيتهل الطرفان إلى الله بأن ينصر الصادق المحق وينزل لعنته على الكاذب منهما. خرج بعلى وفاطمه والحسين... فكان لأهل بيته الدور المهم فى تثبيت نبوته وصدق كلامه...

وأيضاً، فقد ورد فى كتب الفريقين أنه صلى الله عليه وآله قال لهم لما خرج بهم:

إذا أنا دعوت فأمنوا (٢).

أمرهم بذلك مع أنه لم يكن فى دعائه خلل أو نقص فيحتاج إلى جبره بتأمينهم.

ص: ١٠٤

١-٢) هذا من الأحاديث الثابتة المتواترة عند الخاصه والعامه. أنظر: نفحات الأزهار، الجزء ١٨. [١]

٢-٤) الكشاف فى تفسير القرآن ١/٤٣٤، الصافى فى تفسير القرآن ١/٣٤٣.

أمرهم بذلك مع كونه مستجاب الدعوه.

فما هو-يا ترى-أثر حضور على وفاطمه الصديقه والحسين عليهم السلام فى هذا الموقف المصيرى الذى قال كبير النصارى:

إنى لأرى وجوهاً لو دعوا الله ليزيل جبلاً لأزاله (١)؟

نعم، لو وقعت المباهله لما بقى نصرانى على وجه الأرض (٢).

إن حضور أهل البيت عليهم السلام فى المباهله وتأمينهم على دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله، كان تثبيتاً لأصل نبوه رسول الله وتحكيمها فى مواجهه الكفر والنصرانيه إلى يوم القيامة.

لقد كان لأهل البيت دور فى نبوه نبينا ورسالته ودعوته، كما كان لهارون بالنسبه إلى موسى عليهما السلام، غير أن هارون كان نبياً وأهل بيت رسول الله ليسوا بأنبياء.

فالبيت بيت النبوه والدعوه إلى الله وهدايه البشر فى حياه النبى وبعد وفاته.

نبوه نبينا أول النبوات

ومن المناسب-بعد الوجوه الثلاثه-ذكر بعض النصوص (٣) فى تقدم نبوه نبينا صلى الله عليه وآله على نبوه جميع الأنبياء، وكون أمير المؤمنين معه، توضيحاً

ص: ١٠٥

١-١) الكشاف فى تفسير القرآن ١/٣٦٩-٣٧٠، أسد الغابه ٤/٢٦.

٢-٢) البرهان فى تفسير القرآن ١/٦٣٨ [١] نقلاً عن الحافظ الثعلبى.

٣-٣) هذه النصوص متفق عليها بين الفريقين، ولكننا إنما نكتفى ببعض ما جاء من العامه خاصه لأمر منها: ١-لإلزام الخصوم بها حتى لا يتهمونا بالغلو فى أمير المؤمنين. ٢-لرفع شبهه الاستبعاد لدى بعض الشيعة القاصرين، وتقويه إيمان المؤمنين.

وتأييداً لها:

أخرج الترمذى بإسناده قالوا: يا رسول الله! متى وجبت لك النبوه؟

قال: وآدم بين الروح والجسد (١).

وعقد الحافظ أبو نعيم فى دلائله باباً بعنوان «ذكر ما روى فى تقدّم نبوته قبل تمام خلقه آدم» ، فأورد فيه أحاديث كثيرة فى هذا

المعنى (٢).

وفى كتاب الخصائص للحافظ السيوطى «باب خصوصية النبى بكونه أول النبیین فى الخلق وتقدّم نبوته» ، فأورد فيه الأحاديث فى أنّ الله أخذ العهد والميثاق من جميع الأنبياء وغيرهم على نبوّه رسول الله صلّى الله عليه وآله (٣).

ونحن نذكر بعض النصوص من الكتب المعتره من السنّه:

قال أبو نعيم: «ومن فضائله صلّى الله عليه وسلّم: أخذ الله الميثاق على جميع أنبيائه إنّ جاءهم رسول آمنوا به ونصروه، فلم يكن ليدرك أحد منهم الرسول إلّا وجب عليه الإيمان به والنصره، لأخذه الميثاق منهم، فجعلهم كلّهم أتباعاً يلزمهم الانقياد والطاعه لو أدر كوه.

وذلك ممّا حدّثناه محمّد بن أحمد بن الحسن... عن جابر عن عمر بن الخطاب قال: أتيت النبى ومعى كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب، فقال: والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيّاً اليوم ما وسعه إلّا أن يتبعنى» (٤).

وقال القاضى عياض: «السابع، فى ما أخبر الله به فى كتابه العزيز من عظيم

ص: ١٠٦

١- ١) سنن الترمذى ٥/٢٤٥.

٢- ٢) دلائل النبوه ١/٤٤. [١]

٣- ٣) الخصائص الكبرى ١/٧. [٢]

٤- ٤) دلائل النبوه ١/٥٠. [٣]

قدره وشريف منزلته على الأنبياء وخطوره رتبته، قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ إِلَى قَوْلِهِ: «مَنْ الشَّاهِدِينَ» ١.

قال أبو الحسن القاسبي: إختص الله نبينا محمداً بفضل لم يؤته أحداً غيره أبانه به، وهو ما ذكره في هذه الآية. قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي ولم يبعث نبياً إلا ذكر له محمداً ونعته، وأخذ على ذلك الميثاق منه إن أدركه ليؤمنن به.

وقيل: أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم. . . .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمداً عليه الصلاه والسلام لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

ونحوه عن السدى وقتاده فى آى تضمّنت فضله من غير وجه واحد. قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ» ٢ الآية، وقال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ» إلى قوله «وَكَيْلًا» ٣.

وروى عن عمر بن الخطاب فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال:

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ» الآية.

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعدّون يقولون: «يا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولًا» ١.

قال قتاده: إن النبي قال: كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث، فلذلك وقع ذكره مقدّمًا هنا قبل نوح وغيره.

قال السمرقندی: في هذا تفضيل نبينا عليه السلام، لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم.

قال بعضهم: ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، وخاطبه بالنبوه والرساله في كتابه، فقال يا أيها النبي، ويا أيها الرسول.

وحكى السمرقندی عن الكلبي -في قوله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِبِإِبْرَاهِيمَ» ٢ إن الهاء عائده على محمّد، أى من شيعه محمّد لإبراهيم، أى: على دينه ومنهجه، واختاره الفراء وحكاه عنه مكى. وقيل: المراد نوح عليه الصلاه والسلام» (١).

وللقسطلاني في المقصد السادس من كتابه بحث طويل خصّه بالموضوع هذا أوله:

«النوع الثاني في أخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلًا ومَنه ليؤمننّ به إن أدركوه ولينصرنّه» ثم نقل فيه الآيات والأحاديث (٢).

ص: ١٠٨

١-٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٣٥-٣٨. [١]

٢-٤) المواهب اللدنيه بالمنح المحمّديه ٢/٥١. [٢]

وقال القسطلاني ما ملخصه:

«روى عن علي بن أبي طالب أنه قال: لم يبعث الله تعالى نبياً من آدم فمّن بعده إلّا أخذ عليه العهد في محمّد، لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه ويأخذ العهد بذلك على قومه. وهو مروى عن ابن عباس أيضاً. ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره.

قال الشيخ تقى الدين السبكي: فإذا عرف هذا، فالنبي نبي الأنبياء، وبهذا ظهر في الآخرة أن جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليله المعراج صلّى بهم، ولو اتفق مجيؤه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى-صلوات الله وسلامه عليهم-وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الميثاق عليهم» (١).

وبمثل هذا قال ابن حجر المكي والشيخ سليمان في شرحيهما على الهمزيه بشرح قول البوصيري: «ما مضت فتره من الرسل إلّا بشرت قومها بك الأنبياء»

إنّ هذه الحقيقه ثابتة في كتب العامه، يروونها بأسانيدهم عن الصّحابه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، والإماميه يروونها بأسانيدهم عن الأئمّه الأطهار عليهم السلام كذلك.

تقدّمه في الخلق وهو نبيّ الأنبياء

ومن المناسب بمكان أن ننقل هنا ما ذكره الحافظ السيوطي خلال استعراضه لخصائص النبيّ صلّى الله عليه وآله، عن الحافظ تقى الدين السبكي الشافعي،

ص: ١٠٩

«فأئده: قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه التعظيم والمّنه في «لَتَوْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنصُرُنَّهُ» ١:

في هذه الآيه من التنويه بالنبي صلّى الله عليه وآله وتعظيم قدره ما لا يخفى.

وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّه لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأمّمهم كلّهم من أمته، ويكون قوله «بعثت إلى الناس كافه» لا يختص به الناس من زمانه إلى القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً.

ويتبين بذلك المعنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «كنت نبياً و آدم بين الروح والجسد»، وأنّ من فسّره بعلم الله بأنّه سيصير نبياً لم يصل إلى هذا المعنى، لأنّ علم الله محيط بجميع الأشياء، ووصف النبي صلّى الله عليه وسلّم بالنبوّه في ذلك الوقت، ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت، ولهذا رأى آدم اسمه مكتوباً على العرش: محمّد رسول الله، فلا بدّ أن يكون ذلك معنى ثابتاً في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصيّة بأنّه نبيّ و آدم بين الروح والجسد؛ لأنّ جميع الأنبياء يعلم الله نبوّتهم في ذلك الوقت وقبّله، فلا بدّ من خصوصيّة للنبي صلّى الله عليه وسلّم لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأّمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى، فيحصل لهم الخير بذلك.

وقال: فإن قلت: أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد، فإنّ النبوّه وصف لا بدّ أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنّما يكون بعد بلوغ أربعين سنه أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله، وإن صحّ ذلك فغيره كذلك.

قلت: قد جاء إنَّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: «كنت نبياً» إلى روحه الشريفه وإلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها ومن أمده بنور إلهي. ثم إن تلك الحقائق يؤتى الله حقيقه منها ما يشاء في الوقت الذي شاء، فحقيقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف، بأن يكون خلقها متهيئته لذلك، وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبياً وكتب اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجوده من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتّصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفه المفاضه عليه من الحضرة الإلهيه، وإنما يتأخر البعث والتبليغ. وكلّ ماله من جهه الله ومن تأهل ذاته الشريفه وحقيقته معجّل لا تأخير فيه. وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبؤه، وإنما المتأخر تكوّنه وتنقله، إلى أن ظهر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره من أهل الكرامه، وقد تكون إفاضه الله تلك الكرامه عليه بعد وجوده بمدّه كما يشاء سبحانه.

ولا شك أنّ كلّما يقع، فالله عالم به من الأزل، ونحن نعلم علمه بذلك بالأدله العقلية والشرعيه، ويعلم الناس منها ما يصل إليهم عند ظهوره كعلمهم نبؤه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نزل عليه القرآن في أوّل ما جاءه جبريل، وهو فعل من أفعاله تعالى من جملة معلوماته، ومن آثار قدرته وإرادته واختياره في محلّ خاصّ يتّصف بها، فهاتان مرتبتان، الأولى معلومه بالبرهان، والثانيه ظاهره للعيان، وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالى تحدث على حسب اختياره، منها ما يظهر لهم بعد ذلك، ومنها ما يحصل به كمال لذلك المحلّ وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين، وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك المحلّ من حين خلقه، وإلى كمال

يحصل له بعد ذلك، ولا- يصل علم ذلك إلينا إلا بالخبر الصادق، والنبى صلى الله عليه وسلم خير الخلق، فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله.

فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه، وأنه أعطاه النبوه من ذلك الوقت، ثم أخذ له الموثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم، وأنه نبيهم ورسولهم، وفي أخذ الموثيق - وهي في معنى الاستخلاف، ولذلك دخلت لام القسم في «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ» - لطيفه أخرى وهي كأنها إيمان للبيعه التي تؤخذ للخلفاء، ولعل إيمان الخلفاء أخذت من هنا، فانظر هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى.

فإذا عرف ذلك، فالنبى صلى الله عليه وسلم هو نبى الأنبياء، ولهذا أظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليله الإسراء صلى بها، ولو اتفق مجيؤه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه، فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما تقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهليه الفاعل، فها هنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله عليه وسلم الشريف، وإنما من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد في عصرهم لزمهم أتباعه بلا شك.

ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم على حاله، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمم، نعم، هو واحد من هذه الأمم

لما قلناه من أتباعه للنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإنَّما يحكم بشريعته نبيُّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالقرآن والسُّنَّة، وكلِّ ما فيها من أمر أو نهى فهو متعلِّق به كما يتعلَّق بسائر الأمم، وهو نبيُّ كريم على حاله لم ينقص منه شيء، وكذلك لو بعث النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في زمانه أو في زمن موسى وإبراهيم ونوح وآدم، كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم نبيُّ عليهم ورسول إلى جميعهم.

فنبوته ورسالته أعمُّ وأشمل وأعظم، ومتفق مع شرائعهم في الأصول؛ لأنَّها لا تختلف، وتقدِّم شريعته صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع؛ إمَّا على سبيل التخصيص، وإمَّا على سبيل النسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعته النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت به أنبياءهم، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات.

وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفيًّا عنا:

أحدهما: قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: بعثت إلى الناس كافة. كُنَّا نظنُّ أنَّه من زمانه إلى يوم القيامة، فبان أنَّه جميع الناس أولهم وآخرهم.

والثاني: قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد، كُنَّا نظنُّ أنَّه بالعلم، فبان أنَّه زائد على ذلك على ما شرحناه، وإنَّما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبلوغه الأربعين، وما قبل ذلك بالنسبة إلى المبعوث إليهم وتأهلهم لسماع كلامه، لا بالنسبة إليه ولا إليهم لو تأهلوا قبل ذلك، وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحلِّ القابل، وقد يكون بحسب الفاعل المتصرِّف، فهاهنا التعليق إنَّما هو بحسب المحلِّ القابل المبعوث إليهم

وقبولهم سماع الخطاب من الجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه، وهذا كما يوكل الأب رجلاً في تزويج ابنته إذا وجدت كفواً، فالتوكيل صحيح، وذلك الرجل أهل للوكاله ووكلته ثابتة، وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفو ولا يوجد إلا بعد مدّه، وذلك لا يقدح في صحّه الوكاله وأهليّه الوكيل. انتهى كلام السبكي بلفظه» (١).

كون الإمام على معه هناك

ثم إن النصوص الدالّة على كون على مع النبي ووجود اسمه إلى جنب اسم رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المراحل، كثيره جداً، ونحن نكتفي بذكر طرفٍ منها:

أخرج الحافظ القاضي عياض المالكي، عن أبي الحمراء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

لما أسرى بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيّده بعلّي» (٢).

وروى ابن المغازلي بسنده عن أبي الحمراء، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: لما أسرى بي إلى السماء، رأيت على ساق العرش الأيمن: أنا وحدي لا إله غيري، غرست جنّه عدن بيدي، محمد صفوتي، أيّده بعلّي» (٣).

وروى الخوارزمي عنه: قال «قال: رسول الله صلى الله عليه وسلّم: رأيت ليله أسرى بي مثبتاً على ساق العرش: أنا غرست جنّه عدن بيدي، محمد صفوتي من

ص: ١١٤

[١-١] الخصائص الكبرى ١/٣-٥. [١]

[٢-٢] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١٣٨. [٢]

[٣-٣] المناقب لابن المغازلي: ٣٩. [٣]

خلقى، أيدته بعلّى» (١).

وروى الحافظ المحبّ الطبرى حيث قال: «ذكر اختصاصه بتأييد الله نبيه صلى الله عليه وسلم به، وكتبه ذلك على ساق العرش، وعلى بعض الحيوان.

عن أبى الحمراء، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليله أُسرى بى إلى السماء، نظرت إلى ساق العرش الأيمن، فرأيت كتاباً فهمته: محمّد رسول الله أيدته بعلّى، ونصرته به. خرّجه المملأ فى سيرته.

عن ابن عباس قال: كنّا عند النّبىّ صلى الله عليه وسلم، فإذا بطائر فى فيه لوزة خضراء، فألقاها فى حجر النّبىّ فقبلها ثمّ كسّرها، فإذا فى جوفها دوده خضراء مكتوب فيها بالأصفر: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله نصرته بعلّى. خرّجه أبو الخير القزوينى الحاكى» (٢).

وروى الحافظ الزرندى قال: «ويروى أنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم قال: لما أُسرى بى رأيت فى ساق العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله صفوتى عن خلقى، أيدته بعلّى، ونصرته به.

وفى روايه: رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: إننى أنا الله وحدى لا إله غيرى، غرست جنّه عدن بيدي محمّد صفوتى، أيدته بعلّى» (٣).

الوجه الرابع:

ما دلّت عليه جملة «وسلاله النبين» فى هذه الزيارة، كما سنشرحها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

ص: ١١٥

١-١) المناقب: ٢٢٩. [١]

٢-٢) الرياض النضرة ٢/٢٢٧. [٢]

٣-٣) نظم درر السمطين: ١٢٠. [٣]

نعم، أهل البيت عليهم السّلام موضع الرسالة المحمّديه ومحلّها، وبهذا وصفوا في روايات أهل السنّه أيضاً، وهذا نصّ من رواياتهم:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتاده في قوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» قال: هم أهل بيت طهّهم الله من السّوء واختصّهم برحمته. قال: وحَدَّث الضحاك بن مزاحم أن نبى الله صلى الله عليه وآله كان يقول: نحن أهل بيت طهّهم الله من شجره النّبوه وموضع الرسالة ومختلف الملائكه وبيت الرحمه ومعدن العلم» (١).

فعلى من أراد الرّساله فى أصولها الاعتقاديّه وأحكامها التكليفيّة وسائر تشريعاتها وسننها وآدابها، أن يرجع إلى الأئمه الطاهرين ويسألهم ويأخذ منهم ويتبعهم.

وهم الحافظون للشريعه، الناهضون بأعبائها، الدعاة إليها، والناشرون لها، وهى محفوظه بوجودهم، باقيه ببقائهم، لا تفارقهم ولا يفارقونها أبداً.

ويستنتج من ذلك:

أن الناس غير مستغنين عن أهل البيت إطلاقاً، وأنه لا يجوز الرجوع إلى غيرهم كائناً من كان، كما لا يجوز الاكتفاء بما تمليه عليهم عقولهم فى فهم الشريعه المقدّسه فى أصولها وفروعها.

وعلى الجملة، فإنه وإن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قتل، فإن رسالته باقيه مستمره، وموضعها أهل بيته الطيبون الطاهرون.

ص: ١١٦

أى: مكان اختلاف الملائكة، فإن «المختلف» هنا اسم مكان، و «الإختلاف» هنا بمعنى الرّواح والمجى، وبه فسر الحديث:

«اختلاف أمتى رحمه» (١).

أى: أن يزور بعضهم بعضاً ويتواصلون فيما بينهم.

لقد كانت الملائكة تختلف إلى أهل البيت عليهم السّلام، فهم كانوا مختلف الملائكة. وأما نزول الملائكة إلى بيتهم وصعودهم منه لكونه بيت النّبي صلّى الله عليه وآله فذاك أمر آخر.

أما النّبي صلّى الله عليه وآله نفسه، فواضح.

نزول الملك إلى الزهراء الطّاهرة

وأما الصّدّيقه الطّاهرة، فالروايات فى ذلك كثيره، كالخبر عن أبى عبد الله الصّادق عليه السّلام قال:

«إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله، دخل على فاطمه من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، فأرسل إليها ملكاً يسألها عنها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال لها:

إذا أحسست بذلك فسمعتِ الصوت فقولى لى، فأعلمته، فجعل يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً» (٢).

وأخرج الحاكم بإسناده عنه عليه السّلام عن جابر أنه قال:

ص: ١١٧

١- ١) معانى الأخبار: ١٥٧.

٢- ٢) بصائر الدرجات: ٣٩٢. [١]

لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَزَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ - يَسْمَعُونَ الْحَسَّ وَلَا يَرُونَ الشَّخْصَ - فَقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ: إِنَّ فِي اللَّهِ عِزًّا مِنْ كُلِّ مِصْبِيهِ وَخَلْفًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، فَبِاللَّهِ فَتَقُوا وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّمَا الْمَحْرُومُ مِنَ حَرَمِ الثَّوَابِ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ (١).

نزول الملائكة إلى الأئمة

وأخرج بإسناده: أَنَّ الْإِمَامَ الْحَسْنَ السَّبْطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَا اسْتَشْهَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ:

«وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ جَبْرِيْلُ يَنْزِلُ إِلَيْنَا وَيَصْعَدُ مِنْ عِنْدِنَا» (٢).

وليس هذا مختصاً بزمان حياتهم، فقد وردت النصوص المعتبرة في حضور الملائكة عند قبر سيد الشهداء الحسين عليه السَّلَامُ وإختلافها إليه صاعداً ونازلاً فعن أبي عبد الله الصادق عليه السَّلَامُ أنه قال:

ليس من ملك في السماوات إلّا وهم يسألون الله عزّ وجلّ أن يأذن لهم في زيارته قبر الحسين عليه السَّلَامُ، ففوج ينزل وفوج يعرج.

نزول الملائكة إلى قبور النبي والأئمة

وعنه عليه السَّلَامُ:

ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه ينزل من السَّمَاءِ كُلِّ مَسَاءٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ لَيْلَتِهِمْ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ انصرفوا إلى قبر النبي فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين

ص: ١١٨

١- (١) المستدرک علی الصحیحین ٣/٥٧.

٢- (٢) المصدر ٣/١٧٢.

فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس (١).

فالأخبار في هذا موجوده في كتب الفريقين، وليس الاعتقاد به من الغلو في شيء، وسيأتي المزيد من الروايات المفيده ذلك.

بل لقد نقل مثل ذلك لغير أهل البيت في كتب العامه، كقولهم بترجمه عمران بن حصين الصحابي أنه:

كانت الملائكة تسلم عليه، وكانت الحفظة تكلمه (٢).

فإذا كان هذا الشأن لعمران بن حصين، فكيف بالصديقه الطاهره وبضعه رسول الله وسيدته نساء العالمين والأئمه المعصومين؟

نزولها في ليله القدر

ثم إن ظاهر «مختلف الملائكة» هو الاستمرار، كما هو ظاهر قوله تعالى:

«تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» ٣.

ولذا ورد بذيل الآيه المباركه نزول الملائكة في ليالى القدر على الإمام عليه السلام في كل زمان:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل في ليله القدر «فِيهَا يُفْرَقُ

ص: ١١٩

١- ١) كامل الزيارات: ٢٢٤-٢٢٥. [١]

٢- ٢) الاستيعاب ٣/١٢٠٨، أسد الغابه ٤/١٣٨.

كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» ١ يقول: ينزل فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ، والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه من حكم الله عزَّ وجلَّ، ومن حكم بأمرٍ فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت. إنه لينزل في ليله القدر إلى وليِّ الأمر تفسير الأمور سنه سنه، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لوليِّ الأمر سوى ذلك كلَّ يوم علم الله عزَّ وجلَّ الخاصَّ والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر، ثم قرأ: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليُّ بن الحسين صلوات الله عليه يقول: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» ٣ صدق الله عزَّ وجلَّ، أنزل الله القرآن في ليله القدر «وما أدراك ما ليله القدر» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لا أدري، قال الله عزَّ وجلَّ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» ٤ ليس فيها ليله القدر، قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وهل تدري لم هي خير من ألف شهر؟ قال: لا، لأنها تنزل فيها الملائكة والروح بإذن ربهم من كلِّ أمر، وإذا أذن الله عزَّ وجلَّ بشيء فقد رضي «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ» ٥ يقول: تسلم عليك-يا محمَّد-ملائكتي وروحي بسلامي من أول ما يهبطون إلى مطلع الفجر.

ثم قال في بعض كتابه: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» ١ في «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» وقال في بعض كتابه: «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» ٢ يقول في الآية الأولى: إنَّ محمداً حين يموت؛ يقول أهل الخلاف لأمر الله عزَّ وجلَّ: مضت ليله القدر مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فهذه فتنة أصابتهم خاصه، وبها ارتدوا على أعقابهم، لأنهم إن قالوا: لم تذهب، فلا بد أن يكون لله عزَّ وجلَّ فيها أمر، وإذا أقروا بالأمر لم يكن له من صاحب بدُّ.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة خاصموا بسوره إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ تَفْلَجُوا، فوالله إِنَّا لَحَجَّجَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّا لَسَيِّدُهُ دِينَكُمْ، وَإِنَّا لَغَايَةُ عِلْمِنَا.

يا معشر الشيعة، خاصموا ب «حم» وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» ٣ فَإِنَّهَا لَوْلَاهُ الْأَمْرُ خَاصَّةً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

يا معشر الشيعة، يقول الله تبارك وتعالى: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» ٤ قيل: يا أبا جعفر، نذيرها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قال: صدقت، فهل كان نذير وهو حيٌّ من البعثه في أقطار الأرض؟ فقال السائل: لا، قال أبو جعفر عليه السلام: رأيت بعثته أليس نذيره، كما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في بعثته من الله

عز وجل نذير؟ فقال: بلى، قال: فكذلك لم يمت محمد إلوله بعث نذير. قال: فإن قلت: لا، فقد ضيع رسول الله صلى الله عليه وآله من في أصلاب الرجال من أمته، قال: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى إن وجدوا له مفسراً. قال: وما فسره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بلى، قد فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال السائل: يا أبا جعفر، كان هذا أمر خاص لا يحتمله العامة؟ قال: أبا الله أن يعبد إلسراً حتى يأتي إبان أجله الذي يظهر فيه دينه، كما أنه كان رسول الله مع خديجه مستتراً حتى أمر بالإعلان، قال السائل: ينبغي لصاحب هذا الدين أن يكتف؟ قال: أو ما كتم علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ظهر أمره؟ قال: بلى، قال: فكذلك أمرنا حتى يبلغ الكتاب أجله (١).

من روايات عرض الأعمال عليهم

وكذلك الروايات الواردة في عرض أعمال العباد على الإمام عليه السلام:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: «اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» ٢ وسكت.

وعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله» قال: هم الأئمة.

ص: ١٢٢

وعن سماعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: مالكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسرّوه.

وعن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا: ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة؛ قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ، كتاب الله عز وجل: «اعملوا فسيّرى الله عملكم ورسوله و المومنون»؟ قال: هو والله عليّ بن أبي طالب.

وعن يحيى بن مساور، عن أبي جعفر عليه السلام أنه ذكر هذه الآية: «اعملوا فسيّرى الله عملكم ورسوله و المومنون» قال: هو والله عليّ بن أبي طالب.

وعن الوشاء: قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله أبرارها وفجارها (١).

بل إن الملائكة الموكّلين بتدبير الأمور، الذين أشار إليهم قوله تعالى:

«فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» ٢.

يعرضون ما أمروا به على الإمام عليه السلام، كما في الخبر:

«ما من ملك يهبطه الله في أمرٍ، ما يهبطه إلّابدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر (٢).

ص: ١٢٣

[١-١] الكافي ١/١٧١. [١]

[٢-٣] الكافي ١/٢١٩. [٢]

هناك قصة حدثت في بيت جدّي المرجع الديني المرحوم السيّد محمّد هادي الميلاني قدس الله سرّه الذي مرّ على وفاته خمسه وثلاثون عاماً، فقد نقل لي من أثق به من الفضلاء قائلاً:

سافر أحد علماء طهران يوماً ما بصحبه أحد أصدقائه التجار لزياره الإمام الرضا عليه السّلام، وخلال أيام زيارتهم حصلوا على إذن من السيّد الميلاني للقاءه لقاءً خاصاً في صبيحه أحد الأيام، إلّا أنّ الذي حدث للرجل التاجر صبح يوم الموعد أن نام بعد أداءه صلاه الصبح، فلمّا استيقظ وجد نفسه قد احتلم ووجب عليه الغسل. لكنه لاحظ أنه إن اغتسل فسيتخلف عن الموعد المقرّر ولا يحظى بزياره السيد، فقرّر أن يذهب حسب الوقت المقرّر بحال الجنابه، ومما شجّعه على الذهاب هو أنّ رفيقه السيد العالم قال له: إن بيت السيد الميلاني ليس مسجداً حتى يحرم دخوله على الجنب، فذهب بصحبه العالم، وبعد انتهاء اللقاء، استدعاه السيد الميلاني رحمه الله وأسرّ إليه قائلاً: يا هذا، هذا المكان محلّ استنباط الأحكام الشرعيه وتبينها، ولهذا السبب فهو مهبط الملائكه باستمرار. فما كان من اللائق دخولك إليه بهذه الحال.

فإذا كان هذا شأن السيد الميلاني قدس سرّه، فما بالك بالأئمّه عليهم السّلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وخلاصه الكلام، إن الأئمّه عليهم السّلام تختلف إليهم الملائكه جيئه وذهاباً، عروجاً وهبوطاً، وإذا حصل شيء من هذا القبيل لآحاد من الصالحين، فهو بيركه ارتباطهم وقربهم من أهل بيت النبوه عليهم السّلام، ولارتباط المكان ببيان أحكامهم الشرعيه.

ثم إن ارتباط الملائكة بأهل البيت عليهم السّلام لم يكن ممّا حصل في هذا العالم، بل كان منذ وجود حقائقهم في عوالم النور. فكانت الملائكة تعرفهم وتتقرّب إليهم وتتلّمذ على أيديهم، وتتعلّم منهم التّحميد والتّسبيح والتّقديس وعبادة الله تعالى، فهو ارتباط كان منذ القدم (١).

وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ

«الوحى» لغة

قال ابن منظور:

الوحى هو الإعلام فى خفاء (٢).

وقال الفيروزابادى:

الوحى: كلّ ما ألقىته إلى غيرك فهو وحى (٣).

وقال الفيومى:

الوحى: الإشاره والرّساله والكتابه وكلّ ما ألقىته إلى غيرك ليعلمه وحى كيف كان. قاله ابن فارس (٤).

فالمستفاد من كلمات أهل اللّغه هو العموم والإطلاق.

إنّ الوحى هو الإعلام والإلقاء بأى نحو كان الإعلام والإلقاء، وأى شىء كان المّعلّم والملقى، ومن أى أحدٍ كان، إلى أى أحدٍ.

ص: ١٢٥

١-١ (١) أنظر: تاريخ الخميس ١/٢١.

٢-٢ (٢) لسان العرب ١٥/٣٨١. [١]

٣-٣ (٣) القاموس المحيط ٤/٣٩٩. [٢]

٤-٤ (٤) المصباح المنير: ٦٥١. [٣]

وقد أوضح ذلك الراغب الإصفهاني في كلام طويل هذا موجزه:

أصل الوحي الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشاره ببعض الجوارح، وبالكتابه، وعلى هذه الوجوه قوله:

«وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . . .» ١.

ويقال للكلمه الإلهيه التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي، وذلك أضرب حسبما دلّ عليه قوله: «وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا . . . بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» ٢ وذلك: إمّا برسولٍ مشاهد كتبليغ جبرئيل للنبيّ في صورته معيّنه، وإمّا بسمع كلام من غير معانيه كسمع موسى كلام الله، وإمّا بإلقاء في الرّوع، وإمّا بإلهام نحو «وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ» ٣ وإمّا بتسخير نحو قوله: «وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» ٤ أو بمنام (١).

وإنما أوردنا كلّ ذلك، لتلما يتوهم اختصاص «الوحي» بما ينزل من الله على نبيه شريعته، فينسب إلينا الغلوّ في الأئمة الأطهار عليهم السّلام، وحينئذ نقول:

ظاهر العبارة: أن الأئمة هم «مهبط الوحي» لا أنهم أهل البيت الذي كان ينزل فيه الوحي الإلهي على جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، فهذا المعنى صحيح

ص: ١٢٤

ولا ريب فيه، إلا أنه ليس بمرادٍ، لا سيّما وأنه كان في ذلك البيت غيرهم أيضاً.

وليس المراد هو «الوحي» بمعنى «الإلهام» وإن كان صحيحاً في نفسه، لأن هذا قد تحقّق لأُمّ موسى، وبينهم وبينها في الفضل بونٌ بعيد.

نزول الملائكة بالمعارف الإلهية

بل المراد -حسبما جاءت به النصوص ودلّت عليه بكلّ وضوح- ارتباط الملائكة بهم ومجيئهم إليهم وإعلامهم بحقائق الدين وأسرار الشريعة والعلوم والمعارف الإلهية وبغيرها من الأمور.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام قال: مرّ بأبي رجل وهو يطوف، فضرب بيده على منكبه ثم قال: أسألك عن خصال ثلاث لا يعرفهنّ غيرك وغير رجل آخر، فسكت عنه حتى فرغ من طوافه، ثم دخل الحجر فصلّي ركعتين وأنا معه، فلما فرغ نادى: أين هذا السائل؟

فجاء وجلس بين يديه. فقال له: سل، فسأله عن مسائل، فلما أجيب قال: صدقت. ومضى.

فقال أبي: هذا جبرئيل، أتاكم يعلمكم معالم دينكم» (١).

الأئمّه محدّثون

نعم، كانت الملائكة تهبط إليهم وتحدّثهم:

عن محمّد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: الأئمّه علماء صادقون مفهّمون محدّثون (٢).

ص: ١٢٧

١-١ (١) علل الشرائع ٢/٤٠٧. [١]

١-٢ (٢) الكافي ١/٢٧١. [٢]

وعن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدث عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص. فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطى السكينه والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك.

وعن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر صلى الله عليه وآله: إن علياً عليه السلام كان محدثاً، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جنتكم بعجيبه، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان على عليه السلام محدثاً. فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت: إنني حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لي: يحدثه ملكك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرّك يده-هكذا-: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذى القرنين، أو ما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله (1).

وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ

«المعدن» لغة

قال الراغب:

جَنَاتٌ عَدْنٌ، أَيْ اسْتَقْرَارٌ وَثَبَاتٌ، وَعَوْنٌ بِمَكَانٍ كَذَا: اسْتَقَرَّ، وَمِنْهُ: الْمَعْدِنُ لِمُسْتَقَرِّ الْجَوَاهِرِ (2).

وقال الفيومي:

عَدْنٌ بِالْمَكَانِ عَدْنًا وَعَدُونًا مِنْ بَابِي ضَرْبٍ وَقَعْدٌ: أَقَامَ، وَمِنْهُ جَنَاتٌ عَدْنٌ، أَيْ: جَنَاتٌ إِقَامَةٍ، وَاسْمُ الْمَكَانِ: مَعْدِنٌ، مِثَالُ مَجْلِسٍ، لِأَنَّ أَهْلَهُ يَقِيمُونَ عَلَيْهِ

ص: ١٢٨

[١- (١) الكافي ١/٢٧١. [١]

[٢- (٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٢٦. [٢]

الصيف والشتاء، أو لأن الجوهـر الذى خلقه الله فيه عَدَن به، قال فى مختصر العين: معدن كلّ شىء حيث يكون أصله... (١).

فالرحمه مستقره مكينه فى أهل البيت وهم الأصل لها، وقد جاء فى الروايات وصفهم بـ «بيت الرحمة» :

«... نحن... بيت الرحمة» (٢).

ويقال: فلان معدن الجود والكرم، أى أن الجود والكرم من صفاته الذاتيه لا تنفك عنه ولا تتخلف.

ويعتبر فى صدق عنوان «المعدن» أمور:

أحدها: أن يكون الشىء ثميناً يتنافس العقلاء فى الحصول عليه، فالأرض التى فيها أقسام من الحجر لا يصدق عنوان «المعدن» إلّا تلك القطعه المتوفّر فيها الأحجار الكريمة منها.

والثانى: أن يكون الشىء فى المكان خافياً مستوراً يتطلّب تحصيله وحيازته جهداً، فلو كان على وجه الأرض مثلاً لم يسمّ بـ «المعدن» .

والثالث: أن يكون الشىء مستقراً فى المكان.

والرابع: أن يكون الشىء متولّداً من ذلك المكان لا أنه قد وضع فيه وأخفى كما هو الحال فى الكنز.

وبما ذكرنا ظهر الفرق بين «المعدن» و «المخزن» و «الكنز» .

وظهر أيضاً عدم الفرق بين الشىء المادى والمعنوى، فإنّه إذا وجدت فيه الخصوصيات المذكوره صدق عليه عنوان «المعدن» ، ولذا جاء فى الحديث:

ص: ١٢٩

(١-١) المصباح المنير: ٣٩٧. [١]

(٢-٢) الدر المنثور ٦/٦٠٦ بتفسير الآيه: ٣٣ من سوره الأحزاب.

أى: إن حقائق الناس وبواطنهم مختلفه، كما تختلف المعادن فى حقيقتها أو فى قيمتها ونفاستها.

الرحمة الإلهية

فظهر كيف أن الأئمة معدن الرحمة الإلهية، فإن ذواتهم المقدّسه رحمة، ووجودهم رحمة، وكلّما وصل للناس من الرحمة الإلهية فإنما هى بواسطةهم، ومن ينشد الرحمة يلجأ إليهم فيغمروه بها، لأنها بجميع أقسامها وأنواعها ومراتبها مستقره وكامنه عندهم، فالأئمة بلحاظ أصل خلقتهم «معادن رحمة الله» وبلحاظ ما أعطاهم من العلم والقدرة «خزائن رحمة الله».

والبحت عن الرحمة الإلهية واسع ولا نهايه له، لأنه لا يحاط بها، كما أنها لا نهايه لها وقد وسعت كلّ شىء.

إن الصّفات العليا والأسماء الحسنى كلّها لله، وحده لا شريك له، وهى كثيره، ولكنّه افتتح كلامه ب «بسم الله الرحمن الرحيم»، وورد الأمر فى الشريعة بالتلفظ بهذين الاسمين لدى الشروع فى أى أمر من الأمور، ولعلّه لأنّ الرحمة أساس كلّ شىء فى الوجود، وكلّ الفيوضات والنعم الربّانيه هى رحمة من الله، ومن الواضح أنّ أولى جميع النعم التى من الله عزّ وجلّ بها هى نعمه الوجود، وباقى النعم تتفرّع منها وترتّب عليها...

إنّ جميع النعم المعنويّه والماديّه، الظاهريّه والباطنيّه... كلّها رحمة من الله.

ص: ١٣٠

*قال الله عز وجل:

«كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» ١.

ففي الآية «كتب». قال الراغب:

ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابه، ووجه ذلك: أن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب، فالإرادة مبدأ والكتابه منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتاب التي هي المنتهى (١).

فالله تعالى أثبت على نفسه -بمقتضى ربوبيته- الرحمة بجميع أنواعها وأقسامها.

*وقال سبحانه:

«وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» ٣.

دل على أن رحمته ونعمه في الدنيا تعم المؤمنين والكافرين، فهي تشمل كل شيء، أما في الآخرة فقد قال:

«فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» ٤ أي للمؤمنين خاصه.

*وقال تعالى:

«وَ رَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» ٥.

إذن، كتب على نفسه الرحمة التي هي خير مما يجمعون.

ص: ١٣١

وإنَّ وجود الأئمة عليهم السَّلام رحمةً من الله للعالمين، لأنهم أوصياء جدِّهم الرسول الأكرم الذي خاطبه الله عزَّ وجلَّ بقوله:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» . ١

وإنَّ كلَّ رحمةٍ تصيب أحداً من العالمين، فإنما هي بواسطة الإمام وببركه وجوده، لأنَّ الإمام في كلِّ زمان- كما قال سيدنا الجَدِّ الميلاني تبعاً لشيخه المحقق الإصفهاني- «فاعل ما به الوجود» كما أنَّ الله تعالى: «فاعل ما منه الوجود» (١).

إنَّ وجود الموجودات وكلَّ ما يتفرَّع على وجودها هو ببركه النبي الأكرم وآله المعصومين، والأدلَّة على ذلك من الكتاب والسنة والعقل كثيرة، وسنذكر بعضها في الموضوع المناسب، إن شاء الله تعالى.

وَخَزَانُ الْعِلْمِ

إشاره

قال الراغب:

الخزن: حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبر به عن كلِّ حفظٍ كالسرِّ ونحوه... (٢).

والخزان: جمع الخازن.

وقد وصف الأئمة عليهم السَّلام ب «معدن العلم» أيضاً.

والعلوم على قسمين:

ص: ١٣٢

١- (٢) الحاشية على المكاسب ٢/٣٨١.

٢- (٣) المفردات في غريب القرآن: ١٤٦. [١]

١-العلوم الدينيّة، وهى العلوم التى موضوعها الكتاب والسنة النبويه.

٢-العلوم الدنيويّه.

وظاهر وصفهم ب «خزان العلم» أنّ عندهم جميع العلوم الدينيّه وغيرها.

و «العلم» هو: اليقين (١).

وقال الراغب: ادراك الشىء بحقيقته (٢).

فهم عليهم السلام خزان كلّ العلوم وعالمون بها على وجه اليقين.

شأن العلم فى الإسلام

ولا يخفى شأن العلم وقدره وقيّمته فى المنظور الإسلامى، وما ورد فى الحثّ على طلب العلم وتحصيله لا يمكن إحصاءه، ولقد بلغ قدر العلم حدّاً أوجب احترام العالم وإن كان كافراً كما هو الحال عند العقلاء، وذلك، لأن العلم نور وكمال، والجهل نقص وظلام.

نعم، تتفاوت العلوم فى المرتبه، فلذا كان شرف العلم بشرف موضوعه، وكلّما كان الموضوع أشرف كان العلم أشرف، ومن هنا كانت العلوم الإلهيه أشرف من غيرها.

كما أن الغرض من طلب العلم يختلف:

فمن الناس من يطلب العلم لله وللأجر الأخرى.

ومنهم من يطلبه من أجل الفوائد الدنيويّه.

ومنهم من يطلبه لنفسه.

ص: ١٣٣

١- (١) المصباح المنير: ١٦٨.

٢- (٢) المفردات فى غريب القرآن: ٣٤٣.

لكنه إذا طلب لله تحققت جميع الأغراض الماديّة والمعنويّة.

ثم إنّ طلب العلم في الإسلام لا يحدّ ولا يختصُّ بزمانٍ دون زمان، كما ورد:

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» (١).

ولا بمكانٍ دون مكان، كما ورد:

«اطلبوا العلم ولو بالصّين» (٢).

ولا بحالٍ دون حال، كما ورد:

طلب العلم فريضة في كلّ حال (٣).

الأئمة خزّان علم الله

وقد ورد في النصوص عنهم عليهم السّلام أنهم «خزّنه علم الله» فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام:

«والله إنّنا لخزّان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضّه إلّا على علمه» (٤).

وعنه عليه السّلام:

«نحن خزّان علم الله، نحن تراجمه وحى الله، نحن الحجج البالغة على من دون السّماء وفوق الأرض» (٥).

وعن الصادق عليه السّلام:

ص: ١٣٤

١- ١) كشف الأسرار في شرح الاستبصار ١/٧٣.

٢- ٢) بحار الأنوار ١/١٧٧، [١] روضه الواعظين ١/١١، [٢] عوالي اللآلي ٤/٧٠، [٣] الأنساب ٣/٥٧٧ « [٤] الصّيني ».

٣- ٣) وسائل الشّيعه ٢٧/٢٧. [٥]

٤- ٤) بصائر الدرجات: ١٠٣، [٦] الكافي ١/١٩٢، [٧] بحار الأنوار ٢٦/١٠٥. [٨]

٥- ٥) الكافي ١/١٩٢. [٩]

«إن الله واحد متوحد بالوحدانيه متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدّرهم لذلك الأمر، فنحن هم، فنحن حجج الله في عباده وخزّانه على علمه والقائمون بذلك» (١).

وعنه عليه السلام:

«إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزّانه في سماواته وأرضه، ولولانا ما عرف الله» (٢).

ولا يخفى تأكيدهم عليهم السّلام على أنهم مخلوقون لله، فلا يتوهم من كونهم «خزان علم الله» أنهم شركاء لله، بل إنّ الله تعالى خلّقهم وأحسن صورهم وقدرهم لذلك.

خزان علم الرسول

والأئمة عليهم السّلام خزّان علم رسول الله صلّى الله عليه وآله، والأحاديث الواردة في ذلك في كتب الفريقين صحيحة سنداً وكثيره عدداً، فمنها:

قوله صلّى الله عليه وآله:

أنا مدينة العلم وعلى بابها (٣).

وقوله:

أنا دار الحكمه وعلى بابها (٤).

ص: ١٣٥

١- (١) الكافي ١/١٩٣، [١] بصائر الدرجات: ١٠٤. [٢]

٢- (٢) بصائر الدرجات: ١٠٥. [٣]

٣- (٣) حديث ثابت مشهور، روته الخاصه والعامه، أنظر: تهذيب الآثار-مسند على-: ١٠٥، جامع الأصول ٨/٦٥٧، المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٦، المعجم الكبير ١١/٦٥، تهذيب الكمال ٢٠/٤٨٥، الاستيعاب ٣/١١٠٣، تاريخ بغداد ٤/٣٤٨، تذکره الحفاظ ٤/١٢٣١.

٤- (٤) حديث ثابت مشهور، روته الخاصه والعامه، أنظر: سنن الترمذی ٦/٨٥، مشكاة المصابيح ٢/٥٠٤، تهذيب الآثار-مسند على-: ١٠٤، حليه الأولياء ١/٦٤، [٤] الرياض النضرة ٢/١٥٩، [٥] الجامع الصغير ١/٤١٥.

وقوله لعلی:

أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدى (١).

ومن هنا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

معاشر الناس، ما من علم إلا علمنيه ربي وأنا علمته علياً وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علمته علياً (٢).

خزان علم الكتاب

وجميع حقائق القرآن الكريم والعلوم المودعه فيه عند الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، والأحاديث الواردة بذيل الآيات الكريمه كقوله تعالى:

«قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» ٣.

ناطقه بذلك بكلّ وضوح، وهذه طائفه مما ورد منها في الآيه المذكوره:

روى الحافظ أبو إسحاق الثعلبي بإسناده عن عبدالله بن عطاء، قال: كنت جالساً مع أبي جعفر في المسجد فرأيت عبدالله بن سلام فقلت: هذا الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام (٤).

وروى بإسناده عن محمد بن الحنفية في الآيه:

قال: هو علي بن أبي طالب (٤).

ص: ١٣٦

١- ١) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٢٢، ترجمه علی من تاریخ دمشق ٢/٤٨٧، حلیه الأولیاء ١/٦٤، کنز العمال ١/٦١٥.

٢- ٢) الاحتجاج علی أهل اللجاج ١/١٤٤. [١]

٣- ٤) بناء المقالة الفاطمیه: ٢٢٠ [٢] عن تفسیر الثعلبی. [٣]

٤- ٥) العمده لابن البطریق: ٢٩١، عن الثعلبی.

وروى الحافظ الشيخ ابن شهر آشوب من طريق الخاصه والعامه:

عن محمد بن مسلم وأبي حمزه الثمالي وجابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام.

وعن علي بن فضال والفضيل بن يسار وأبي بصير عن الصادق عليه السلام.

وعن أحمد بن محمد الحلبي ومحمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام.

عن موسى بن جعفر عليه السلام

وعن زيد بن علي عليه السلام

وعن محمد بن الحنفية

وعن سلمان الفارسي

وعن أبي سعيد الخدري

أنهم قالوا: في قوله تعالى: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى أنه سئل سعيد بن جبیر «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» عبدالله بن سلام؟

قال: لا، فكيف وهذه السورة مكيه.

وروى عن ابن عباس: لا- والله ما هو إلا على بن أبي طالب عليه السلام، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام.

وروى عن ابن الحنفية: علي بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأول والآخر.

رواه النطنزي في الخصائص من طريق المخالفين.

ورواه الثعلبي بطريقين في معنى: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» ١.

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن علي بن عباس قال:

دخلت أنا وأبو مریم علی عبد اللہ بن عطاء، قال أبو مریم: حدّث علیاً الحدیث الذی حدّثتني عن أبي جعفر، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالسا إذ مرّ عليه ابن عبد الله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: «لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عز وجل «الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» . (١)

وروى الحافظ أبو نعيم الأصفهاني بإسناده عن ابن الحنفية في قوله عز وجل: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» قال: علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).

وروى الشيخ الصفار عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في الآية «نزلت في علي بن أبي طالب إنه عالم هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله» (٣).

وروى بإسناده عن سلمان الفارسي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في الآية: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدّقه الله وأعطاه الوسيلة في الوصية، فلا تخلي أمه من وسيلته إليه وإلى الله فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» . (٤)

وروى الشيخ ابن بابويه بإسناده عن أبي سعيد الخدري: قال سألت رسول

ص: ١٣٨

١-١) مناقب ابن المغازلي: ١٩٤. [١]

٢-٢) خصائص الوحي المبين: ٢١٣، [٢] شواهد التنزيل ١/٣٠٩-٤٠١. [٣]

٣-٣) بصائر الدرجات: ٢١٦. [٤]

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» قَالَ: «ذَاكَ وَصِيَّ أَخِي سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ» فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَوْلُ اللَّهِ: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» قَالَ: «ذَاكَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» (١).

ومن هنا قال رسول الله:

«على مع القرآن والقرآن مع على» (٢).

وورد عنهم عليهم السلام:

«علم الكتاب-والله-كله عندنا» (٣).

خزان علم الغيب

والأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب بإذن الله، فقد ورد بتفسير «الكتاب المبين» في قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ... وَمَا تَشْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

أنه الإمام (٤).

وقال الله تعالى:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» ٥.

ص: ١٣٩

١-١ (١) أمالي الصدوق: ٦٥٩. [١]

٢-٢ (٢) أمالي الطوسي: ٤٧٩، [٢] المستدرک علی الصحیحین ٣/١٢٤.

٣-٣ (٣) بصائر الدرجات: ٢٥١، [٣] الكافي ١/٢٥٧. [٤]

٤-٤ (٤) تفسير العياشي ١/٣٦١، [٥] والآية في سورة الأنعام: ٥٩. [٦]

وقال سبحانه:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» ١.

فقال الرضا عليه السلام:

فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثه ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة» (١).

إمامتهم وسيرتهم

ثم إن من شرائط الإمامة هي الأعلمية من جميع أفراد الأمة في كل زمان، ولذا كان ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في علم أمير المؤمنين عليه السلام من أدله إمامته وخلافته بعد رسول الله... .

ويشهد بأعلميتهم سيرتهم الذاتية، فمن راجع أحوالهم وتدبر فيما ورد عنهم وما قيل في حقهم من كبار العلماء المعاصرين لهم والمتأخرين، لم يتردد في كونهم «خزان العلم» .

لقد ثبت أن جميع العلوم الإسلامية إنما انتشرت في سائر البلاد بواسطة أمير المؤمنين عليه السلام ثم الأئمة من ولده. هذا بالنسبة إلى علوم القرآن والفقه والحديث وغيرها من العلوم المتداولة بين المسلمين. لكنه عليه السلام يقول:

«فوالله، إنى لطرق السماء أعلم منى بطرق الأرض» (٢).

ص: ١٤٠

١- (٢) الخرائج والجرائح ١/٣٤٣.

٢- (٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٩. [١]

كما ثبت عنه قوله عليه السّلام:

«سلوني قبل أن تفقدوني» (١).

وهو مطلق لا يختصُّ بعلمٍ دون علم.

قال الحافظ ابن عبد البر:

«قال أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار قال: حدّثنا سفيان بن عيينه حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال:

ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٢).

وكم شكّا عليه السّلام من عدم سؤال الناس منه، وأنه لا يجد حمله لما يعلمه من العلوم، فكان يقول:

«إن هاهنا لعلماً جماً لو أصبت له حملاً» (٣).

قبح تقدم المفضول

وإذا كان علي عليه السّلام بهذه المنزلة من العلم، وأكابر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يجهلون أبسط الأمور وأوضح الأحكام، بل يجهلون حتى معاني ألفاظ القرآن الكريم كلفظ «الكلاله» (٤)، وينادي أحدهم بأعلى صوته «لولا علي لهلك عمر» (٥).

ص: ١٤١

١-١ (١) نهج البلاغه: الخطبه: ١٨٩. [١]

٢-٢ (٢) الاستيعاب في معرفه الأصحاب ١/٣٤٠. [٢]

٣-٣ (٣) الخصال: ٦٤٥، كمال الدين: ٢٩١. [٣]

٤-٤ (٤) بحار الأنوار ١٠/٢٣٠، تاريخ الخلفاء: ٩٣، الدر المنثور ٢/٢٥٠-٢٥١.

٥-٥ (٥) الكافي ٧/٤٢٤، [٤] الاستيعاب في معرفه الأصحاب ٣/١١٠٣. [٥]

وإذا كان- كما قال الأمير عليه السلام:-

«قيمة كل امرئ ما يحسنه» (١).

فبأي وجهٍ عقليٍّ وشرعيٍّ وعقلانيٍّ يتقدّم عليه غيره؟

إنه حتّى لو كانت الإمامه والخلافه عن رسول الله بتنصيب من الناس، فإن أولئك الجهّال لم يكونوا مؤهلين لذلك المنصب العظيم والمقام الرفيع، أليس من المقرّر عند العقلاء: عدم جواز تقدّم المفضول على الفاضل؟!!

وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ

اشاره

إن من يتحمّل النوائب التي ترد على الإنسان، والتي من طبيعتها إثاره غضبه، فيضبط نفسه، ولا يفعل ولا يقول شيئاً منافياً للأخلاق الفاضله... يوصف بـ «الحلم». لأن الحلم- كما قال الراغب:-

ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (٢).

وهكذا كان أهل البيت عليهم الصّلاه والسّلام، بل إنهم قد بلغوا في هذا الوصف منتهاه، لأنّ الذي لاقوه من الأذى والمصيبه لم يلقه أحدٌ من هذه الأمّه، فكانوا غايه في الحلم والصبر والتحمّل، وهم القدوه والاسوه في هذه الصّفات ولا مثيل لهم في ذلك.

الفرق بين الحلم والصبر

ولكنّ «الصبر» أعم من «الحلم» وأوسع دائره، ولذا قال الراغب:

ص: ١٤٢

١-١) بحار الأنوار ١/١٦٥. [١]

٢-٢) المفردات في غريب القرآن: ١٢٩.

«الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام. . .» (١).

ويشهد بذلك قول أمير المؤمنين عليهم السلام:

الصبر صبران، صبر على ما تحبّ وصبر على ما تكره» (٢).

وفى روايه أخرى:

«الصبر ثلاثه: صبر عند المصيبه وصبر على الطّاعه وصبر عن المعصيه» (٣).

المراد من «المنتهى»

وقد أشرنا إلى أن كلمه «المنتهى» هنا تحتل معنيين:

أحدهما: أن الأئمة عليهم السلام في أعلى درجات الحلم، لأنّ الناس متفاوتون في هذه الصّيفه كغيرها من الصفات، لكنّ الأئمه قد حازوا أسمى تلك الدرجات وأعلاها، فلا يدانيهم أحد في هذه الصّفه الكريمه.

والثاني: أن الأئمه هم القدوه والأسوه في الحلم، ومنهم تعلّم الناس هذه الصّيفه وبهم اقتدوا فيها، فهم معين الحلم ومنبعه وإليهم ينتهى وهم الأصل له كما في الصفات الأخرى والكمالات العليا. . . وإنّ من تحلّى بهذه الصّفه فقد استقاها منهم عليهم السلام.

وخير شاهد على ذلك ما ظهر على شيعه آل البيت عليهم السلام من التحلّى بالصبر والحلم في مواجهتهم للمصاعب والمصائب على مرّ العصور مما جرّت عليهم الويلات والمحن، فثبتوا وصبروا اقتداءً بأئمتهم واقتفاء آثارهم في

ص: ١٤٣

١-١ (١) المصدر: ٢٧٣. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٤/١٤. [٢]

٣-٣ (٣) الكافي ٢/٩٢، [٣] وسائل الشيعه ١٥/٢٣٨. [٤]

بالاستقامه أمام ما لاقوه من أعدائهم. ولذلك كانت مصائبهم عليهم السّلام ما يسلى شيعتهم ويسكن آلامهم ويداوى جراحاتهم، ومعيناً للصبر والمصابرة والمرابطه على مرّ الدهور في طريقهم الذي قلّ سالكوه.

وقد يفسّر «الحلم» ب «العقل» وهو هنا صحيح أيضاً، لكنّه ليس بمرادٍ لما سيأتى من وصف الأئمّه ب «أولى النهى» .

لكن الراغب يقول: قال الله تعالى:

«أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ» ١.

قيل: معناه عقولهم.

وليس الحلم فى الحقيقه هو العقل، لكنّ فسروه بذلك لكونه من مسيّبات العقل، وقد حلم وحلّمه العقل وتحلّم... (١).

إشاره إلى حلم النبى

وقد بلغ رسول الله وأهل بيته الغايه فى الحلم والعقل، وذلك ظاهر تماماً من أقوالهم وسيرتهم المباركه، وتلك كلمه الرسول الأعظم الخالده، إذ قال:

«ما أودى نبىّ بمثل ما أوديت» (٢).

وهو القائل مع ذلك:

«اللّهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون» (٣).

ص: ١٤٤

١-٢) المفردات فى غريب القرآن: ١٢٩. [١]

٢-٣) بحار الأنوار ٣٩/٥٦. [٢]

٣-٤) إعلام الورى ١/١٢٠، بحار الأنوار ٢٠/٢٠-٢١.

وأما عملاً، فتلك معاملته في يوم الفتح مع أهل مكة الذين آذوه بما لا يقبل الوصف، ثم أخرجوه... قال لهم: إذهبوا فأنتم الطلقاء (١).

إشاره إلى حلم الأئمة

وبهذا امتاز الأئمة عليهم السلام:

فهذا الإمام الحسن السبط الأكبر الذي تعجب من حلمه الناس، فقد تحمّل أنواع الأذى من الأعداء وممن يدعى الحبّ له، وكم جرّعه الغصص والآلام حتى قضى نحبّه مسموماً شهيداً.

روى المدائني عن جويريّه بن أسماء قال:

لما مات الحسن عليه السلام، أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين عليه السلام:

تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟

قال مروان:

نعم، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال» (٢).

والإمام الحسين عليه السلام لاقى ما لاقى من معاويه فحلم وتحمل....

وحلم الإمام السجّاد عليه السلام وصبره على المصائب التي أصابته والأسر الذي وقع فيه لا يوصف.

وكذلك سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام.

ص: ١٤٥

[١-١] الكافي ٣/٥١٣. [١]

[٢-٢] بحار الأنوار ١٤٥/٤٤-١٤٦. [٢]

والأخبار عن النبي وآله في الحلم لا تحصى كثره، ونحن نكتفي بإيراد أخبار باب الحلم في كتاب الكافي:

عن محمد بن عبيد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً: وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعدّ عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين.

عن أبي حمزه قال: المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، وينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الأصدقاء، ولا يكتنم شهادته الأعداء، ولا يفعل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء، إن زكى خاف ممّا يقولون، واستغفر الله ممّا لا يعلمون، لا يغزّه قول من جهله ويخشى إحصاء ما قد عمله.

عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّه ليعجبنى الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ الحبيّ الحليم.

عن عليّ بن حفص العوسى الكوفى، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعزّ الله بجهل قطّ ولا أذلّ بحلم قطّ.

عنه، عن بعض أصحابه، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كفى بالحلم ناصراً؛ وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلّم.

عن حفص بن أبي عائشه قال: بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له فى حاجه فأبطأ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره لَمّا أبطأ، فوجده نائماً، فجلس

عند رأسه يرّوحه حتّى انتبه، فلما تنبّه قال له أبو عبد الله عليه السّلام: يا فلان والله ما ذلك لك، تنام اللّيل والنّهار، لك اللّيل ولنا منك النّهار.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله يحبّ الحيّ الحليم العفيف المتعفّف.

عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إذا وقع بين رجلين منازعه نزل ملكان، فيقولان للسّيفيه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لما قلت، ستجرّى بما قلت. ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت، سيغفر الله لك إن أتممت ذلك. قال: فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان» .

وَأُصُولُ الْكُرَمِ

«الأصل» لغة

«الأصول» جمع «الأصل» .

يقال: أصل هذا البناء كذا. أى: قاعدته.

وأصل هذه الشجرة كذا، أى: جذره.

وفلان وفلان من أصل واحد، أى: يرجعان إلى جدّ واحدٍ ونسبٍ واحد.

وأصل هذا النهر هو المحلّ الفلاني، أى: منبعه.

والمعنى فى جميع هذه الإطلاقات واحدٌ وإن كان بينها فرق بالاعتبار.

ومن هذا الباب قولنا: أصول الدين وفروع الدين، لأنّ الأصل هو القاعده، فالأحكام الشرعيّه مبنيّه على تلك القواعد، أو أن الأصل هو ما يتفرّع منه، فالأحكام الشرعيّه متفرّعه من أصول الدين الإسلامى، وكلّها راجعه إليها، وهى المنشأ لها.

و «الكرم» متى ما أطلق بالإضافة إلى الإنسان، أريد منه تلك الصِّفة المعروفة من الأخلاق الفاضله، ولكن المقصود هنا-والله العالم- أوسع منه، وذلك ما أفاده الراغب بقوله:

«وكلّ شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم» (١).

ومن ذلك قوله تعالى:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» ٢.

وقوله تعالى:

«كِتَابٌ كَرِيمٌ» ٣.

وقوله تعالى:

«مَقَامٌ كَرِيمٌ» ٤.

وقوله تعالى:

«رَسُولٌ كَرِيمٌ» ٥.

وأوضح منه عبارته الفيومي إذ قال:

«كرم الشيء كرمًا نفس وعزّ، فهو كريم والجمع كرام... وكرائم الأموال: نفائسها وخيارها...» (٢).

ص: ١٤٨

١- (١) المفردات في غريب القرآن: ٤٢٨. [١]

٢- (٢) المصباح المنير: ٥٣١. [٢]

ومن ذلك قولهم عن المرأة الجليله في أسرتها: كريمه آل فلان. . . وعليه جاء الحديث:

من زوّج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها (١).

وعلى الجملة، فإنّ أهل البيت الطاهرين - أعنى محمّداً وآله عليهم السّلام - هم الأصل لكلّ شرفٍ وعزٍّ وفخرٍ، وكلّ ما فى الوجود من الشرف فمتفرّع على شرفهم، وكلّ من عنده شيء من ذلك فمنهم أخذ. . . لأنّ الله تعالى شرفهم على سائر الخلائق أجمعين، والأحاديث فى ذلك قطعته، وقد تقدم بشرح: «السّلام عليكم يا أهل بيت النبوه» بعض ذلك، وسيأتى فى الموضوع المناسب ذكر الأحاديث فى أن محمّداً وآله خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ . . .

وَقَادَةَ الْأُمَمِ

إشاره

«القاده» جمع «القائد»، والقود: أن يكون الرجل أمام الدابّه آخذاً بقيادها (٢) كما أن السّوق: أن يكون الرّجل خلف الدابّه (٣).

الأُمم لغه

و «الأُمم» جمع «الأُمّه»، والمراد: أمم الأنبياء بما فيهم أمّه الإسلام، أو أن المراد: الخلق كلّهم (٤).

فالأُمّه عليهم السّلام قاده الأُمم إلى معرفه الله وعبادته وطاعته، وإلى

ص: ١٤٩

[١-١] الكافي ٥/٣٤٧. [١]

[٢-٢] مجمع البحرين ٣/١٣٣. [٢]

[٣-٣] لسان العرب ٣/٣٧٠.

[٤-٤] مجمع البحرين ٦/١٢.

المعارف الحقه ومكارم الأخلاق... .

قال الله تعالى:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ...» ١.

وعن الباقر عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: يا رسول الله، ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟

فقال: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدى أئمة الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياءهم. فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعى وسيلقاني، ألاب ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معى وأنا منه برئ» (١).

النبى والأئمة قادة الأنبياء

وقد تقدّم أنّ الله أخذ ميثاق رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السّلام من الأنبياء السابقين، كما تقدّم أنّ الأنبياء السابقين قد بعثوا على نبوه نبينا وولايه على عليهما السلام.

وروى عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: قوله عزّ وجلّ:

«وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِإِبراهيمَ» ٣.

أى: إنّ إبراهيم عليه السّلام من شيعة النبى صلى الله عليه وآله، فهو من شيعة على عليه السلام. وكلّ من كان شيعة على فهو من شيعة النبى (٢).

ص: ١٥٠

١-٢) تفسير الصافى ٣/٢٠٦ [١] عن الكافى [٢] والعياشى.

٢-٤) تأويل الآيات ٢/٤٩٥.

قال شرف الدين النجفي (١):

ومما يدل على أن إبراهيم وجميع الأنبياء والمرسلين من شيعة أهل البيت: ما روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: ليس إلّا الله ورسوله ونحن وشيعتنا. والباقي في النار (٢).

ثم إن الله عز وجل يقول:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» ٣.

وسواء فسر «ليعبدون» أي: ليعرفون (٣) أو أبقى على ظاهره كما في الأخبار (٤). . . فقد قال الإمام عليه السلام: بنا عرف الله، بنا عبد الله (٥)، فكانوا هم القادة للجن والإنس.

قاده الملائكة إلى العبادة

وأما الملائكة، فقد ورد في كتب الفريقين: أن الملائكة تعلموا العبادة لله من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام:

«عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كنت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم عز وجل بألفي عام، يسبح ذلك النور فتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله تعالى آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال صلى الله

ص: ١٥١

١- ١) هو صاحب كتاب: تأويل الآيات الظاهرة في فضل العترة الطاهرة.

٢- ٢) البرهان في تفسير القرآن ٤/٦٠٠. [١]

٣- ٤) الرواشح السماوية: ٤٥، تفسير أبي السعود ٢/١٣٠. [٢]

٤- ٥) البرهان في تفسير القرآن ٥/١٧١.

٥- ٦) كفاية الأثر: ٣٠٠.

عليه وسلّم: فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمه والأرحام الطاهره حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» (١).

ورواه الديار بكرى باختلاف يسير عن ابن عباس عن النبي أنه قال:

«كنت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفى عام، يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكه بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في السفينه، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمه والأرحام الطاهره، حتى أخرجني من أبوي، لم يلتقيا على سفاح قط» (٢).

أقول: ومع هذه الفضيله الحاصله لعلّي، كيف يقدم عليه من لم تحصل له، بل له سابقه كفر قبل إسلامه؟!!

هم القاده في الآخرة إلى الجنّه

ثم إنّ الأئمّه عليهم السّلام هم قاده الأمم في الآخرة، فإنّ الأمم كلّها وأنبيائهم يدخلون الجنّه تحت رايه محمّد وهي بيد علي، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال:

يا أيّها الناس، نحن في القيامه... وعلى بن أبي طالب على ناقه من نوق الجنّه... بيده لواء الحمد وهو ينادي يوم القيامه: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله (٣).

ص: ١٥٢

١-١) المنتقى من سيره المصطفى للكازروني -مخطوط.

٢-٢) تاريخ الخميس ١/٢١. [١]

٣-٣) عيون أخبار الرضا ١/٥٣، [٢]بحار الأنوار: ٧/٢٣١. [٣]

فهم قاده جميع الخلائق فى كلّ العوالم والنشآت، وبهم المعرفة والعباده والطاعه والنجاه فى يوم القيامه.

رجوع الحكام إليهم فى المعضلات

فعلى من أراد الإيمان والمعرفة والعلم والهدايه والدخول فى الجنه، أن يقتدى بأهل بيت رسول الله ويتبعهم ويطيعهم فى كلّ شىء، وهذا ما قد نجده فى أقوال المخالفين لهم أيضاً، فقد روى ابن حجر المكى عن الدارقطنى أنه جاء عمر أعرابيان يختصمان، فقال لعلى:

إقض بينهما يا أبا الحسن.

فقضى على بينهما.

فقال أحدهما للآخر: هذا يقضى بيننا؟

فوثب إليه عمر وأخذ بتليبيه وقال:

ويحك، ما تدرى من هذا؟

هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن» (١).

وهكذا نجد فى التاريخ رجوع غير واحد من الحكام العباسيين إلى الأئمة الطاهرين فى حلّ المشكلات ورفع المعضلات.

ولذا، فقد اضطرّ بعض المتكلمين من أهل السنّه-وهو الشيخ عبدالعزيز الدهلوى، صاحب كتاب التحفه الاثنى عشرية-إلى الإيعتراف بإمامه الأئمة وقيادتهم للأئمة فى عالم المعنى، فإنه-بعد أن وجد نفسه عاجزاً عن الجواب عن الأدله العلميه المتقنه والمستنده إلى الكتاب والسنّه والعقل، الداله على إمامه على

ص: ١٥٣

١-١) الصواعق المحرقة: ١٠٧، الرياض النضرة: ٢/٢٢٤، [١] ذخائر العقبى: ٦٧. [٢]

عليه السلام بلا- فصل، ووجد الحكام الغاصبين يجهلون أبسط المسائل في الشرع المبين، ورأى رجوعهم مراراً إلى الأئمة الطاهرين-قسم الإمامه إلى قسمين، فزعم أن الإمامه الظاهريه-أى الحكومه-لأولئك الذين غلبوا على الأمر وتصدوا للرياسه بالزور والقهر. وأن الإمامه المعنويه لعلى وأولاده المعصومين.

ولا يخفى أن هذا التقسيم وإن كان باطلاً من أصله، لأن الحكومه شأن من شئون الإمام الإلهى القائم مقام النبى، إلا أنه يتضمن الاعتراف بحقيقه لا- مناص لهم من الاعتراف بها، وهى قياده الأئمة للأئمة فى المعارف الحقه والتعليم. وأما دعوى كون الإمامه الظاهريه والسلطه للغاصبين، فلا دليل لهم عليها إلا أنهم يحاولون تبرير الأمر الواقع.

وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ

أقسام النعمه

لا شك أن جميع النعم من الله سبحانه، كما قال عز من قائل:

«وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» ١.

ومن الواضح أن نعمه لا تحصى، وكما قال:

«وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» ٢.

والنعم على قسمين:

النعمه الماديّه.

النعمه المعنويّه.

ص: ١٥٤

وكلّ قسم على قسمين:

النعمة الظاهريّة.

النعمة المعنويّة.

قال تعالى:

«وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» ١.

والنعمة- كما قال الراغب- هي: الحالة الحسنه. . . .

والنعماء بإزاء الضراء قال:

«وَلَئِنْ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ» ٢.

وعلى الجملة، فإن الألف واللام في «النعمة» للعموم، فكلّ نعمه ماديّه أو معنويّه، ظاهره أو باطنه، صغيره أو كبيره، وكلّ ماله دخل في طيب الحياه وحسن الحال، من الشمس والقمر والهواء. . . وأعضاء البدن، والمال، والزوجه المطيعه والولد الصالح وغير ذلك، فإنّ النبيّ وأهل بيته الطاهرين هم «الأولياء» لها، ومن المعلوم أن أفضل النعم- بعد الوجود- هو الإيمان والمعرفه. . . .

و «الأولياء» جمع الولي، وقد فسره مولانا الصادق عليه السّلام بتفسير قوله تعالى:

«إِنَّمَا وَرَثَتُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا. . .» ٣.

بقوله: «يعنى: أولى بكم، أى أحقّ بكم وبأموالكم من أنفسكم وأموالكم، الله ورسوله والذين آمنوا، يعنى: علياً وأولاده الأئمّه إلى يوم القيامة» (١).

ص: ١٥٥

إبراهيم بن سليمان، حدّثنا عبيد بن عبد الرحمان التيمي، حدّثنا أبو حفص الصائغ قال: قال عبد الله بن الحسن [في قوله تعالى]: «ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» [قال: يعنى] عن ولايتنا، والله يا أبا حفص.

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: ما بال أقوام غيروا سنّة رسول الله وعدلوا عن وصيّيه، لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب، ثم تلا هذه الآيه:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ» ١.

ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة (١).

ولايتهم نعمه

وولايتهم أيضاً نعمه... فعن الباقر عليه السّلام في قوله تعالى:

«يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» ٣.

قد عرفهم ولايه على وأمرهم بولايته ثم أنكروا بعد وفاته (٢).

ولولا وجود إمام على وجه الأرض في كلّ زمان، لما بقيت الأرض ولساخت بأهلها، كما في نصوص الفريقين:

... عن أبي جعفر عليه السّلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وإني

ص: ١٥٧

١-٢) شواهد التنزيل ٢/٤٧٦-٤٧٧.

٢-٤) بحار الأنوار ٣٥/٤٢٤. [١]

وأحد عشر من ولدى، وأنت-يا على-زرّ الأرض-أعنى أوتادها وجبالها-بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا» (١).

وعن يزيد الرقاشي عن أنس قال قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لا يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر أميراً من قريش، فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها» (٢).

وعن الحسن بن علي عليه السلام قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوماً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه:

معاشر الناس، كأني أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم ولو خلت إذاً لساخت بأهلها. . .» (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث:

واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجه لله، ولكن الله سيعمي خلقه منها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجه لله لساخت بأهلها. . .» (٤).

كلّ النعم بواسطة

وعلى الجملة، فإنّ جميع النعم التي أنعم الله بها على العباد، فإنما هي بواسطة محمّد وأهل بيته عليهم الصّلاه والسلام، وهذا من جملة منازلهم عند الله

ص: ١٥٨

١-١ (١) بحار الأنوار: ٣٦/٢٥٩. [١]

٢-٢ (٢) مناقب آل أبي طالب ١/٢٩٠. [٢]

٣-٣ (٣) بحار الأنوار ٣٨/٣٣٨. [٣]

٤-٤ (٤) بحار الأنوار ٥١/١١٣. [٤]

عز وجل، والأدلة على ذلك من النقل والعقل كثيره، وهذا ما يعبر عنه بالولاية التكوينية، وسنشرحها في الموضوع المناسب إن شاء الله.

وقد جاء في الآثار ما يدل على أن ذلك كان مما يعتقد به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، فقد روى كبار الحفاظ من أهل السنه عن عمر بن الخطاب ما هو صريح في هذا المعنى، في قضيه له مع أبي عبد الله الحسين الشهيد عليه الصلاه والسلام...

لقد روى الحافظ الذهبي قائلاً: حماد بن زيد: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عبيد بن حنين عن الحسين.

قال: صعدت المنبر إلى عمر فقلت: إنزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك.

فقال: إن أبي لم يكن له منبر.

فأقعدي معه.

فلما نزل قال: أي بنى، من علمك هذا؟

قلت: ما علمنيه أحد.

قال: أي بنى، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم؟ ووضع يده على رأسه.

وقال: أي بنى، لو جعلت تأتينا وتغشانا.

(قال الذهبي): إسناده صحيح (١).

وقد صححه الحافظ ابن حجر أيضاً (٢).

وإن جميع ما بأيدي كل إنسان مما يستخدمه في سبيل مصالحه ولحسن

ص: ١٥٩

١-١) سير أعلام النبلاء ٣/٢٨٥.

٢-٢) الاصابه ٢/٧٧-٧٨.

حاله، إنّما يكون «نعمه» له إذا كان من «أهل الولايه» للأولياء الأطهار محمّد وأهل بيته، وإلّا فسيكون «نقمه» عليه، كما قال تعالى:

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» ١.

وَعَنَّاصِرِ الْأَبْرَارِ

«العنصر» و «البر» لغةً

«العناصر» جمع «العنصر»، قال أهل اللغة: أصل الشيء عنصره، عنصر الشيء أصله (١).

وأضاف في مجمع البحرين «النسب» قال العنصر: الأصل والنسب (٢).

والظاهر أنه من مصاديق «الأصل» وليس مفهوماً آخر.

و «الأبرار» جمع «البر» بفتح الباء، قال في المصباح:

البرّ-بالكسر-الخير والفضل، وبرّ الرجل يبرّ براً وزان علم يعلم علماً فهو برّ - بالفتح-وبارّ أيضاً، أى: صادق أو تقى، وهو خلاف الفاجر، وجمع الأول أبرار، وجمع الثانى برره مثل كافر وكفره (٣)، وكأنه إشاره إلى الذين ذكرهم تعالى فى مواضع من كتابه إذ قال:

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» ٥.

ص: ١٦٠

١-٢) لسان العرب ٤/٦١١، [١] تاج العروس ٧/٢٧١.

٢-٣) مجمع البحرين ٣/٤٠٨.

٣-٤) المصباح المنير: ٤٣. [٢]

وقال:

«كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيْنَ» ١.

والألف واللام دالّ على العموم.

فالأئمة عليهم السّلام أصل الأبرار كلّهم، فيعمّ من كان برّاً من الآدميين بجميع طبقاتهم، والملائكة كذلك، خاصّة الذين ذكرهم بقوله عزّ وجلّ:

«بِأَيْدِي سَفَرِهِ * كِرَامٍ بَرَرِهِ» ٢.

وجود الأئمة والأبرار من حقيقه واحده

فيمكن أن يكون المراد أنّ وجود «الأبرار» من وجود «الأئمة» وهم الأصل لوجود ذواتهم، وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أنّ يكون وجود الأئمة وسائر الأبرار من حقيقه واحده.

والثاني: أن يكون الأئمة واسطه في وجود الأبرار.

لكنّ الظاهر هو الأوّل، إذ لا يختصّ الثاني بالأبرار، لكونهم الواسطه في وجود جميع الخلائق، كما تقدّم ويأتى بالتفصيل.

ويدلُّ على الأوّل: ما ورد في كتب الفريقين من أنّ نورهم أول ما خلق، وأن جميع الموجودات النورانيه مخلوقه من نورهم:

لقد جاء في (تذكره الخواص) ما نصّه:

«حديث فيما خلق منه: قال أحمد في «الفضائل»: حدّثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن خالد بن معدان، عن زاذان عن سلمان، قال: قال رسول الله

ص: ١٤١

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَوْرًا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جُزْءَيْنِ: فَجُزْءٌ أَنَا وَجُزْءٌ عَلِيٌّ.

وَفِي رِوَايَةٍ: خَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ» (١).

وَقَالَ الْحَافِظُ الْكَنْجِيُّ مَا نَصَّه:

«الْبَابُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ: فِي أَنَّ عَلِيًّا خَلِقَ مِنْ نُورِ النَّبِيِّ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَرَكَاتِ الْخَشُوعِيِّ بِمَسْجِدِ الرَّبُوعِ مِنْ غُوطَةِ دِمَشْقَ، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةَ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَلِ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ صَفْوَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ الْعَطَّارِ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَكْوَانَ، حَدَّثَنِي حَرْبُ بْنُ بِيَانَ الضَّرِيرِ مِنْ أَهْلِ قِبْسَارِيهِ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزْرِيِّ، عَنْ عَكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: خَلَقَ اللَّهُ قَضِييًّا مِنْ نُورٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ عَامٍ، فَجَعَلَهُ أَمَامَ الْعَرْشِ، حَتَّى كَانَ أَوَّلَ مَبْعُوثِي، فَشَقَّ مِنْهُ نِصْفًا، فَخَلَقَ مِنْهُ نَبِيَّكُمْ، وَالنِّصْفَ الْآخَرَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

قُلْتُ: هَكَذَا أَخْرَجَهُ إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ إِمَامِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، كَمَا سَقْنَاهُ، وَهُوَ فِي كِتَابَيْهِمَا» (٢).

ص: ١٤٢

١- ١) تَذَكْرُهُ خَوَاصُّ الْأُمَمِ: ٤٦.

٢- ٢) كَفَايَةُ الطَّالِبِ فِي مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: ٣١٤. [١]

وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي هذا الحديث بطرقٍ عديدة حيث قال:

«قوله عليه السلام: كنت أنا وعلى نوراً بين يدي الله.

أخبرنا أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النحوي رحمه الله، قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن منصور الحلبي الأخباري، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد العدوي الشمشاطي، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريا، قال: حدّثنا أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدّثنا الفضيل بن عياض، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن زاذان، عن سلمان الفارسي، قال: سمعت حبيبي محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يقول: كنت أنا وعلى نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ، يسبح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبدالمطلب، ففي النبوه وفي عليّ الخلافة.

وأخبرنا أبو طالب محمّد بن أحمد بن عثمان قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن سليمان، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد العكبري، قال: حدّثنا عبد الله بن محمّد بن أحمد بن عثمان، حدّثنا محمّد بن عتاب الهروي، قال: حدّثنا جابر بن سهل بن عمر بن حفص، حدّثني أبي عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي ذر، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: كنت أنا وعلى نوراً عن يمين العرش، يسبح الله ذلك النور ويقدّسه، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلى في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبدالمطلب.

وأخبرنا أبو غالب محمّد بن أحمد بن سهل النحوي نا: أبو عبد الله محمّد بن عليّ [ابن أخت] مهدي السقطي الواسطي إملاء، قال: حدّثنا أحمد بن علي القواريري الواسطي، نا محمّد بن عبد الله بن ثابت، نا محمّد بن مصفّاء، نا بقيه بن

الوليد، عن سوبد بن عبدالعزيز، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله عز وجل أنزل قطعه من نور، فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتى قسمها جزءين: جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً» (١).

في رواياتنا

وقد روى هذا الحديث جماعه كبيره من كبار علمائنا الإمامية في كتب الحديث والفضائل، نذكر فيما يلي بعض الروايات:

روى الكليني:

«أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله الصغير، عن محمد بن إبراهيم الجعفري، عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا- كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نورّت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نُورّت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا- شيء كُون قبلهما، فلم يزالا- يجريان طاهرين مُطهرين في الأصلاب الطاهره، حتى افترقا في أطهر طاهرين عبد الله وأبي طالب» (٢).

وروى بإسناده عن جابر بن يزيد قال:

«قال لي أبو جعفر: يا جابر: إن الله أول ما خلق، محمّداً وعترته الهداه المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله.

ص: ١٤٤

١-١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٨٧-٨٩.

٢-٢) الكافي ١/٤٤١. [١]

قلت: وما الأشباح؟

قال: ظلّ النور، أبدان نورانيه بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحده، وهى روح القدس، فيه كان يعبدُ الله وعترته، ولذلك خلقهم حُلماء، عُلماء، برره أصفياء يعبدون الله بالصَّلاه والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلُّون الصَّلاه ويحجُّون ويصومون» (١).

وبإسناده عن أبى عبدالله عليه السَّلام قال:

«قال الله تبارك وتعالى: يا محمد، إنى خلقتك وعلياً نوراً-يعنى روحاً بلا بدن-قبل أن أخلق سماواتى وأرضى وعرشى وبحرى، فلم تزل تُهللنى وتمجِّدنى، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحده، فكانت تمجِّدنى وتقُدِّسنى وتهلِّلنى، ثم قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة، محمِّد واحد، وعلى واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمه من نور ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا» (٢).

وبإسناده عن المفضل بن عمر، قال:

«قلت لأبى عبدالله عليه السَّلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظله؟

فقال: يا مفضل، كنّا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، فى ظلّه خضراء، نُسبِّحه ونقُدِّسه ونهلِّله ونمجِّده، وما من ملك مُقرَّب ولا ذى روح غيرنا حتّى بدا له فى خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكه وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا» (٣).

ص: ١٦٥

١-١ (١) الكافي ١/٤٤٢. [١]

٢-٢ (٢) المصدر ١/٤٤٠. [٢]

٣-٣ (٣) المصدر ١/٤٤١. [٣]

وبإسناده عن محمد بن سنان، قال:

«كنت عند أبي جعفر الثاني فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيته، ثم خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يُحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى.

ثم قال: يا محمد، هذه الدّيانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها محقّ، ومن لزمها لحقّ، خُذها إليك يا محمّد» (١).

خلقه شيعتهم من طينتهم

وما ورد في أنّ شيعتهم مخلوقون من طينتهم، كالخبر عن رسول الله يخاطب عليّاً عليهما السلام:

شيعتك ممّا خلقوا من فاضل طينتنا (٢).

وكالخبر عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وقلوبهم نحن إيلنا، لأنها خلقت ممّا خلقنا، ثم تلا هذه الآية «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيْنَ * وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِّيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» ٣.

ص: ١٦٦

١-١) الكافي ١/٤٤١ [١]

٢-٢) روضه الواعظين ٢/٢٩٦ [٢]

وخلق عدوًا من سَجِّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت ممّا خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ * وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيُلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» ١.

وهذا الحديث رواه الحافظ ابن عساكر بترجمه «على بن إسحاق بن رداء أبو الحسين الغساني الطبراني» قال:

سمع العباس بن الوليد بن مزيد ببيروت وعلى بن نصر النصرى وأبا إسحاق إبراهيم بن الوليد، وعبدالله بن الهيثم العبدى، ومحمد بن عزيز الأيلي، وإدريس بن سليمان بن أبي الزباب، ومحمد بن يزيد المستملى.

روى عنه أبو أحمد بن عدى الجرجاني الحافظ، وأبو بكر بن المقرئ الأصبهاني، وأحمد بن عبدالله بن أبي دجانة، ومحمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي، وأبو الحسين ثوابه بن أحمد بن عيسى بن ثوابه الموصلي، وأبو الحسن على بن الحسين بن بُنْدَار الأذنى القاضي، وأبو سليمان بن زبر.

أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء بن أبي منصور، أنا أبو الفتح منصور بن الحسين بن على بن القاسم بن رواد الكاتب، وأبو طاهر بن محمود، نا أبو بكر بن المقرئ، نا أبو الحسين على بن إسحاق بن رداء القاضي، قاضى الطبريه، بالطبريه، نا على بن نصر البصرى، نا عبدالرزاق، أنا معمر، عن الزهرى، عن على بن الحسين، عن أبيه رفعه قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ عَلِيِّينَ، وَخَلَقَ طَيِّبَتِنَا مِنْهَا، وَخَلَقَ طَيِّبَةَ مَحَبَّتِنَا مِنْهَا، وَخَلَقَ سَجِّينَ وَخَلَقَ طَيِّبَةَ مَبْغُضِنَا مِنْهَا، فَأَرْوَاحُ مَحَبَّتِنَا تَتَوَقُّ إِلَى مَا

خُلقت، وأرواح مبغضينا تتوق إلى ما خُلقت منه.

قال ابن المقرئ: هكذا حدّثناه علي بن رداء وكان أحد الثقات والظرفاء من أهل الشام، رحمه الله.

وعلى بن نصر ذكر: أنه شيخ بصرى له قدر عظيم» (١).

الفرق بين «الشيعة» و «المحب» بحسب الروايات

وهنا لابدّ من التذكير بأنّ في التعبير ب «الشيعة» إشارة إلى من يكون مصداقاً حقيقياً للبرّ، أي: للصدق والصلاح، فهو الذي تكون خلقته من طينه أهل البيت، وليس المراد مطلق «المحب» ، وللتأكيد على هذا المعنى نذكر الروايات التالية عن كلّ واحدٍ منهم عليهم السّلام:

«قال رجلٌ لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، يا رسول اللّٰه؛ فلان ينظر إلى حرم جاره، وإن أمكنه مِواقعه حرام لم ينزع عنه؟ فغضب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، وقال: ائتنى به. فقال رجل آخر: يا رسول اللّٰه، إنّه من شيعتكم، ممّن يعتقّد موالاتك وموالاه عليّ، ويتبرّأ من أعدائكما. فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله: لا تقل إنّه من شيعتنا، فإنّه كذب، إن شيعتنا من شيعنا وتبعنا في أعمالنا، وليس هذا الذي ذكرته في هذا الرجل، من أعمالنا.

«وقيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: فلانٌ مسرفٌ على نفسه بالذنوب الموبقات، وهو مع ذلك من شيعتكم! فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: قد كتبت عليك كذبه، أو كذبتان، إن كان مسرفاً بالذنوب على نفسه، يحبنا ويبغض أعداءنا، فهو كذبةٌ واحدة، هو من محبينا لا من شيعتنا، وإن كان يوالى أوليائنا، ويعادى

ص: ١٦٨

أعداءنا، وليس هو بمُسرف على نفسه في الذنوب كما ذكرت، فهو منك كذبه، لأنه لا يُسرف في الذنوب، وإن كان لا يُسرف في الذنوب، ولا يُوالينا، ولا يُعادى أعداءنا فهو منك كذبتان.

*وقال رجل لامرأته: اذهبي إلي فاطمه عليها السّلام بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاسْأَلِيهَا عَنِّي: أَنَا مِنْ شِيعَتِكُمْ، أَوْ لَسْتُ مِنْ شِيعَتِكُمْ؟ فَسَأَلَتْهَا، فَقَالَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ: قَوْلِي لَهُ: إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ بِمَا أَمْرُنَاكَ، وَتَنْتَهِي عَمَّا زَجَرْنَاكَ، فَأَنْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، وَإِلَّا فَلَا. فَرَجَعْتُ، فَأَخْبَرْتَهُ، فَقَالَ: يَا وَيْلِي، وَمَنْ يَنْفَكَ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْخَطَايَا؟ فَأَنَا إِذْ خَالِدٌ فِي النَّارِ، فَإِنَّ مِنْ لَيْسَ مِنْ شِيعَتِهِمْ فَهُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ. فَرَجَعْتُ الْمَرْأَةَ، فَقَالَتْ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَا قَالَ لَهَا زَوْجُهَا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: لَيْسَ هَكَذَا، إِنَّ شِيعَتِنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكُلُّ مُحِبِّينَا، وَمُوَالِيِ أَوْلِيَانِنَا، وَمُعَادِيِ أَعْدَائِنَا، وَالْمَسْلُومِ بَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ لَنَا، لَيْسُوا مِنْ شِيعَتِنَا إِذَا خَالَفُوا أَوْ أَمَرْنَا وَنَوَاهِينَا فِي سَائِرِ الْمَوْبِقَاتِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَا يَطْهَرُونَ، مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِالْبَلَايَا وَالرِّزَايَا أَوْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِأَنْوَاعِ شِدَائِدِهَا، أَوْ فِي الطَّبَقِ الْأَعْلَى مِنْ جَهَنَّمَ بَعْدَابِهَا، إِلَى أَنْ نَسْتَنْقِذَهُمْ بِحُبِّنَا مِنْهَا، وَنَنْقُلَهُمْ إِلَى حَضْرَتِنَا.

*وقال رجل للحسن بن علي عليهما السّلام: يا بن رسول الله، إنني من شيعتكم. فقال الحسن بن علي عليهما السّلام: يا عبدالله، إن كنت لنا في أوامرنا وزواجنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفه لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومُحِبِّيكُم، ومُعَادِيِ أَعْدَائِكُم. وأنت في خير، وإلى خير.

*وقال رجل للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام: يا بن رسول الله، أنا من شيعتكم. قال عليه السّلام: إتق الله، ولا تدعِين شيئاً يقول لك الله: كذبت

وَفُجِّرَتْ فِي دَعْوَاكَ، إِنَّ شِيعَتَنَا مِنْ سَلِمَتِ قُلُوبِهِمْ مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَغِلٍّ وَدَغَلٍ، وَلَكِنْ قُلْ: إِنِّي مِنْ مَوَالِيكُمْ وَمُحِبِّكُمْ.

وقال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام: يا بن رسول الله، أنا من شيعتكم الخُلص. فقال له: يا عبد الله، فأذن أنت كإبراهيم الخليل عليه السلام، الذي قال الله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَأِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» ١ فإن كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا، وإن لم يكن قلبك كقلبه وهو طاهر من الغش والغل فأنت من محبينا، وإلما فإنك إن عرفت أنك بقولك كاذب فيه إنك لمبتلى بفالج لا يفارقك إلى الموت أو جذام، ليكون كفاره لكذبك هذا.

*وقال الباقر عليه السلام لرجل فخر على آخر، قال: أتفاخرني وأنا من شيعة محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد الطيبين؟! فقال له الباقر عليه السلام: ما فخرت عليه ورب الكعبة، وغبن منك على الكذب. يا عبد الله، أمالك الذي معك تُنفقه على نفسك أحب إليك، أم تُنفقه على إخوانك المؤمنين؟ قال: بل أنفقه على نفسي. قال: فلست من شيعتنا، فإننا نحن ما نُنفق على المُنتحلين من إخواننا أحب إلينا من أن نُنفق على أنفسنا، ولكن قل: أنا من محبيكم، ومن الراجين للنجاه بمحبتكم.

*وقيل للصادق عليه السلام: إن عمارة الدهني شهيد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادته، فقال له القاضي: قم -يا عمارة- فقد عرفناك، لا نقبل شهادتك لأنك رافضي. فقام عمارة، وقد ارتعدت فرائصه، واستفرغه البكاء، فقال له ابن أبي ليلى، أنت رجل من أهل العلم والحديث، إن كان يسوؤك أن يقال لك

رافضى فترأ من الرفض، فأنت من إخواننا.

فقال له عمّار: يا هذا، ما ذهبُ-والله-حيثُ ذهبْتَ، ولكنى بكيْتُ عليك وعلى.

أمّا بكائى على نفسى، فإنّك نسيتنى إلى رُتبهِ شريفهِ لستُ من أهلها، زعمتَ أنّى رافضى، ويحك، لقد حدّثنى الصادق عليه السّلام: أنّ أوّل من سُمى الرافضه السّحرهُ الذين لَمّا شاهدوا آية موسى عليه السّلام فى عصاه آمنوا به، ورَضوا به، وأتبعوه، ورَفَضوا أمرَ فِرْعَوْنَ، واستسَلِموا لكلّ ما نزلَ بهم، فسَمّاهم فِرْعَوْنَ الرافضه لَمّا رَفَضوا دينه. فالرافضى: من رَفَضَ كلّ ما كرهه الله تعالى، وفعلَ كلّ ما أمرَ به الله تعالى، فأين فى الزمان مثل هذا؟ فإنما بكيْتُ على نفسى خَشْيَه أن يَطَّلِعَ اللهُ تعالى على قلبى وقد تقبّلت هذا الاسم الشريف، فيُعاقبنى ربّى عزّ وجلّ، ويقول: يا عمّار، أكنتَ رافضاً للأباطيل، عاملاً للطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك تقصيراً بى فى الدرجات إن سامحنى مُوجباً لشديد العقاب على إن ناقشنى، إلّا أن يتداركنى موالى بشفاعتهم.

وأما بُكائى عليك، فلِعِظَمِ كذبك فى تسميتى بغير اسمى، وشفقتى الشديده عليك من عذاب الله تعالى، أن صرّفت أشرف الأسماء إلى أن جعلته من أردلها، كيف يصبر بدنك على عذاب الله وعذاب كلمتك هذه.

فقال الصادق عليه السّلام: لو أنّ على عمّار من الذنوب ما هو أعظم من السّماوات والأرضين، لمُجِئَتْ عنه بهذه الكلمات، وإنّها لتزيد فى حسناته عند ربّه عزّ وجلّ، حتّى يجعل كلّ خَرَدَلَه منها أعظم من الدنيا ألف مرّه.

*وقيل لموسى بن جعفر عليه السّلام: مررنا برجلٍ فى السوق وهو ينادى: أنا من شيعة محمد وآل محمد الخُصّ، وهو ينادى على ثياب يبيعها على يمن

يزيد. فقال موسى: عليه السّلام: ما جُهل ولا ضاع أمرؤ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، أتدرون ما مثل هذا؟ هذا كمن قال: أنا مثل سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وعمّار، وهو مع ذلك يُبَاخِسُ في بَيْعِهِ، وَيُدَلِّسُ عِيُوبَ الْمَبِيعِ عَلَى مُشْتَرِيهِ، وَيَشْتَرِي الشَّيْءَ بِثَمَنِ فَيُزِيدُ الْغَرِيبَ، يَطْلُبُهُ فَيُوجِبُ لَهُ، ثُمَّ إِذَا غَابَ الْمُشْتَرِي، قَالَ: لَا أُرِيدُهُ إِلَّا بِكَذَا، بدون ما كان يطلّبه منه، أيكون هذا كسلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وعمّار؟ حاشَ لله أن يكون هذا كهم، ولكن لا يمنعه أن يقول: أنا من محبّي محمّد وآل محمّد، ومن موالئ أوليائهم، ومعادى أعدائهم.

*ولمّا جُعِلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَايَهُ الْعَهْدُ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَذْنُهُ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمًا بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْكَ، يَقُولُونَ: نَحْنُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا مُشْغُولٌ، فَاصْرِفْهُمْ. فَاصْرِفْهُمْ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي جَاءُوا وَقَالُوا كَذَلِكَ، فَقَالَ مِثْلَهَا، فَاصْرِفْهُمْ إِلَى أَنْ جَاءُوا هَكَذَا يَقُولُونَ وَيَصْرِفْهُمْ شَهْرَيْنِ. ثُمَّ أَيْسُوا مِنَ الْوَصُولِ، وَقَالُوا لِلْحَاجِبِ: قُلْ لِمَوْلَانَا: إِنَّا شِيعَةُ أَبِيكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ شَمِتَ بِنَا أَعْدَاؤُنَا فِي حِجَابِكَ لَنَا، وَنَحْنُ نَنْصَرِفُ هَذِهِ الْكَرَّةَ، وَنَهْرُبُ مِنْ بَلَدِنَا خَجَلًا وَأَنْفَهُ مِمَّا لِحِقْنَا، وَعَجْزًا عَنِ احْتِمَالِ مَضَضٍ مَا يَلْحَقُنَا بِشِمَاتِهِ أَعْدَاؤُنَا.

فقال عليّ بن موسى عليهما السّلام: ائذّنْ لهم ليدخلوا. فدخلوا، فسلموا عليه، ولم يأذنْ لهم بالجلوس، فبقوا قياماً.

فقالوا: يا بنَ رسولِ الله، ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصّعب، أيّ باقيه تُبقي منّا بعد هذا؟

فقال الرضا عليه السّلام: اقرءوا: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيَّدِيكُمْ وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» ١ ، ما اقتديتُ إلا برَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وبأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ آبَائِي الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عَتَبُوا عَلَيْكُمْ فَاقْتَدَيْتُمْ بِهِمْ.

قالوا: لماذا، يا بن رسول الله؟

قال: لَدَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ شِيعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وَيَحْكُمُ، إِنَّمَا شِيعَتُهُ: الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَعَمَّارُ، وَمَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، الَّذِينَ لَمْ يُخَالِفُوا شَيْئاً مِنْ أَوْامِرِهِ، وَلَمْ يَرْتَكِبُوا شَيْئاً مِنْ فُنُونِ زَوَاجِرِهِ، فَأَمَّا أَنْتُمْ إِذَا قُلْتُمْ إِنَّكُمْ شِيعَتُهُ، وَأَنْتُمْ فِي أَكْثَرِ أَعْمَالِكُمْ لَهُ مُخَالَفُونَ، مَقْصِيَرُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَرَائِضِ، وَمَتَهَاوِنُونَ بَعْظِيمَ حَقُوقِ إِخْوَانِكُمْ فِي اللَّهِ، وَتَتَّقُونَ حَيْثُ لَا تَجِبُ التَّقِيَّةَ، وَتَتْرَكُونَ التَّقِيَّةَ حَيْثُ لَا بَدَّ مِنَ التَّقِيَّةِ، وَلَوْ قُلْتُمْ أَنْكُمْ مَوَالِيهِ وَمُحَبُّوهُ، الْمَوَالُونَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْمُعَادُونَ لِأَعْدَائِهِ، لَمْ أَنْكَرْهُ مِنْ قَوْلِكُمْ، وَلَكِنْ هَذِهِ مَرْتَبَةٌ شَرِيفَةٌ ادَّعَيْتُمُوهَا، إِنْ لَمْ تَصَدَّقُوا قَوْلَكُمْ بِفِعْلِكُمْ هَلِكْتُمْ، إِلَّا أَنْ تَتَدَارَكَكُمْ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ.

قالوا: يا بن رسول الله، فإننا نستغفر الله، ونتوب إليه من قولنا، بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوكم ومحبو أوليائكم، ومُعَادُوا أَعْدَائِكُمْ.

قال الرضا عليه السلام: فمرحبا بكم -يا إخواني وأهل ودي- ارتفعوا، ارتفعوا. فما زال يرفعههم حتى ألصقهم بنفسه، ثم قال لحاجبه: كم مرة حجبتهم؟ قال: ستين مرة، فقال لحاجبه: فاختلف إليهم ستين مرة متواليه، فسلم عليهم، وأقرئهم سلامي، فقد مَحَا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم، واستحقوا

الكرامه لمحبتهم لنا وموالاتهم، وتفقد أمورهم وأمور عيالاتهم، فأوسعهم بنفقاتٍ ومبراتٍ وصلاتٍ ودفع مضراتٍ.

*ودخل رجل على محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهو مسرور، فقال: مالي أراك مسروراً؟ قال: يا بن رسول الله، سمعت أباك يقول: أحق يوم بأن يسرَّ العبد فيه: يرزقه الله صدقاتٍ ومبراتٍ وسدَّ خللٍ من إخوانٍ له مؤمنين، وأنه قصدني اليوم عشره من إخواني المؤمنين الفقراء، لهم عيالات، قصدوني من بلد كذا وكذا، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم، فلماذا سروري.

فقال محمد بن علي عليهما السلام: لعمرى إنك حقيقٌ بأن تسرَّ إن لم تكن أحبطته، أو لم تحبطه فيما بعد. فقال الرجل: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخالص؟ قال: ها قد أبطلت برك ياخوانك وأصدقائك.

قال: وكيف ذلك، يا بن رسول الله؟ قال له محمد بن علي عليهما السلام: اقرأ قول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى» ١.

قال الرجل: يا بن رسول الله، ما مننتُ على القوم الذين تصدقت عليهم، ولا آذيتهم.

قال له محمد بن علي عليهما السلام: إن الله عز وجل إنما قال: «لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى» ولم يقل: لا تبطلوا باليمن على من تصدقون عليه، وبالأذى لمن تصدقون عليه، وهو كل أذى. أفستري أذاك للقوم الذين تصدقت عليهم أعظم، أم أذاك لحفظتك وملائكة الله المقربين حواليك، أم أذاك لنا؟ فقال الرجل: بل هذا، يا بن رسول الله. فقال: فقد آذيتني وآذيتهم، وأبطلت صدقتك. قال:

لماذا؟ قال: لقولك: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخُص؟ ويحك، أتدرى من شيعتنا الخُص؟ قال: لا. قال: شيعتنا الخُص حزقيل المؤمن، مؤمن آل فرعون، وصاحب يس الذى قال الله تعالى فيه: «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى» ١ وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمير. أسويت نفسك بهؤلاء، أما آذيت بهذا الملائكة وآذيتنا؟ فقال الرجل: استغفر الله وأتوب إليه، فكيف أقول: قال قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادى أعدائكم وموالى أوليائكم. . . فقال محمد بن علي بن موسى: الآن قد عادت إليك مثوبات صدقاتك وزال عنك الإحباط.

*وقال الحسن بن عليّ عليهما السلام للرجل الذى قال إنه من شيعة عليّ عليه السلام:

يا عبدالله، لست من شيعة علي عليه السلام، إنما أنت من محبيه، إن شيعة علي عليه السلام: الذين قال الله تعالى فيهم: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ٢، وهم الذين آمنوا بالله، ووصفوه بصفاته، ونزهوه عن خلاف صفاته، وصدقوا محمداً فى أقواله، وصوبوه فى كل أفعاله، وقالوا: إن علياً بعده سيداً إماماً، وقزماً هماماً، لا يعدله من أمته محمد أحد، ولا كلهم إذا اجتمعوا فى كفه يوزنون بوزنه، بل يرجح عليهم كما ترجح السماء والأرض على الذره، وشيعة علي عليه السلام هم الذين لا يبالون فى سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم، وشيعة علي عليه السلام هم الذين

يقتدون بعليّ في إكرام إخوانهم المؤمنين.

ما عن قولي أقول لك هذا، بل أقوله عن قول محمّد صلى الله عليه وآله، فذلك قوله تعالى: «وَعَمَلُوا الصّٰلِحٰتِ» قضاوا الفرائض كلّها بعد التوحيد واعتقاد النبوه والإمامه، وأعظمها فرضان: حقوق الإخوان في الله، واستعمال التقيّه من أعداء الله عزّ وجلّ (١).

الأئمه هم الأصل في بزّ الأبرار

ويمكن أن يكون المراد من «أصول الكرم» أن الأئمه هم الأصل في بزّ الأبرار، وأنهم أخذوه وتعلّموه من الأئمه عليهم السّلام. . . . وبذلك نصوص عنهم عليهم السّلام. . . .

فعن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:

نحن أصل كلّ خير ومن فروعنا كلّ بزّ، فمن بزّ التوحيد والصّلاه والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء ورحمه الفقير وتعهد الجار والإقرار بالفضل لأهله.

وعدونا أصل كلّ شرّ، ومن فروعهم كلّ قبيح وفاحشه، فمنهم الكذب والبخل والنميمة والقطيعه وأكل الرّبا وأكل مال اليتيم بغير حقّه، وتعدّي الحدود التي أمر الله، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والزنا والسرقة، وكلّ ما وافق ذلك من القبيح.

فكذب من زعم أنه معنا وهو متعلّق بفروع غيرنا» (٢).

وعن أبي خالد الكابلي عن أبي عبد الله في خبر، قال:

ص: ١٧٦

١- (١) البرهان في تفسير القرآن ٤/٦٠٢-٦٠٨. [١]

٢- (٢) الروضه من الكافي: ٢٤٢-٢٤٣.

هم-والله-ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فيظلم قلوبهم.

والله-يا أبا خالد-لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون مسلماً لنا، فإذا كان مسلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر (١).

وعن الرضا عليه السلام في خبر:

إن شيعتنا لمكتوبون بأساميهم وأسامي آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا. . . نحن آخذون بحجزه نبينا ونبينا آخذ بحجزه ربنا، والحجزه النور، وشيعتنا آخذون بحجزتنا. . . نحن نور لمن تبعنا وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء (٢).

وأخرج الحاكم النيسابوري بإسناده-وصححه-عن علي قال:

أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله، فمحبونا؟ قال: من ورائكم (٣).

وَدَعَائِمُ الْأَخْيَارِ

إشاره

«الدعائم» جمع «الدعامه» بالكسر، وهى: ما يستند به الحائط إذا مال يمنعه السقوط. ودعمت الحائط دعماً من باب نفع، ومنه قيل للسيد فى قومه: هو دعامه

ص: ١٧٧

١-١ (١) الكافي ١/١٩٤. [١]

٢-٢ (٢) بحار الأنوار ٢٤٢/٢٤٦. [٢]

٣-٣ (٣) المستدرک على الصحيحين ٣/١٥١.

القوم، كما يقال: هو عمادهم (١).

والدعامه: عماد البيت الذى يقوم به (٢).

وفى الحديث: دعامة الإنسان العقل (٣).

و «الأخيار» جمع «الخير» وهو المتّصف ب «الخير» .

وقد وصف الله سبحانه أنبيائه ورسله بالأخيار إذ قال:

«وَأُذْكَرُ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ. . . وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لِمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ* وَ أُذْكَرُ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلُّ
مِنَ الْأَخْيَارِ» ٤.

فالأنبياء والرسول على رأس «الأخيار» .

«الخير» مفهوماً ومصداقاً

ثم إنَّ الخير كله بيد الله. . . قال تعالى:

«قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٥.

و «الخير» يقابل «الشر» كما هو واضح، والظاهر أنَّ عبارته الراغب الإصفهاني أحسن ما قيل فى مصاديق «الخير» إذ قال:

الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشىء النافع (٤).

ص: ١٧٨

١-١ (١) المصباح المنير: ١٩٤. [١]

٢-٢ (٢) لسان العرب ١٢/٢٠١.

٣-٣ (٣) الكافي ١/٢٥. [٢]

٤-٤ (٤) المفردات فى غريب القرآن: ١٦٠. [٣]

وذلك: لأنَّ العقل يدلُّ الإنسان على ما فيه خيره وصلاحه لدنياه وآخرته ويمنعه عمَّا يباعدُه عن الله، ولذا أمر سبحانه في غير موضع من كتابه المجيد بالتعقل. وكذلك العدل، فإنَّ كلَّ أحدٍ يرغب فيه والله يأمر به إذ يقول:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...» ١.

وكذلك العلم، وما أكثر الأوامر في طلبه وتحصيله.

وكذلك الاتِّصاف بالصفات الحسنه والتنزُّه عن السيئات، ولذا قال تعالى:

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...» ٢.

بل لقد وصفت هذه الأُمَّة بالخيريَّة إنَّ كانت أمره بالمعروف وناهيه عن المنكر، في قوله عزَّ وجلَّ:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...» ٣.

وحَتَّى المال إذا استعين به على معرفه الله وطاعته، وصرف في سبيل رضاه عزَّ وجلَّ، ولذا عبَّر عنه بـ «الخير» في قوله تعالى:

«... إِنْ تَرَكَ خَيْرًا...» ٤.

على رأس كل خير: المعرفة والطاعة

وعلى الجملة، فإنَّ كلَّ ما يكون محبوباً عند الله ومقرباً إليه فهو خير، ولذا يأمر بالتعقل وطلب العلم والعدل التام والتحلي بالصفات الطيبة، وينهى عن

الجهل والفحشاء والمنكر وسيئات الأعمال والصفات... والأصل في ذلك كله:

١- المعرفة...

٢- الطاعة...

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» ١.

وسواء كان «ليعبدون» أى: ليعرفون أو أبقى على ظاهره، فإنَّ العبادة والطَّاعة متوقفه على المعرفة... هذا من جهه.

ومن جههٍ أخرى، فقد ورد عن الأئمة الطاهرين قولهم:

«لولا ما عرف الله» (١).

و «لولا ما عبد الله» (٢).

وحينئذٍ نقول:

معرفة الله وطاعته بالأئمة

١- إن طريق معرفة الله تعالى والعبودية له وطاعته وعبادته منحصر في الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام فحسب.

وكل معرفة لم تخرج من بيوتهم ليست بمعرفة، وكل عمل عبادى لم يكونوا مصدره لا- قيمه له ولا أثر، وكل من ارتقى سلم الدرجات العاليه فى الطاعة والعبادة، وحاز على موقع القبول عند البارى تعالى، فهو ببركتهم وعنايتهم وتأيدهم.

ص: ١٨٠

١- (٢) بحار الأنوار ٢٦/١٠٧. [١]

٢- (٣) كتاب التوحيد: ١٥٢.

٢- إنه لولا وجودهم المبارك عليهم السّلام، وما أفاضوه من علوم وبركاتٍ، لما كان هناك شيء يذكر في الوجود، خلقاً كان أو علماً كان أو عملاً أو... لأن من أجلهم خلق الله تعالى الخلق، وعن طريقهم ومن خلالهم هدى الله من اهتدى، ولا يمكن أن يكون هناك خير لم يصدر عنهم.

لذا، فإن الخير ومن اتصف به-قليله أو كثيره-قائم بهم وهم دعامته ومرجعه ومبدؤه ومنتهاه، فهم الذين خيروا الخير فيمن اتصف به، لأنّ كلّ ما فى مائده الوجود من خير فهو قائم بهم، وهم القوام له.

فإذا ما عرض لنا شك فى خيريّه أو شريّه شيء ما، فبنورهم يرفع الشك ويقولهم يحسم الأمر، لأن خيريّه الأختيار وكلّ خيرٍ فهو متقوم بأهل البيت عليهم السّلام، ومن يطلب ذلك من غيرهم فهو حاطب ليل.

وآين نجد غيرهم من عنده هذا المقام الرفيع؟

ولم تنفرد الزياره الجامعه بحتميه هذه الحقيقه، بل نطق به القرآن الكريم والسّنه الشريفه التى من ضمنها سيرتهم العمليه فى كلّ لحظات حياتهم الطيبه المباركه التى أرادها الله لهم، حتى يرث الأرض ومن عليها، فلا محيص من الاستناد إليهم والاتصال بهم والأخذ عنهم لمن أراد أن يكون من أهل الخير، ولا يوجد هذا الخير-جلّه أو نزره-فى أىّ مذهب أو فكر أو أمّه لا تمّت بصله مع هؤلاء الأئمه العظام، وهو أمر يتطلّب تفصيله بحدوثاً عميقه مطوّله.

ولقد ثبت-تاريخياً-أنهم عليهم السّلام أصل كلّ فرع من فروع الخير أينما وُجد، وما لم يكن ذا صلّه بهم فهو أبتى، وهل يوجد الخير فى الأبتى؟ ولا عجب فى ذلك ولا مغالاه، لأن الله تبارك وتعالى أرادهم هكذا وأدبهم فكانوا كما أراد وأحبّ.

جاء في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام ما نصّه:

«إن الله عزّ وجلّ أدب نبيّه على محبّته فقال: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ١ ثم فوّض إليه فقال: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ٢ وقال عزّ وجلّ: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ٣.

ثم قال:

وإن نبي الله فوّض إلى عليّ وائتمنه، فسلمتم وجحد الناس. فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وأن تصمتوا إذا صممتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزّ وجلّ. ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا» (١).

ولك أن تتمعن في محلّ الشاهد من كلامه، وهو قوله عليه السّلام: «ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا»، فقد جاءت كلمه «خيراً» نكرةً في سياق النفي، لتدلّ على عدم وجود أقلّ قليلٍ من الخير في خلاف أمرهم...!

إنّ الخير كلّ في محبّتهم وموالاة-تهم واتباعهم، ولا-خير إلّا عندهم ومنهم، ولا-شئ من الخير عند غيرهم، حتى أنّ أهل السنّه يروون بأسانيدهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله:

«لو أنّ عبداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام ثم ألف عام ولم يقبل بمحبّتنا أهل البيت، لأكبه الله على منخره في النار» (٢).

ص: ١٨٢

١- (٤) الكافي ١/٢٦٥. [١]

٢- (٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٦٦، [٢] كفاية الطالب: ٣١٧، [٣] شواهد التنزيل ١/٥٥٣، [٤] شرف النبي: ٢٦١.

أى: إن تلك الأعمال لا تقبل منه، فهو كمن لم يعمل وعصى الله في ما أمره ونهى عنه، ومن كان هذا حاله فإن الله يكبه على منخره في النار. . . .

وبما ذكرنا ظهر معنى كونهم دعائم الأخيار.

وَسَاسَةُ الْعِبَادِ

«السياسة» لغة

«السياسة» جمع «السائس». قال الفيومي: ساس زيد الأمر يسوسه سياسةً: دبره وقام بأمره (١).

وقال ابن منظور: السَّوْسُ الرياسة، يُقال: ساسوهم سَوَسًا، وإذا رَأَسُوهُ قِيلَ: سَوَّسُوهُ وَأَسَاسُوهُ. وساس الأمر سياسته، أى قام به، ورجل ساسٌ من قوم ساسه وسواس، أنشد ثعلب: سادته قاده لكلِّ جميعٍ ساسةً للرجال يوم القتالِ
وسَوَّسَهُ القوم: جعلوه يسوسهم. . . .

وفى الحديث: «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم».

أى: تتولَّى أمورهم كما يفعل الامراء والولاة بالرعيه من الناحيتين الماديّه والمعنويّه.

والسياسة: القيام على الشىء بما يصلحه.

ونلاحظ فى الكتب الأخلاقية بحثاً عن أسلوب وسلوك ربّ العائلة مع أفراد عائلته، وكيفيه تعامله معهم بما يهديهم ويرشدهم عملياً إلى أفضل سبل

ص: ١٨٣

العيش في الحياه. كما أنه لابدّ لمن يلي أمر السياسه لحيّ من الأحياء أو مدينه من المدن، أن يضع خطّه لإداره أمور تلك المنطقه بما يصلح شؤون أهاليها الماديّه والمعنويّه، لما فيه سعادتهم في الدارين.

بناءً على ذلك، فإن المهمّه التي أو كلّها الله إلى الأئمّه من آل محمّد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، هي إداره أمور البشريه وتديبرها، لتصل إلى ساحل الخير والصلاح والطمأنينه والسّعاده في الدارين.

المراد من «العباد»

و «العباد» جمع «العبد» وهو خلاف الحرّ، وقد يراد به العابد.

والظاهر أن المراد هنا هو العموم، لأنّ الأئمّه هم القوّام بأمر عباد الله في التربيه وفي العباده له سبحانه. وتوضيح ذلك هو:

إن «العبد» قد يجمع بلفظ «العباد»، والمراد منه غالباً هو عبد العباده أي: العابد، وقد يجمع بلفظ «العبيد»، والمراد منه غالباً هو العبد المملوك، المبحوث عنه في الفقه في كتاب العبيد والإماء، ومن موارد إطلاق «العباد» وإرادته «العبيد» قوله تعالى:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» ١.

كما يطلق «العبيد» ولا- يراد «المماليك» ولا العباديّه لله، بل يراد العبيد في الطّاعه، ومن ذلك ما روى عن مولانا الإمام على بن موسى الرضا أنه قال في قوله تعالى:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» ١.

«الناس عبيد لنا فى الطّاعة» (١).

فتحصّل: ورود «العبد» بثلاثة معان:

١-العبد، بمعنى العابد.

٢-العبد، بمعنى المملوك.

٣-العبد، فى الطّاعة. . . .

وفى الآيه المذكوره كلمتان:

احدهما: «الناس المحسودون» ، وقد قال الأئمّه عليهم السّلام بتفسيرها:

«نحن المحسودون» (٢).

والثانيه: «الملك العظيم» ، وقد قالوا بتفسيرها:

«أى: الطّاعة المفروضه» (٣).

وهذه الآيه من أوضّح الآيات فى الدلاله على الولايه التكوينيّه والتشريعيّه للأئمّه المعصومين من العتره النبويه المطهّره، لأنّ هذا الملك العظيم هو مقام «الولايه» المطلقه المذكوره فى الآيه المباركه:

«إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» . ٥

ص: ١٨٥

١-٢) الكافى ١/١٨٧. [١]

٢-٣) الكافى ١/١٨٧، [٢]شواهد التنزيل ١/١٨٤، [٣] جواهر العقدين ٢/٩٦، المناقب لابن المغازلى: ٢٦٧.

٣-٤) الكافى ١/١٨٦. [٤]

ومن هنا، فقد عُبر عن المعصومين من أهل البيت بـ «اولوا الأمر» في الآية المباركة:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» . ١

وإذا كانت دالة على الولاية المطلقة- كما سيأتي بيانه في الموضوع المناسب لذلك- جاز إرادته المعنى الثانى من المعانى الثلاثة، أما المعنى الأول، فلا يقوله أحد من الشيعة أبداً.

وتسميه الشيعة أبناءهم بـ «عبد الزهراء» و «عبد الحسين» ونحو ذلك، إنما هو بالمعنى الثالث، لأن الشيعة قد سلموا لأمر الله وإن جحد الناس، فهم عبيد لأهل البيت الأتھار فى الطاعة. . . بل يجوز أن يكون بالمعنى الثانى أيضاً كما أشرنا.

لكن بعض المخالفين يرموننا بالغلو والعبادة للأئمة عليهم السّلام بسبب تلك التسميات، وكأنهم يجهلون أو يتجاهلون مجئ «العباد» بمعنى «العبيد» كما فى قوله سبحانه:

«وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» . ٢

فالمراد من التسميه بـ «عبدالحسين» مثلاً كون الرجل عبد طاعه لأبى عبد الله الحسين الشهيد عليه السّلام أو عبد رق له، وأما العبوديّه والعباده فهى لله الواحد الأحد الذى لا شريك له.

ولقد بينا سابقاً أن عقيدتنا بالأئمة الطاهرين تتحدّد بين الغلو والتقصير حسب ما عرّفوا به أنفسهم من خلال ما نطقوا به كما فى الأخبار المرويّه عنهم.

إنّ الواحد منا يخاطبهم لدى الاستيذان للدخول عليهم بقوله:

عبدك وابن عبدك وابن أمتك المقرّ بالرقّ والتارك للخلاف عليكم (١).

ولا يقصد إلّا كونه مفترض الطّاعة، وأنه صاحب الولاية الكبرى، أمّا أن يقصد العبادة فهذا شرك، وقد قال الأئمّه عليهم السّلام:

إنا عبيد مربوبون، لا تجعلونا ربّاً. . . (٢).

الأئمّه ساسه البشر والملائكه

وبما ذكرنا ظهر معنى كونهم «ساسه العباد» وخلصته:

إنّ الأئمّه المعصومين يقدّمون برنامجاً دقيقاً وخطّةً محكمة لحياه الإنسان الماديّه والمعنويّه، مما يصلح شؤونه ويرتّب أمورّه ويوجب سعاده في الدنيا والآخره.

لكنّ هذه الحقيقه غير منحصره بالبشر، لأنّ «العباد» يعم «الملائكه» كذلك، فقد قال الله عزّ وجلّ:

«وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائاً. . .» ٣ .

فالأئمّه عليهم السّلام ساسه الملائكه كذلك، ويشهد بذلك ما ورد في أحاديث الفريقين عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: كنت نوراً بين يديّ الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم عزّ وجلّ بألفي عام، يسبّح ذلك النور فتسبح الملائكه بتسبيحه، فلما خلق الله تعالى آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال

ص: ١٨٧

١-١) بحار الأنوار ٩٨/١٩٩. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٢٥/٢٧٠ عن الخصال ٢/٦١٤.

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصباب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قطّ» (١).

ورواه الديار بكرى باختلاف يسير، قال: «عن ابن عباس، عن النبي، أنه قال: «كنت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، يسبح الله ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في السفينه، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصباب الكريمة والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من أبوي، لم يلتقيا على سفاح قطّ» (٢).

وروى أبو عبد الله محمد بن العباس بن ماهيار في كتابه (ما نزل من القرآن في أهل البيت) بسنده عن أشياخ من آل علي بن أبي طالب، قالوا:

«قال عليّ عليه السّلام في بعض خطبه: إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله تعالى بالتسبيح فسبحنا وسبحته الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى الأرض فأمرنا بالتسبيح فسبحنا فسبحته أهل الأرض بتسبيحنا، إنا نحن الصّافون وإنا نحن المسبحون» (٣).

وروى الحسن بن محمد الديلمي عن ابن مهران:

ص: ١٨٨

١-١) المنتقى من سيره المصطفى-مخطوط.

٢-٢) تاريخ الخميس ١/٢١. [١]

٣-٣) بحار الأنوار ٢٤/٨٨، [٢] تأويل الآيات الظاهرة: ٤٨٨.

«سئل عبد الله بن العباس عن تفسير قول الله تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» ١ قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل عليّ بن أبي طالب، فما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبسم في وجهه، وقال: مرحباً بمن خلقه الله تعالى قبل كل شيء، خلقتني الله وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسمه نصفين: فخلقتني من نصفه، وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور علي، ثم جعلنا من يمين العرش، ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة، وهللنا فهللت الملائكة، وكبرنا فكبرت الملائكة، وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي» (١).

ورواه شرف الدين النجفي

«عن محمد بن زياد، قال: سألت ابن مهران عبد الله بن العباس عن تفسير قوله تعالى: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» فقال ابن عباس: إِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . . .» (٢).

حق السائس بالترفيه والعلم

ومن الواضح أنّ الترفيه والتعليم لأبناء الإنسان لا- تتحقّق إلّا بقيامهم بما يجب عليهم تجاه المربّي والمعلم، وقد بين الأئمّه عليهم السلام ذلك في كليّاتهم الحكمية، ومن ذلك قول الإمام السجّاد عليه السلام في رساله الحقوق:

وحق سائسك بالعلم: التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه

ص: ١٨٩

١-٢) إرشاد القلوب ٢/١٩٥. [١]

٢-٣) تأويل الآيات الظاهره في فضائل العتره الطاهره: ٤٤٨.

والإقبال عليه (١).

فإن ذلك كله شرط، إذ لولا تعظيم التلميذ لاستاذه وحسن استماعه إليه وإقباله عليه، لم تؤثر السياسة التي اتخذها الاستاذ للتربيه والتعليم، ولذهبت جهوده هدرًا.

حق السائس بالملك

وكذلك السائس بالملك، وهو الذى أخذ على عاتقه إداره شؤون العباد والبلاد والقيام بمصالح الأئمة والدين، فإن الشرط فى تحقق ذلك هو الإنصياع للحاكم والإطاعه له، كما قال الإمام السجّاد عليه السلام:

وأما حقّ سائسك بالملك فأَنْ تطيعه ولا تعصيه (٢).

وحيث أنّ هذه الإطاعه مطلقه غير مقيدة بقيد، فالمراد من السائس بالملك هو الإمام المعصوم المتولّى لأُمور المسلمين المبسوط اليد، أمّا إذا لم يكن الحاكم هو الإمام المعصوم، فإنّ الإطاعه له ليست بمطلقه، بل إنّما يطاع فى أوامره ونواهيه المطابقه للشريعته المقدّسه.

وعلى كلّ حال، فإنّ الإطاعه له شرط، إذ لولا إطاعه الناس له فى أوامره ونواهيه لما حصلت نواياه الخيره فى مصالح المسلمين.

سياسه الأئمة ستجلى فى عصر الظهور

ولكن الأئمة-مع الأسف الشديد-لم تسلّم الأمر بيد أهله، ولم تطع الأئمة المعصومين عليهم السّلام، ليسوسوها عملاً بالملك والتربيه والتعليم، فقد حال

ص: ١٩٠

١-١) بحار الأنوار ٧١/١٣. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٧١/٥. [٢]

أعداء الإسلام والمسلمين دون ذلك، ولم يتسنّ لأهل البيت تطبيق مبادئ الحكومه الإسلاميه والسياسه الشرعيه الإلهيه، ممّا سبّب حرمان البشريه من الرقي والتقدّم والإزدهار من ناحيه، وعدم تذوّقها طعم العداله التي تمتاز بها السياسه الإسلاميه التي كانت عند أئمّتنا من ناحيه أخرى، ولولا عزل الأئمّه عن قياده المجتمع لتبيّن للقاصي والداني المفهوم الحقيقي للسياسه، واستقرّت الحكومه الصالحه لقياده المجتمعات البشريه.

لكن ذلك سيظهر في عصر الظهور بقياده الإمام صاحب العصر والزمان - أرواحنا له الفداء- وستتحقق أهداف حكومه الأئمّه- التي هي حكومه الإسلام كما أراد الله-على يديه.

وروايات الفريقين ناظره إلى ذلك، في نقلها لتصريح الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بقوله:

«يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً» (١).

والناظر في معنى «العدل والقسط» في اللغه العربيه، يدرك مدى الدور الذي سيضطلع به الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وكذلك ينبغي الالتفات إلى كلمه «الأرض» في كلام الرسول صلّى الله عليه وآله، فإن ذلك يوضّح أن نفوذ قياده الإمام عليه السلام لا يقتصر على بلاد المسلمين أو قطعه معيّنه من العالم أو على البشر خاصه، بل سيغمر كلّ الوجود، في حرّكه شموليه تأتي أولاً على الظلم وتقلع جذور الفساد الذي غصّ كوكبنا الأرضي وغاص في وحله نتيجة السياسات الباطله الذي أوجدها أعداء أهل البيت عليهم السلام، حتى أمست الدنيا مصداقاً لقوله تعالى:

ص: ١٩١

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» ١.

ومن أراد الإطلاع على سياسته الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف فيما بعد الظهور، فليراجع الروايات التي استوعبت هذا الموضوع في مصادرها (١).

وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ

«الركن» لغة

«الأركان» جمع «الركن» قال في القاموس:

الركن بالضم: الجانب الأقوى والأمر العظيم وما يقوى به من ملك وجند وغيره (٢).

فركن الشيء ما يكون حدوثة وبقاؤه مستنداً إليه ومعتمداً عليه، كما هو الحال في قواعد العماره، فإنها هي الأركان لها وبثباتها تبقى العماره ثابتة وبتزلزلها تنهار.

وقد جاء في القرآن الكريم في قصه لوط:

«قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» ٤.

مما يكشف عن حاجه الإنسان في حياته إلى ما يمنحه منعه تحفظه من المخاطر وطوارق الليل والنهار، وتلك المنعه إما تكون ذاتية أو خارجيه يؤوى ويركن إليها.

ص: ١٩٢

١-٢) بحار الأنوار: ج ٥٢. [١]

٢-٣) القاموس المحيط ٢٩٩/٤. [٢]

و «البلاد» جمع «البلد» ، والظاهر أنه النقطة المعموره، لعدم اطلاق هذا الاسم فى لغة العرب على المكان غير العامر، قال تعالى:

«بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ» ١.

فالأئمة عليهم السلام هم الأعمده التى تتقوم بها البلاد وتستقر، فهم السبب فى إعمارها وبقائها عامرة.

لكن صاحب مجمع البحرين يصرح بأن «البلد» أعم من العامر وغير العامر، إذ يقول:

«تطلق البلده والبلاد على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء» (١).

وبناءً على هذا، فالأئمة عليهم السلام أركان البلاد، فما كان عامراً ففى أصل وجوده وعمرانه، وما كان خلواً من العمران، ففى أصل وجوده، وكان المراد من «البلاد» هو «العالم» بأسره.

نكته قرآنيه

ويتبين للنظر فى الأسلوب القرآنى، أنه إذا أراد ذم مكان أو أهله أو أخبر عن نزول العذاب فيه، أتى فى جميع الموارد أو أغلبها بلفظ «القرية»، كآية المباركه:

«وَ كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً» ٣.

و «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ» ٤.

ص: ١٩٣

فهو يعبر ب «القرية» حتى لو كانت مدينه كبيره عامره... .

وبالعكس... نجده يعبر عن المكان إذا أراد أن يمدحه أو يمدح أهله أو رجلاً واحداً منهم ب «المدينه» ، كما فى الآيه:

«وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» ١.

وهنا مسائل

وبعد الفراغ عن بيان المراد من «الركن» و «البلد» يقع الكلام فى مسائل:

هل المراد أنهم أركان البلاد أو أركان أهاليها؟

وهل المراد أنهم الأركان لأصل الوجود أو للوجود والبقاء؟

وهل المراد أنهم الأركان فى الوجود المادى والمعنوى أو المعنوى فقط؟

قلت:

الأئمة أوتاد الأرض

ظاهر اللفظ-مع أصاله عدم التقدير فى الكلام-أن العبارة ناظره إلى أن الأئمة عليهم السّلام هم الذين تستقرّ بهم البلاد وتدوم، ولا- فرق بين المسكونه وغيرها. وعبارة أخرى: إن أصل وجود العالم وحدوثه ثم ديموميته وبقائه مرتهن بوجود الأئمة المعصومين، وهم أوتاد الأرض التى تثبتها كما تثبت الأرض بالجبال، قال تعالى:

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» ٢.

ويشهد بذلك أخبار كثيره:

ص: ١٩٤

منها: عن أبي جعفر عليه السّلام في حديث-قال: فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله باب الله الذي لا يؤتى إلّامنه، وسبيله الذي من سلّكه وصل إلى الله عزّ وجلّ، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السّلام من بعده، وجرى للأئمة واحداً بعد واحد.

جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها. . . (١).

وعنه عليه السّلام قال: والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض الله آدم عليه السّلام إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجّته على عباده. ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّه لله على عباده (٢).

وقال عليه السّلام: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله (٣).

وقد صرّح علماء أهل السنّه بهذا المعنى أيضاً، فقد قال القندوزي الحنفي:

إنّ الله خلق الأرض من أجل النبي صلّى الله عليه وآله، فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته (٤).

لكن الصحيح أنّ خلق الأرض من أجل النبي وأهل بيته كذلك. . . .

هم العله لخلق الناس وبقائهم

وكذا الكلام إن كان المراد من «أركان البلاد» هو «أهل البلاد»، فإنّ خلقهم وبقائهم هو من أجل النبي وأهل بيته، وأنه لو رفع أهل البيت من الأرض ذهب أهل

ص: ١٩٥

[١-١] الكافي ١/١٩٨. [١]

[٢-٢] الكافي ١/١٧٩. [٢]

[٣-٣] الكافي ١/١٧٩، [٣] بصائر الدرجات: ٤٨٨. [٤]

[٤-٤] ينابيع المودّه ١/٦٣. [٥]

الأرض كلهم، فحياتهم الماديّة والمعنويّة منوطه بحياه أهل البيت المعصومين.

ويشهد بهذا أيضاً نصوص كثيرة في كتب الفريقين:

فعن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أنه قال:

«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

وهذا القول يكشف عن المقام الذي خصّه الله تعالى لأهل البيت عليهم السّلام، بحيث جعل بين وجودهم المبارك وديمومه وجود الأرض وما عليها رباطاً وثيقاً إذا انحلت ذهبت الدنيا وما فيها.

وقد صحّح هذه الروايه كبار علماء السنه، كأحمد بن حنبل والحاكم النيشابورى (١).

وعباره «أهل الأرض» تدعونا للتدبر والتدقيق، فهي تشمل عامه أهل الأرض مسلمين وغير مسلمين، بشراً وغير بشر، وسنبيّن ذلك في حينه لاحقاً.

وجاء في حديث آخر قول الرسول صَلَّى الله عليه وآله ما نصّه:

«النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وإن أهل بيتي أمان لأمتي» (٢).

وفي حديث ثالث:

«النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت فيهم، فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاها ما يوعدون» (٣).

ص: ١٩٦

١-١) راجع المستدرک ٢/٤٤٨ و ٣/٤٥٧، وكنز العمال ١٢/٩٦-وروته أيضاً مصادرنا، راجع: تفسير الصافي ٦/٣٢٩، كمال الدين وتمام النعمه: ٢٠٥.

٢-٢) المعجم الكبير ٧/٢٢.

٣-٣) المستدرک على الصحيحين ٢/٤٨٦.

وعلى الجملة، فإن أهل البيت الطاهرين هم العلة لإيجاد الخلق، وهم العلة لبقائه، وهم السبب لجميع الخيرات والبركات المادية والمعنوية.

هم الأركان في الهدايه والتزكيه والتعليم والمغفره

وللأئمة الطاهرين آثار معنويّه عظيمه للإنسان، من أهمّها:

١-الهدايه

٢-التزكيه

٣-التعليم

وأنت تجد الكلام على كلّ واحدٍ من هذه الأمور في هذا الكتاب بشيء من التفصيل.

ومن الآثار المترتبه على وجودهم: رفع العذاب عن الناس بهم كما رفع بجدهم رسول الله إذ قال الله عزّ وجلّ:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» ١.

ومن الآثار المترتبه على وجودهم: بقاء الأمة على الإيمان، كما كان جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ قال الله سبحانه:

«وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ» ٢.

قال النيسابورى فى تفسيره:

« (وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ) استفهام بطريق الإنكار والتعجب، والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر، والحال أن آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلّى الله

ص: ١٩٧

عليه وآله غَضَه في كَلِّ واقعه، وبين أظهركم رسول يبين لكم كَلِّ شبهه ويزيح عنكم كَلِّ عله. . . .

قلت: أمّا الكتاب، فإنه باق على وجه الدهر، وأما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنه وإنْ كان قد مضى إلى رحمة الله في الظاهر، ولكن نور سرّه باق بين المؤمنين، فكأنه باق، على أن عترته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورثته، يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضاً، ولهذا قال: «إني تارك فيكم الثقلين» . . . (١).

ومن الآثار المترتبة على وجودهم: حفظ الأمة من الاختلاف، كما في الحديث:

النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيله من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس (٢).

ومن الآثار المترتبة على وجودهم: كونهم الوسيلة للوصول إلى الكمال لمن توسل بهم.

إنّ التوسيل بالأئمة الأطهار مفتاح الحصول على كلّ خير وسلّم الوصول إلى كلّ كمال، ومن المناسب أن أورد هنا ترجمه ما أوصاني به جدّي الراحل، المرجع الديني الكبير، المرحوم السيد محمّد هادي الميلاني طيّب الله ثراه وبخطّ يده، فقد قال رحمه الله ما ترجمته:

«إن العمده في استكمال مراتب الفضيله أربعة أشياء:

الأوّل: المعارف الالهيه.

والثاني: التقوى.

ص: ١٩٨

١-١) تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/٣٤٧. [١]

٢-٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٦٢.

والثالث: الفقه والأصول.

والرابع: مكارم الأخلاق.

فإن اجتماع هذه الأركان الأربعة في غاية الأهميته، وهو المستعان سبحانه وتعالى.

وإن الدعاء والتوسل بمقام الولاية وطلب العناية المباركة من وليّ العصر أرواحنا فداه، هي الوسيلة لنيل تلك الأركان الأربعة. إن شاء الله تعالى.

أثر وجودهم للجنّ والحيوانات

ثم إنه يستفاد من كلمه «أهل الأرض» في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض» أن بركات وجود أهل البيت عليهم السّلام على وجه الأرض لا تقتصر على أبناء البشر فحسب، بل تعمّ سائر الخلائق كالحيوانات والجنّ... في حدوثها وبقائها...

إنّ الأخبار في معرفه الأئمة عليهم السّلام لغات الحيوانات ورجوعها إليهم في مشكلاتها وتقديم شكاواها... كثيرة، وما قصّيه الغزالي التي شملها عطف الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام إلّا واحده من تلك القضايا، وفي هذا الكتاب موارد أخرى.

وأما الجن، فمن «أهل الأرض» أيضاً، وفي هذه الطائفة مؤمنون وغير مؤمنين، وكلّهم يتنعمون ببركات الأئمة الأطهار.

وقد اتفق في زمان مرجعيته سيدنا الجدّ الزّاحل في مدينه مشهد الرضا أن رجلاً جاء إلى شيخ كان له القدره على الاتّصال بالجن، وشكى إليه استهداف الجنّ داره بالحجاره، فاستفسر الشيخ منهم فقالوا: بأن أهل هذه الدار قد كسروا رجل

واحدٍ منّا، فنحن نرميهم بالحجاره انتقاماً منهم، فأقرّ صاحب الدار بأنّ أحد أبنائه قد كسر رجل قطّ كان على حائط الدار، وأبدى استعداداه لجلب رضاهم، فقالوا: نحن مقلدون للسيد الميلاني ونسلم لحكمه، فلما حكم السيد الجدّ في القضيه وامتل صاحب الدار... انقطع رمى الأحجار... .

هذا، ومن جملة الشواهد على عموم «أركان البلاد» كما ذكرنا، ما ورد بذيل قوله تعالى:

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» ١.

ففي الأخبار:

«هي ولاية على بن أبي طالب» (١).

وروى الحافظ ابن شهر آشوب السروي عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال:

«عرض الله أمانتي على السّماوات السّبع بالثواب والعقاب، فقلن: ربّنا لا- تحمّلنا بالثواب والعقاب، لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإنّ الله عرض أمانتي وولايتي على الطيور، فأول من آمن بها البزاه البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقا فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأمرًا البوم، فلا- تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها، وأما العنقاء، فغابت في البحار لا ترى. وإنّ الله عرض أمانتي على الأرضين، فكلّ بقعه آمنت بولايتي جعلها طيبه زكيه وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالاً، وكلّ بقعه جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي،

ص: ٢٠٠

جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً علقماً، وجعل ثمرها العوسج والحنظل، وجعل ماءها ملحاً أجاجاً.

ثم قال: «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ»؛ يعنى أمتك يا محمد! ولايه أمير المؤمنين وإمامته بما فيها من الثواب والعقاب «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا» لنفسه «جَهُولًا» لأمر ربّه؛ من لم يؤدها بحقّها فهو ظلوم غشوم» (١).

وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ

إشاره

قد نُزِلَ «الايمن» بمنزله مكانٍ يراد الدخول إليه، ونُزِلَ الأئمه بمنزله «الأبواب» لذلك المكان.

ويتمّ شرح هذه الجملة وفهم المقصود منها ببيان نقاط:

١- إنَّ أَى مكانٍ محصور يراد الدخول فيه يلزم نصب الباب أو الأبواب له من أجل الدخول عن طريقه.

٢- إنَّ الباب يعدّ من أجزاء ذلك المكان بل من أجزائه الرئيسيّه.

٣- إنَّ الدخول فى المكان لا عن طريق الباب المعدّ لذلك قبيح عقلاً وعقلاءً، وغير جائز شرعاً، ولذا قال سبحانه:

«وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» . ٢

٤- إنَّ تحقق الدخول فى أَى مكانٍ من الأمكنه المتعلّقه للغير منوط بأمرين:

ص: ٢٠١

أحدهما: وجود المقتضى للدخول، لأنه ليس كل واحدٍ بأهلٍ للدخول إلى كلِّ مكان، بل لا بدَّ أن تكون هناك مناسبة بينه وبين المكان، فالأهليه واللباقه للدخول فيه شرط.

والثانى: عدم المانع، بأن ينتفى المانع من الدخول من قبله ومن قبل المكان ومن بيده الأمر، فقد يوجد المقتضى وينتفى المانع من قبله ولكنَّ صاحب المكان لا يأذن، ولذا قال تعالى:

«وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا» ١.

٥- إنَّ من الأمكنه ما يمتنع إتيانه من ظهره لو أريد ذلك، لعلو السور المحيط به واستحكامه مثلاً، والدخول من الباب وهو الطريق الوحيد، فإن دخل منه وإلا لم يكن من أهل ذاك المكان.

٦- إنه قد لا يكون للمكان - وإن كان واسعاً جداً - إلا باب واحد.

«الإيمان» لغة

وبعد

فما هو «الإيمان» ؟

إن «الإيمان» فى اللغه من «الأمن»، وهو طمأنينه النفس وزوال الخوف (١)، ومن هنا كان من الصحيح القول بأن «الإيمان» هو التصديق المطلق (٢) والاعتقاد الجازم، لأنَّ المؤمن المعتقد كذلك يكون فى أمنٍ من الريب والشك ومن عواقب عدم الإيمان.

ص: ٢٠٢

١- (٢) المفردات فى غريب القرآن: ٢٥.

٢- (٣) مجمع البحرين ٦/٢٠٥. [١]

فالأئمة عليهم السلام هم الأبواب للاعتقاد الجازم بما يجب الاعتقاد به كذلك، والتصديق المطلق بما يجب التصديق به كذلك.

إنهم الباب الوحيد المنصوب من الله للدخول في هذا الحصن المستحکم، والاعتقاد الجازم بإمامتهم والتصديق المطلق بأقوالهم الصيادره عنهم هو من الأجزاء الرئيسيّة للإيمان الموجب للأمن من الضلال والعقاب الاخرى، لمن كان له الأهلتيه والصيادريه لذلك....

روايه في الإيمان

إنّ الاعتقاد الجازم والتصديق المطلق يكون في القلب وهو فعله، ويكون في الجوارح، وهو الامتثال للأوامر والنواهي، وفي الكافي «باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها» (١).

وعن أبي عمرو الزبيرى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«أيها العالم! أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله؟

قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلّاه.

قلت: وما هو؟

قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلّاهو، أعلى الأعمال درجه وأشرفها منزله وأسناها حظاً.

قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟

فقال: الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بين في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه.

ص: ٢٠٣

قال: قلت: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه.

قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهى تماما ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه.

قلت: إن الإيمان ل يتم وينقص ويزيد؟

قال: نعم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها، فليس من جوارحه جارحه إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويدها اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشى بهما وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحه إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من الله تبارك اسمه» .

وفى هذه الرواية فوائد كثيرة.

ثم قال عليه السلام:

«فأما ما فرض على القلب من الإيمان، فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله-صلوات الله عليه-والإقرار بما جاء من عند الله...» (١).

لذلك كان أئمتنا على أعلى مستوى من درجات الإيمان، فقد سئل أبو جعفر الباقر عليه السلام:

ص: ٢٠٤

أى شىء تعبد؟

قال: الله

قال: رأيتَه؟

قال: بلى، لم تره العيون بمشاهده الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» (١).

من هنا، فإنّ قوله عليه السّلام:

«لو كُشِفَ لى الغطاء ما ازددت يقيناً» (٢).

ناظر إلى هذا الجانب.

وهم القائلون:

«بنا عُرِفَ الله، بنا عُبِدَ الله» .

وسنذكر بعض الأبحاث بهذا الصّدد فى شرح عبارته «من أراد الله بدأ بكم» من هذه الزيارة. إن شاء الله.

وبما ذكرنا ظهر: أن «الإيمان» أو «ما يجب الاعتقاد به» بالاعتقاد الجازم، والتصديق به مطلقاً، هو «الدين» والشريعة المقدّسه الإسلاميه. . . .

«الإيمان» هو «الدين»

فما هو حقيقه الدين؟

إنّ الدين الإسلامى الكامل الذى بلّغه رسول الله صلّى الله عليه وآله ووصفه الله سبحانه بما أنزله يوم غدير خم من قوله:

ص: ٢٠٥

١- (١) الكافي ١/٩٧. [١]

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٨، [٢] بحار الأنوار ٤٠/١٥٣.

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» ١.

والذى جعل الأئمة عليهم السلام الباب الوحيد للدخول فيه، فكان الاعتقاد الجازم بإمامتهم والتصديق بولايتهم المطلقه. . . يتشكل من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمور الاعتقادية.

القسم الثانى: الأمور العمليه، من الواجبات والمحرمات والمستحبات، وهى الأمور التى لها صلّه بالأعضاء والجوارح.

القسم الثالث: الصفات النفسانيه، والخصال الأخلاقيه التى يسعى الإنسان للتخلّق بأفضلها، مبتعداً عن سيئها وذميمها.

مجموع هذه الأقسام هو الدين.

ومما لا يخفى: أن لبّ الدين وأساسه هى الأمور الاعتقادية التى تبنى عليها الأمور العمليه والأخلاقية. فعندما يوصف أحد بأنّه من أهل الإيمان الذين ترعرعوا فى أحضانه وأصبحوا من أبناء الإسلام البارّين، فسيتطابق الإيمان مع سلوكه وجوارحه وعقله، وهو الذى ستكون عقائده تامّه وأعماله صحيحه، لأنّه قد أصبح عبداً مطيعاً. أمّا قلباً، فلاّعتقاده الجازم بالاصول الواجب عليه الإعتقاد بها عقلاً- وشرعاً، وأمّا عملاً، فلاّمثاله للأوامر والنواهى، بفعله الواجبات وتركه المحرمات، وكذا من جهه اعتداله فى السلوك.

ص: ٢٠٦

وهكذا يكون الإنسان الكامل وكمال الإنسان في الإسلام، والبرهان على ذلك هو: إنَّ الإنسان ذو أبعاد ثلاثة:

١- البعد الروحي

٢- البعد الجسدي

٣- البعد النفسي

فمن حَيَّد واجتهد في بلوغ ذرى هذه الأبعاد فهو الإنسان الكامل، لأنه يبلغ النضوج في بعده الروحي والفكري عقائدياً، وفي بعده الجسدي في اجتناب المحرّمات والعمل بالواجبات. وثالث أضلاع المثلث؛ البعد النفسي الذي يسوق النفس للتركيه، بإخلائها من الصفات الذميمة وتحليتها بالخصال الحميده-حسب تعبير علماء الأخلاق-.

وهذه رساله الدين الإسلامي، لأن الدين الإسلامي دين العقيدة الصحيحه والأعمال الصالحه، ودين تهذيب وتزكيه الإنسان، وعليه، فالكمال كل الكمال في الإسلام فقط.

فإذا ما أردنا نبعا صافياً ننهل منه الكمال في مساراته الثلاثة، فما علينا إلّا أن نقتدى بالأئمّه الأطهار الذين جعلهم الله الباب الوحيد للدخول في الإيمان وبلوغ الكمال.

ويشهد بما ذكرنا أحاديث كثيره في كتب الفريقين:

مما أورده الفريقان هو قول النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله:

«علي بن أبي طالب باب الدين» (١).

وهو ما يؤيد تفسيرنا للإيمان، وأن الدين هو ما أوضحناه بأبعاده الآنفه الذكر. وفيه تطابق مع باب حطه الذي «من خرج منه كان كافراً».

علي باب حطه

فمن المعلوم أن الآية المباركة من سورة البقرة:

«أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» ٢.

نزلت في قوم موسى عليه السلام حيث فرض الله تعالى عليهم أن يدخلوا من باب البيت المقدس في حاله الخشوع والخضوع ليغفر لهم، وإلا يحرمون المغفرة وتستحوذ عليهم الشقاوة والخسران. فضربها نبينا الأكرم صَلَّى اللهُ عليه وآله مثلاً لأُمَّته بتشبيهه عليّ عليه السلام بالباب المذكور، كما نقل ذلك كبار أهل السنّة كصاحب الجامع الصغير، عن ابن عباس:

«عليّ باب حطه، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً» (٢).

وعلق المناوي على ذلك بقوله:

«أى أنه سبحانه وتعالى كما جعل لبني إسرائيل دخولهم الباب متواضعين

ص: ٢٠٨

[١-١] ينابيع الموده ٢/٢٤٣. [١]

[٢-٣] الجامع الصغير ٢/١٧٧

خاشعين سبباً للغفران، جعل لهذه الأُمَّه مودّه على والاهتداء بهديه وسلوك سبيله وتولّيه سبباً للغفران ودخول الجنان ونجاتهم من النيران، والمراد يخرج منه خرج عليه (١).

فعلّي ومن اقتدى به واهتدى بهديه فاتّبعه فى أقواله وأفعاله، يكون مؤمناً كامل الإيمان، وهو الإيمان بأبعاده الثلاثة التى يكمل بها المؤمن كما أسلفنا، وهذا يوضّح مصداقيه الأتحاد بين «باب الإيمان» و «باب حطّه» وتطابق نتيجتها.

باب السلم

كما أنّ الأئمة عليهم السلام هم المصداق لقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» ٢.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا إن العلم الذى هبط به آدم من السماء إلى الأرض، وجميع ما فضّلت به النبيون إلى خاتم النبيين، فى عتره خاتم النبيين.

فأين يتاه بكم، بل أين تذهبون؟ . . . إنّ مثلنا فيكم كمثل الكهف لأصحاب الكهف وكباب حطه، وهو باب السلم، فادخلوا فى السلم كافه» (٢).

ولا أوضح من ذلك، ولا أثر بعد عين، وما علامه الإيمان واكتماله إلّا بالدخول فى باب السلم هذا، والخروج منه هو الكفر بعينه، وليس بعد الحق إلّا الضلال.

ص: ٢٠٩

١- ١) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ٤/٤٦٩.

٢- ٣) كتاب الغيبة للنعمانى: ٤٤. [١]

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

أنا مدينة الفقه وعلى بابها (١).

وقد ذكرنا في بحوثنا أن «التفقه في الدين» الذي أمرنا بالنفر من أجله في قوله تعالى:

«وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» ٢.

هو فهم الدين في أبعاده الثلاثة المذكوره سابقاً.

وعلى عليه السلام هو الباب لذلك. . . فكان هذا الحديث متطابقاً مصداقاً مع ما تقدم من الأحاديث النبويه.

على باب الجنه

وهذا حديث آخر مروى عن رسول الله، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«أنا مدينة الجنه وعلى بابها، فمن أراد الجنه فليأتها من بابها» (٢).

وهل الجنه إلا الدين؟

وهل الجنه إلا الإيمان؟

ص: ٢١٠

١-١) نفتح الأزهار ١٠/٣٦٥. [١]

٢-٣) أمالي الطوسي: ٣٠٩، [٢] مناقب على لابن المغازلي: ٨٦.

على باب مدينة العلم

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها.

وهذا من أشهر الأحاديث النبويّة، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً بالتفصيل في أجزاء كتابنا الكبير (١).

وقد مرّ علينا قول أمير المؤمنين عليه السّلام:

ألا، إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضّلت به النبيون إلى خاتم النبيين، في عتره خاتم النبيين (٢).

فكلّ من أراد شيئاً من علوم الأوّلين والآخريين، فعليه أن يرجع إلى على عليه السّلام، وهو «باب السّلام» و«باب الفقه» و«باب الدين».

على باب الحكمة

وقد جاء المعنى المذكور بلفظ «الحكمة» أيضاً، إذ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا مدينة الحكمة وعلى بابها» (٣).

على باب النبي

وهو عليه السّلام باب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذ قال له:

«أنت بابي الذي أوتى منه».

ص: ٢١١

١-١) نفحات الأزهار، [١] الأجزاء ١٠-١١.

٢-٢) بحار الأنوار ٢٦/١٦٠. [٢]

٣-٣) نفحات الأزهار ١٠/٣٥٠. [٣]

أو قال عنه: «هو بابي الذي يؤتى منه» .

أو قال:

«على بابي الذي أوتى منه» (١).

وقد ورد ذلك في كتب الفريقين، فمن أراد أن يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَخْذِ الشَّيْءِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ فِي شَتَّى الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، فَلْيَأْتِ عَلِيًّا، لِكَوْنِهِ بَابَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

على باب الله

وبالأخره... فَإِنَّ عَلِيًّا بَابَ اللَّهِ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَلِيٍّ:

يا علي، أنت حجه الله وأنت باب الله (٢).

وهذا التعبير أكثر التعابير جمالاً وبهاءً...

إِنَّ مَنْ أَرَادَ الْوَصُولَ إِلَى اللَّهِ، فَلْيَبْدَأْ بِعَلِيٍّ وَالْأَثَمَةَ الطَّاهِرِينَ مِنْ وَلَدِهِ...

إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَبْوَابُ الْمَنْصُوبَةُ مِنَ اللَّهِ لِلْوَصُولِ إِلَيْهِ...

والوصول إلى الله هو الفوز برضاه والقرب منه بمعرفته عن طريق أوليائه المعصومين وطاعته وعبادته كما بينوا، ومن يدعى وجود طريق آخر يؤدي إلى ذلك غير طريق النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين فهو كاذب دجال، ومن مصاديق قوله تعالى:

ص: ٢١٢

١- ١) وسائل الشيعة ٢٧/٧٦، [١] فرائد السمطين ١/١٥٠، [٢] كفاية الطالب ١٠/٣٨٩، [٣] ينابيع المودة: ٦٣.

٢- ٢) بحار الأنوار ٣٦/٤. [٤]

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» ١.

على الباب المبتلى به الناس

ولذا كان على وأبناؤه الأطهار الباب المبتلى به الناس... قال رسول الله لعللى: يا على، إنك مبتلى ومبتلى بك (١).
والابتلاء هو الاختبار.

وفى الزيارة الجامعة إنهم «الباب المبتلى به الناس» وسيأتى شرحه، وباللله التوفيق.

وَأَمْنَاءُ الرَّحْمَنِ

«الأمانة» لغة

«الأمانة» جمع «الأمين» وهو المؤتمن على الشىء.

ومفهوم الأمانة يتقوم بثلاثة أمور:

١- المؤتمن. وهو الذى يودع الشىء لدى أحد.

٢- المؤتمن. وهو الذى يودع عنده الشىء.

٣- الشىء المؤتمن. وهو الشىء المودع من قبل المودع لدى المؤتمن. وليس بالضرورة أن يكون شيئاً من الأعيان، فقد يكون كلاماً أو خبراً يودع عند

ص: ٢١٣

الشخص ويطلب منه أن لا- ينتشر، كما في الأحاديث عن النبي وآله، فعن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

المجالس بالأمانة (١).

فعلى ذلك، يمكن أن تكون الأمانة شيئاً مادياً أو معنوياً، وإذا لم يتوفّر طرف من الأطراف الثلاثة، لا يتحقق عنوان الأمانة مطلقاً.

إلّا أن «أمناء الرحمن» قد اشتمل على طرفين، فما هو الشيء الذي أودعه الله تعالى لدى أهل البيت عليهم السّلام فأصبحوا بموجبه أمنائه؟

إنه لمّا كانت عبارته «أمناء الرحمن» يفهم منها الإطلاق ولم تتحدّد بقرينه، بل إنّ الإضافة إلى الرحمة الرحمانيّة أيضاً يقتضى الإطلاق، كما سيأتى، وتكون الأمانة غير محدّده بشيء، بل تشمل كلّ أمور العالم-مادّيّه ومعنويّه-فهى مودعه عند الأئمّه عليهم السلام.

الغرض من جعل الأمانة

ثم إنّ الغرض من جعل الشيء أمانةً عند الشخص يختلف:

فقد يجعله لأنّ يحتفظ به ولا يأذن له بالتصرّف فيه أصلاً.

وقد يجعله عنده ويأذن له بالتصرّف.

فتارة: يأذن بالتصرّف لنفسه.

واخرى: يأذن بالتصرّف فى جهه اخرى معيّنه.

وثالثه: يأذن بالتصرّف فيه على وجه الإطلاق.

وهذه الصّوره الأخيره هى ظاهر إطلاق «أمناء الرحمن» .

ص: ٢١٤

إضافه «الأمناء» إلى «الرحمن»

لقد دلّ «أمناء الرحمن» على الشمول والإطلاق في «الشيء» المجعول أمانه، وفي أنحاء التصرف فيه إن كان قابلاً لذلك.

وتدلّ إضافه «الأمناء» إلى «الرحمن» لا إلى لفظ الجلاله أو «الرب» وغير ذلك على الشموليه من جهه اخرى، لأنّ في الإضافه إلى الرحمه الرحمانيه إشارة إلى أن فوائد وبركات تصرفات الأئمه في الأشياء ليست خاصه بأهل الإيمان، بل إنها تعمّ جميع الخلائق، كما أن الرّحمه الإلهيه عامه ووسعت كلّ شيء، كما قال سبحانه:

«وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» ١.

ما هو الملاك لهذا الائتمان

وحيثُ، يقع البحث عن الملاك لهذا الائتمان مع هذه السعه والشموليه في التصرف وغيره؟

إنّ القابليه والأهليه للائتمان تختلف، فقد يكون الشخص مؤهلاً لأن يودع عنده الشيء بقيمه مائه دينار مثلاً، ولا يطمئنّ به لأن يودع عنده إذا كان بقيمه ألف دينار، وهكذا. . . فما هي الصّيفات التي جعلت أئمه أهل البيت عليهم السّلام مؤهلين لأن يكونوا أمناء الله الرحمن على كلّ شيء من القرآن والشّريعه وجميع الكائنات، ومأذونين لأن يتصرّفوا في الأشياء ممّا يمكن التصرف فيه كيفما شاؤوا؟

والجواب:

أولاً: إنّ الأئمه عليهم السّلام معصومون من المعصيه والخطأ والنسيان.

ص: ٢١٥

وثانياً: إنهم عالمون بجميع المصالح والمفاسد، وبذلك روايات كثيرة، منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ اللهَ أحكم وأكرم وأجلُّ وأعظم وأعدل من أن يحتجَّ بحجه ثم يغيب عنهم شيئاً من أمورهم» (١).

وعنه أنه قال: «أترى من جعله الله حججه على خلقه يخفى عليه شيء من أمورهم» (٢).

وثالثاً: إنهم مظاهر الرّحمه الإلهية الواسعه وقد جعل لهم الولايات العامه، كما تقرّر في محلّه.

ومن النصوص الداله على ذلك الخبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنّي ولا ملك في السماوات إلّا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلّا وقد عرض ولايتنا واحتج بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد، حتى السماوات والأرض والجبال» (٣).

ورابعاً: إنه أفضل من الملائكة الذين أوكل الله إليهم تدبير الأمور وأشار إليهم بقوله:

«فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» ٤.

وخامساً: إن الله سبحانه قد أدبهم قبل أن يأتمنهم ويفوض إليهم الأمور وإداره شؤون العالم، كما في عدّه من النصوص.

ص: ٢١٦

١-١) بصائر الدرجات: ١٢٣. [١]

٢-٢) بحار الأنوار ٢٦/١٣٨. [٢]

٣-٣) بحار الأنوار ٢٧/٤٦. [٣]

وسادساً: إِنَّ الْأَئِمَّةَ لَا يَقْدَمُونَ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَقُومُونَ بِعَمَلٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنَ اللَّهِ، كَمَا فِي الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ، كَالَّتِي وَرَدَتْ بِذِيْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

«وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» ١.

كَالْخَبْرِ عَنِ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ قُلُوبَ الْأَئِمَّةِ مُورِداً لِإِرَادَتِهِ، وَإِذَا شَاءَ شَيْئاً شَاءُوا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

فَهُمْ يَحْلُونَ مَا يَشَاؤُونَ وَيَحْرَمُونَ مَا يَشَاؤُونَ، وَلَنْ يَشَاؤُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (١).

فَلَا مَجَالَ لِلِاسْتِغْرَابِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ بِشَرْحِ الْجُمْلَةِ، وَلَا يَتَوَهَّمُ مِنْهُ الْغَلْوُ، وَسَنُوضِّحُ كَلَّاماً مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي مَوْضِعِهِ الْمُنَاسِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

إِشَارَةٌ إِلَى مَا وَرَدَ فِي حِفْظِ الْأَمَانَةِ وَأَدَائِهَا

عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ طَهَّرَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْبَخْلِ وَالْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالطَّمَعِ وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّذَائِلِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي تَتَسَبَّبُ فِي الْخِيَانَةِ فِي الْأَمَانَةِ. . . يَقُولُ الْإِمَامُ السَّجَّادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ائْتَمَنَنِي عَلَى السَّيْفِ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ لِأَدِيَّتِهِ إِلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

لَا تَغْتَرَّوْا بِصَلَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ رَبَّمَا لَهَجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى

ص: ٢١٧

لو تركه استوحش، ولكنْ اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة (١).

وفى أخرى:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبياً إلَّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر (٢).

وفوق ذلك... الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أمر رجلاً بإبلاغ كلامه إلى أحد أصحابه قائلاً:

قل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: أنظر ما بلغ به على عند رسول الله فالزمه، فإنَّ علياً إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله بصدق الحديث وأداء الأمانة (٣).

وَسَلَالَةُ النَّبِيِّينَ

إشاره

قال في المصباح: السليل الولد، والسلاله مثله، والائثى سليله (٤).

وفى مجمع البحرين: السلاله الخلاصه لأنها تسلَّ من الكدر، ويكتنى بها عن الولد، والسلاله النطفه أو ما ينسلَّ من الشىء القليل.. وسلاله الوصيين: أولادهم (٥).

والظاهر أن «اللام» فى «النبيين» للعهد، لأنَّ عدَّة من النبيين هم آباء الأئمَّه الطاهرين لا كلَّهم...

ص: ٢١٨

[١-١] الكافى ٢/١٠٤. [١]

[٢-٢] المصدر. [٢]

[٣-٣] المصدر. [٣]

[٤-٤] المصباح المنير: ٢٨٦. [٤]

[٥-٥] مجمع البحرين ٥/٣٩٨. [٥]

ولا يتوهم كون النبيين أفضل من الأئمة لأنهم قد تولدوا منهم... لوجوه:

الأول

إنه قد تقرر في محلّه: أنّ الإنسان إنسانٌ بروحه لا ببدنه، وأنّ البدن دائماً في خدمة الروح، تستخدمه في مقاصدها، وإنّ ثبت أن البدن أيضاً يعاد في القيامة للحساب، وأن المعاد روحاني وجسماني معاً... وعلى هذا، فإنّ الأفضليّة ترجع إلى الروح وإن كان البدن المتعلّقه به متولّداً من المفضول.

والثاني

إنه لا-ريب لأحدٍ في أفضليّته نبينا صلّى الله عليه وآله من آبائه وسائر الأنبياء السابقين، وأنّ كونهم وسائط لتولّده لا يقتضى أفضليّتهم منه، كذلك الحال بالنسبة إلى الأئمة عليهم السّلام، فمجرد الأبوة والبنوة لا يكفي لأفضليّته الأب من الابن.

والثالث

إنه قد ثبت من آية المباهلة، وهي قوله تعالى:

«... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ...» ١.

والمراد من «الأنفس» على عليه السّلام، هو مساواه أمير المؤمنين للنبي في جميع فضائله ومناصبه إلّا النبوة، ولما كان صلّى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء، كذلك على، لأن مساوى الأفضل أفضل.

وأيضاً: قد بسطنا الكلام فيما سبق حول تقدّم نبوه نبينا الأكرم على نبوات

سائر الأنبياء، وأوضحنا هناك ملازمه الإمام على له في ذاك العالم، فكان ذلك دليلاً آخر على أفضليته من الأنبياء السابقين، وكذلك بقيه الأئمة المعصومين.

والرابع

إن مقتضى حديث النور المتفق عليه، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَحَدِ الْفَافِظَةِ:

كنت أنا وعلى نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء على، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب، ففي النبوه وفي عليّ الخلافه.

هو أن الأنبياء من آبائهما-بالرغم من علوّ منزلتهم ورفع مقامهم-لم يكونوا إلّا وسائط لمجئ النبي ووصيّه على-عليهما الصّلاه والسلام-إلى هذا العالم، وقد فضّلنا الكلام حول مداليل هذا الحديث في كتابنا الكبير (١).

والخامس

إن مقتضى حديث التشبيه المتفق عليه، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَحَدِ الْفَافِظَةِ-كما رواه الحافظ السيروي عن أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عباس-من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سمته، وإلى محمّد في تمامه وكمالته وجماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل. قال: فتناول الناس أعناقهم، فإذا هم بعلي، كأنما ينقلب في صلب وينحلّ عن جبل. تابعهما أنس، إلّا أنه قال: إلى إبراهيم في خلّته، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه. فلينظر إلى على بن أبي طالب (٢).

ص: ٢٢٠

١-١) نفحات الأزهار، الجزء الخامس.

٢-٢) مناقب آل أبي طالب ٣/٢٦٤. [١]

هو: اجتماع ما تفرّق من الفضائل والمناقب في الأنبياء في شخص على عليه السّلام، وهذا يدلّ على أفضليّته رغم تولّده منهم، وقد بيّنا وجوه دلالة الحديث على ذلك في كتابنا الكبير (١).

فإن قلت:

إذن، ما الفائدة في مخاطبه الأئمّه بقولنا: وسلاله النبيّن؟

قلت: يكفي فضلاً لهم أن المناوئين لهم لم يكونوا من سلالة النبيّن، بل لم تخلص أنسابهم من الفاحشه والسّفاح، فالأئمّه عليهم السّلام فقط سلالة النبيّن دون غيرهم من كبار صحابه رسول الله عليه وآله السّلام.

وَصَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ

اشاره

قال في المصباح: صفو الشيء - بالفتح - خالصه، والصفوه - بالهاء والكسر - مثله، وحكى التثنيث، ووصفا صفواً من باب قعد وصفاء: إذا خلص من الكدر (٢).

وفي المفردات: أصل الصّفاء خلوص الشيء من الشوب (٣).

وعليه، فهذه الجملة كسابقتها في الدلالة على أنّ الأئمّه عليهم السّلام خلاصه المرسلين في جميع صفاتهم، ففيهم اجتمعت الصفات الحميده والملكات الفاضله التي تفرّقت في المرسلين، وهم القائمون بوظائفهم والحافظون لشرائعهم والمروّجون لتعاليمهم من بعدهم، ولعلّه إلى هذا تشير إضافه كلمه «الصفوه» إلى «المرسلين» .

ص: ٢٢١

١- ١) نفحات الأزهار، الجزء: ١٩. [١]

٢- ٢) المصباح المنير: ٣٤٣. [٢]

٣- ٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٣. [٣]

ولعل من خير الأدلة والشواهد على كون أئمة أهل البيت «سلاله النبيين وصفوه المرسلين» حياتهم وسيرتهم في المجتمع، فقد اعترف بذلك لهم المؤلف والمخالف والقريب والبعيد، ولذا كانوا أفضل الأسر والبيوت في الأولين والآخرين، قال رسول الله في الحديث المتفق عليه:

إن الله خلق الخلق ففرّقهم فرقتين، فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خيّر القبائل فجعلني من خير القبيلة، ثم خيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً (١).

وفي الباب أحاديث أخرى تجد بعضها في الكتاب.

وَعْتَرَهُ خَيْرُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

«العترة» لغة

قال في الصحاح: عترة الرجل: نسله ورهطه الأذنون (٢).

وفي المخصّص: عترة الرجل: أسرته وفصيلته ورهطه الأذنون (٣).

وفي النهاية: عترة الرجل أخصّ أقاربه، وعترة النبي صلى الله عليه وآله بنو عبدالمطلب، وقيل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلى وأولاده (٤).

ص: ٢٢٢

١-١) صحيح الترمذى ٥٨٣/٥-٥٨٤.

٢-٢) صحاح اللغة ٢/٧٣٥.

٣-٣) المخصّص ١/٣٢٠.

٤-٤) النهاية في غريب الحديث ٣/٣٨٥. [١]

وفى اللسان:

قال ابن الأعرابي: العتره ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه. قال: فعتره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِدِ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ عَلَيْهَا السَّلَامُ (١).

وفى القاموس: العتره بالكسر. . . نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون (٢).

فهذه كلمات عدّه من أعلام اللّغويين فى مفهوم «العتره» ، وقد رأيت اتفاقهم على أنه نسل الرجل وولده وذريته، وصرّح بعضهم بأنهم على وفاطمه وأولادهما.

وفى هذا إشارة إلى الحديث القطعيّ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (٣).

وسياتى بعض الكلام حوله، وهناك يظهر السبب فى إيراد عبارات عدّه من أهل اللّغه فى معنى «العتره» .

و «الخيره» هو المختار المنتخب والمصطفى (٤).

و «الرب» ، قال الراغب: هو فى الأصل التربيّه، وهو إنشاء الشىء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام (٥).

و «العالمين» جمع «العالم» : عالم الذرّ، وعالم الدنيا، وعالم الآخرة.

ص: ٢٢٣

[١-١] لسان العرب ٤/٥٣٨. [١]

[٢-٢] القاموس المحيط ١/٥٦٠. [٢]

[٣-٣] نفحات الأزهار، [٣] الأجزاء: ١-٣.

[٤-٤] المفردات فى غريب القرآن: ١٦٠. [٤]

[٥-٥] المصدر: ١٨٤. [٥]

وفي هذا إشاره إلى الأحاديث القطعيّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، كالحديث:

إنّ الله خلق الخلق... وقد تقدّم.

والحديث:

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانه، واصطفى من كنانه قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم (١).

والحديث عن بعض الصحابة:

إنّ الله تعالى اختار لنا خيراً الأنساب من لدن آدم إلى أن أُخرج من صلب أبيه عبدالله، فجعل خيراً الناس من ولد إسماعيل، فتكلّم بالعربيّة وتكلّم إسحاق على لسان أبيه، فولد إسماعيل العرب، ثم جعل خيراً الناس كنانه، ثم جعل خيراً العرب قريشاً وخير قريش بنى هاشم، ثم جعل خيراً بنى هاشم بنى عبدالمطلب، ثم خير بنى عبدالمطلب نبينا محمّداً صلّى الله عليه وآله فبعثه رسولاً واتّخذة نبياً وأهبط عليه جبرئيل بالوحي وقال له: طفت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر أفضل منك (٢).

عن علي عليه السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال:

قسّم الله تبارك وتعالى أهل الأرض نصفين، فجعلني في خيرهما، ثم قسّم

ص: ٢٢٤

١- (١) أمالي المفيد: ٢١٦، صحيح مسلم ١١/٣٨٠ بتفاوت يسير.

٢- (٢) فتوح الشام ٢/١٩.

الآخر النصف على ثلاثة فكانت خير الثلاثة ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بنى هاشم من قريش، ثم اختار بنى عبدالمطلب من بنى هاشم، ثم اختارني من بنى عبدالمطلب (١).

وفي حديثٍ بعد أن قال ما ذكر:

فأنا من خيارٍ إلى خيار (٢).

فالأئمة خيرهم رب العالمين، وعترته من هو خيار من خيار، والذي أضيف إلى «رب العالمين» للإشارة إلى كونه الأفضل من بين جميع المرئيين في جميع العوالم، والذي قال:

«أدبني ربي فأحسن تأديبي» (٣).

والذي قال ولده الإمام الصادق عليه السلام في وصفه:

إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ٤. ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عز وجل «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ٥.

وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موقفاً مؤيداً بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق، فتأدب بأداب الله... (٤).

ص: ٢٢٥

١-١ (١) الخصال ١/٣٦.

٢-٢ (٢) مجمع الزوائد ٨/٣٩٦، إمتاع الأسماع ٣/٢٠٤. [١]

٣-٣ (٣) بحار الأنوار ٦٨/٣٤٢. [٢]

٤-٤ (٤) الكافي ١/٢٦٦. [٣]

ثم إن رسول الله قال في حق علي:

«علي مني بمنزلة من ربي» (١).

وأمر بالتمسك بعترته أهل بيته والقرآن بقوله:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا. . . قال: ألا، وإني سائلكم حين تردون علي الحوض كيف خلفتموني في كتاب الله وعترتي. . . .

وهم الأئمة عليهم السلام.

وهذا شرح «وعتره خيره رب العالمين» .

ليس «العتره» مطلق الأقارب

وبما ذكرنا ظهر سقوط ما زعمه بعض المتكلمين من أهل السنه من أن «العتره» هم «الأقارب» ، فلا يختص بالأئمه، ونضيف إلى ذلك وجوهاً أخرى:

أولاً: لما عرفت من اتفاق اللغويين على أن «العتره» هم أخص الأقارب وهم النسل والذريه والأولاد، وأن عتره النبي صلى الله عليه وآله هم ولد فاطمه عليها السلام خاصه.

وثانياً: إن هذا الحديث يدل على عصمه «العتره» كالقرآن الكريم، وذلك لأنه أمرٌ مطلق بالتمسك والإطاعه والاتباع والأخذ. . . والأمر بهذه المفاهيم بصورة مطلقه يلزم العصمه، والأئمه هم المعصومون، ولم يدع العصمه لأحد من الصحابه والأقرباء غيرهم أصلاً.

وثالثاً: إن هذا الحديث يشتمل في بعض ألفاظه على قوله:

ص: ٢٢٦

فلا تقدّموهم فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم (١).

فكان الحديث يدلُّ على أعلميته عترته أهل بيته ممن سواهم مطلقاً، وكيف يكون مطلق «أقارب» النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْلَمُ الناس من بعده؟ فهم - لا محالة - الأئمة الأطهار المعصومون من ولده.

ومما يؤكّد ما ذكرناه تصريح شراح الحديث واعترافهم بعدم شمول الحديث لغير الأئمة الطاهرين:

قال الحكيم الترمذي: «قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، واقع على الأئمة منهم السادة، لا على غيرهم (٢).

وقال ابن حجر المكي: «فأهل البيت منهم أولى منهم بذلك، امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيه بقيه قريش... ثم أحقّ من يتميّك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكذلك خصّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بما مرّ يوم غدیر خم» (٣).

وقال الملمّا على القارى: «الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطّلعون على سيرته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله تعالى» (٤).

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوى: «المراد هنا من العتره أخصّ عشيرته

ص: ٢٢٧

١-١ (١) المعجم الكبير ٥/١٦٦.

٢-٢ (٢) نوادر الأصول: ٦٩.

٣-٣ (٣) الصواعق المحرقة ٢/٤٢٢. [١]

٤-٤ (٤) المرقاه فى شرح المشكاه ٥/٦٠٠.

وأقاربه، أى: أولاده وذريّته» (١).

وقال المناوى: «وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (٢).

فالمراد من «أهل البيت» فى آيه التطهير هم «العترة أهل البيت» فى حديث الثقلين، وسيأتى الكلام على آيه التطهير ورأى بعض الخوارج والنواصب على خلاف آراء علماء المسلمين... فى الموضوع المناسب إن شاء الله.

هذا، وقوله فى نهايه هذا المقطع:

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

إشاره إلى الآيه المباركه:

«رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» (٣).

ص: ٢٢٨

١- ١) أشعه اللّمعات فى شرح المشكاه ٤/٦٨١.

٢- ٢) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير ٣/١٩.

٣- ٣) سوره هود، الآيه: ٧٣. [١]

السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى وَ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَ أَعْلَامِ التَّقَى وَ ذَوِي النُّهَى وَ أَوْلَى الْجَبَى وَ كَهْفِ الْوَرَى وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمَثَلِ
الْأَعْلَى وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأَوْلَى وَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ بَرَكَاتِهِ

ص: ٢٢٩

الهدايه من الله

«الهدايه» فى الأصل من الله، قال عزّ وجلّ:

«وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا» ١.

وقد أمر تعالى نبيه أن يبلغ الناس أن هداه هو الهدى، إذ قال:

«قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ . . .» ٢.

ومن الله تُسئل الهدايه:

«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» ٣.

قال:

«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ» (١).

ص: ٢٣١

الرسول هاد

ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَادٍ، إذ قال له تعالى:

«وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ١.

القرآن هاد

والقرآن أيضاً هاد:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» ٢.

أئمة أهل البيت هداه

والأئمة هداه... قال تعالى:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...» ٣.

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا» ٤.

فهم يهدون الناس إلى الله ورسوله وإلى ما يهديان إليه...

وفي المقابل أئمة يدعون إلى النار... قال سبحانه:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» ٥.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان. قال الله تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ

أئمة يهدون بأمرنا» ١ لا بأمر الناس، يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: «وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يدعون إلى النار»
٢ يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل» (١).

والجدير بالانتباه:

١-التعبير في آيه أئمة الهدى ب «يهدون» وفي آيه أئمة الضلال ب «يدعون» .

٢-التعبير في كلتا الآيتين ب «الجعل» وسيأتي الكلام عليه.

ثم إن مقتضى وجوب اللطف على الله أن ينصب في كل زمان من يهدى الناس إلى طاعته ويقربهم إليه، ويجنبهم معصيته والابتعاد عنه. . . .

والهدايه تتحقق:

تاره: بإرائه الطريق.

وأخرى: بالإيصال إلى المطلوب.

هدايه النبي وهدايه الإمام

ولا ريب أن الإيصال إلى المطلوب فوق إرائه الطريق، لكن الظاهر من الآيات الكريمة أن وظيفه الأنبياء هو الثاني، كقوله تعالى:

«إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» ٤.

ص: ٢٣٣

وقوله:

«إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» ١.

ولا شك أنّ الأئمة يشاركون الأنبياء في هذا المعنى.

ولكن مقتضى قوله لإبراهيم عليه السلام:

«إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» ٢.

وقول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات... وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام، حتى قال الله «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» .

هو كون وظيفه إبراهيم عليه السلام بعد الإمامه هو الإيصال إلى المطلوب.

ويستفاد من ذلك: أنّ الهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب هو شأن الأئمة عليهم الصلاه والسلام.

والهدايه على قسمين:

١- الهدايه التكوينيّه.

٢- الهدايه التشريعيّه.

وإنّ الأئمة عليهم السلام هداه للخلائق تكوينياً، فهم وسائط الفيض الإلهي وبركتهم الوجود كلّه. وهداه للبشر تشريعاً، بتزكيتهم وتعليمهم المعارف والأحكام وحفظهم من الانحراف والضلال وإيصالهم إلى الكمال المطلوب... ومن أجل الهدايه-بكلا المعنيين-نصّبهم الله أئمةً وجعلهم هداه.

ص: ٢٣٤

وقد عبّر عنهم بالفعل المضارع «يهدون» للإشارة إلى استمرار هدايتهم ودوامها.

ولكن الآيه عبّرت عن أئمة الضلال بـ «الجعل» كذلك، فما الفرق؟

إنه يتّضح الفرق بأن نعلم أن الجعل قد يكون ابتدائياً وقد يكون غير ابتدائي، فأما الجعل المتعلّق بأئمة الهدى، فهو جعل ابتدائي من الله سبحانه، لما ذكرنا من أنه مقتضى قاعده اللطف، وأما الجعل المتعلّق بأئمة الضلال فليس بابتدائي، فلنذكر الآيه ونأمل فيها، قال تعالى:

«فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَمَا تُنظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» ١.

إن الدّعوة إلى النار هي الدّعوة إلى ما يستوجب النار من الكفر والمعاصي، لكونها هي التي تتصوّر لهم يوم القيامة ناراً يعدّون فيها، أو المراد بالنار ما يستوجبها مجازاً من باب إطلاق المسبّب وإرادته سببه.

ومعنى جعلهم أئمة يدعون إلى النار، تصييرهم سابقين في الضلال يقتدى

بهم اللّاحقون، ولا ضير فيه، لكونه بعنوان المجازاه على سبقهم فى الكفر والجحود، وليس من الإضلال الابتدائى فى شىء (١).

إشاره إلى قوله تعالى «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ . . .»

هذا، ومما يؤكد أن هدايه الأنبياء إرائه الطريق، وهدايه الأئمه إرائه الطريق والإيصال إلى المطلوب: ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى كتب الفريقين -بذيل قوله تعالى:

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ٢.

حيث جاء فيها كلمه «إنما» الدالّه على الحصر، ووقع فيها المقابله بين «الإنذار» وهو يلازم إرائه الطريق فقط و «الهدايه»

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله -لما نزلت الآيه-وضع يده على صدره وقال:

أنا المنذر، ولكل قوم هاد. وأوما بيده إلى منكب على فقال: أنت الهادى يا على، بك يهتدى المهتدون بعدى (٢).

ومن أسانيده الصحيحه:

ما فى مسند أحمد-من زيادات ابنه عبد الله-بسنده عن عبدخير عن على فى قوله: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قال: رسول الله المنذر، والهادى رجل من بنى هاشم (٣).

ص: ٢٣٦

١- (١) الميزان فى تفسير القرآن ١٦/٣٧. [١]

٢- (٣) الدر المنثور ٤/٤٥. [٢]

٣- (٤) مسند أحمد ١/١٢٦. [٣]

قال الحافظ الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والطبراني في الصغير والأوسط. ورجال المسند ثقات (١).

وما في المستدرک بإسناده عن عباد بن عبدالله الأسدی عن علی «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قال علی: رسول الله صَلَّى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢).

فأئمه الهدى بعد رسول الله هم علي وولده الأطهار، وأتباعهم هم المهتدون، وأما غيرهم فهم هالكون، لأن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه، منها فرقه ناجية والباقيون هالكون (٣).

وَمَصَابِيحُ الدُّجَى

إشاره

«المصابيح» جمع «المصباح» وهو في اللغة: السراج الثاقب المضيء (٤)، فالمصباح ما يكون مضيئاً بنفسه لا ما يكون واسطه في الإضاءة، فالشمس تسمى بالمصباح لأنها مضيئه بذاتها، وأما الأضويه المستعمله الآن في البيوت-مثلاً- فليست كذلك فلا تسمى بالمصابيح، لأنها تستمد نورها من الأجهزة المولده للكهرباء.

و «الدجي» الظلمه.

ص: ٢٣٧

١- (١) مجمع الزوائد ٧/٤١.

٢- (٢) المستدرک علی الصحيحین ٣/١٢٩.

٣- (٣) بحار الأنوار ٣٦/٣٣٦، [١] الصراط المستقیم ٣/٣.

٤- (٤) مجمع البحرين ٢/٣٨٢.

فألله سبحانه وتعالى خلق الأئمة مصاييح تبدد الظلمات المعنويّه كما خلق الشمس والقمر والنجوم مصاييح تبدد الظلمات فى هذا العالم.

الأئمة مصاييح الظلمات: ظلمه العدم

وأولى الظلمات هى ظلمه العدم، فقد تقرّر فى محلّه أن الله عزّ وجلّ أخرج الأشياء من ظلمه العدم إلى نور الوجود بواسطه محمّد وآله الطاهرين، فلولا- هم لما خلق آدم والعالم، والأحاديث الناطقه بهذا المعنى فى كتب الفريقين كثيره، تجد بعضها وكذا كلمات العلماء على ضوءها فى مطاوى بحوث هذا الكتاب.

ظلمه الشرك

الظلمه الثانيه: ظلمه الشرك، كما نقرأ فى زياره الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله:

الحمد لله الذى استنقذنا بك من الشرك والضلاله (١).

وأى ظلمه هى أشد من ظلمه الشرك. . . .

ونقول فى زياره أبى عبدالله الحسين الشهيد:

وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهاله وحيه الضلاله (٢).

كما سنقرأ فى زياره الجامعه:

وأنقذنا من شفا جرف الهلكات. . . .

ص: ٢٣٨

١- (١) الكافى ٤/٥٥١. [١]

٢- (٢) تهذيب الأحكام ٦/١١٣، مصباح المتهجد: ٧٨٧. [٢]

ظلمه الجهل

الظلمه الثالثه: ظلمه الجهل، فإنّ «الجهل» أمّ الشرور والضلالات وأصل كلّ الظلمات، واللّه سبحانه أخرج هذه الأمه بمحمّد وأهل بيته من ظلمه الجهل إلى نور العلم، وإنّ جميع العلوم النافعه إنما انتشرت بين المسلمين بواسطه على وأبنائه الطاهرين.

ظلمه الفتنة

والظلمه الرابعه: ظلمه الفتنة، ومن الخطوره بمكان، ولا تنجو منها أمه من الأمم، وقد ابتليت بها الأمه الإسلاميه كثيراً ولا تزال وستبقى في معرض الفتنة...

إن الفتنة هي الاختبار، ولكنّه قد يكون شديداً، بمعنى أن الطرق تكثر فيختفى طريق الحق، والأهواء تختلف، فلا يدرى أيها الصحيح، فتكتنف الظلمه الطريق الحق والصراط المستقيم ويضيع الرأي الصحيح بين الآراء، ويقع الإنسان في الحيره ولا يهتدى إلى الحقيقه... وفي مثل هذه الحاله لابدّ من اللجوء إلى الثقلين:

القرآن... فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

إذا التبست عليكم الفتنة كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن (١).

وذلك لأن القرآن كما وصف نفسه فقال:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ...» ٢.

ص: ٢٣٩

وأهل البيت. . . فقد قال رسول الله:

ستكون بعدى فتنه، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب (١).

وهذا الحديث-وإن ناقش في سنده بعض الناس-معتضد بالحديث الصحيح:

علي مع القرآن والقرآن مع علي (٢).

وبالحديث المتواتر:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا. . . (٣).

وهذا الحديث-المعروف بحديث الثقلين-هو وصية النبي صلى الله عليه وآله للأمة بصوره عامه، ومثله بعض الأحاديث الأخرى.

وقد أوصى رسول الله أشخاصاً من أصحابه بلزوم علي أمير المؤمنين في جملة وصاياه الخاصه، ومن ذلك أنه قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه:

يا عمار، إذا رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي ودع الناس (٤).

وهي وصية مفصلة أوردتها الكتب والمصادر المعتمده، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر عماراً علي مرأى ومسمع من

ص: ٢٤٠

١-١) الاستيعاب ٤/١٧٤٤، [١] أسد الغابه ٥/٢٧٠. [٢]

٢-٢) بحار الأنوار ٢٢/٤٧٦، [٣] الصواعق المحرقة ٢/٣٦١. [٤]

٣-٣) انظر: نفحات الأزهار، [٥] الأجزاء ١-٣.

٤-٤) تاريخ بغداد ١٣/١٨٦، [٦] كنز العمال ١٢/٢١٢، فرائد السمطين ١/١٧٨، [٧] مناقب علي للخوارزمي: ٥٧.

الرأى العام قائلاً: «تقتلك فئه باغيه» (١).

لقد كان نتيجته أمره صلى الله عليه وآله عمّاراً بملازمه أمير المؤمنين عليه السّلام وسلوك طريقه، ثم إخباره بهويه من يقتله، أن يكون عمار ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل ولا جدال في ذلك.

فلما جاء يوم صفين واستعزّ أوار الحرب، كان بعض الناس يراقبون عمار بن ياسر رضوان الله عليه ويترقبون خروجه في إحدى الفئتين، لأنّ الشائعات التي أشاعها معاويه وأصحابه ضدّ الإمام على عليه السّلام قد أوقعتهم في الحيره وسلبتهم القدره على التمييز بين جبهه الحق وجبهه الباطل رغم وجود أمير المؤمنين على عليه السّلام، الذي هو ميزان العمل والفاروق بين الحق والباطل.

فما كان من أولئك الناس الذين التبت عليهم الأمور وتشابهت طرقها، إلّا أن يميلوا إلى جبهه أمير المؤمنين قبل وبعد شهادته عمّار، وقاتلوا ضدّ معاويه ونجوا بذلك من ضلاله الفتنة.

وما ذلك إلّا بركه وصيته الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى عمّار، لتظهر مصداقيه «أئمه الهدى ومصابيح الدجى» .

ظلمه الذنوب

والظلمه الخامسه: ظلمه الذنوب، فإنّ الأئمه عليهم السّلام هم السّيب لخروج المؤمنين من ظلمه الذنوب إلى نور التوبه، فقد ورد بتفسير قوله تعالى:

ص: ٢٤١

١-١) صحيح مسلم ٨/١٨٥، تاريخ مدينه دمشق ٤٣/٤٢٩، [١]البدايه والنهايه ٣/٢٦٤، [٢] وبحار الأنوار ٢٣/٢٢ [٣] مع اختلافٍ بسيط في بعض الألفاظ، ومن ذلك: عن أبي سعيد الخدرى قال: أخبرني من هو خير منى: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: أبشر ابن سميّه تقتلك فئه باغيه.

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...» ١.

عن الشيخ الكليني بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس، فيكثر عَجَبِي من أقوام لا يتولونكم، ويتولون فلاناً وفلاناً، لهم أمانه وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، وليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق!

قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً، فأقبل عليّ كالغضببان، ثم قال: «لا دين لمن دان الله بولايه إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولايه إمام عادل من الله» .

قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟

قال: نعم، لا- دين لأولئك ولا- عتب على هؤلاء- ثم قال:- الأ- تسمع لقول الله عز وجل: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة، بولايتهم كل إمام عادل من الله. وقال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» إنما عني بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله عز وجل، خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (١).

ص: ٢٤٢

يمكن أن يكون إشاره إلى قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» ١.

وسياتى الكلام على الآيه.

«العلم» لغة

«الأعلام» جمع «العلم» قال الراغب: العلم الأثر الذى يعلم به الشيء، كعلم الطريق وعلم الجيش، وسمى الجيل علماً لذلك، وجمعه أعلام (١).

وفى المصباح المنير: أعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره: جعلت عليه علامه... وجمع العلامه: علامات. وعلمت له علامه بالتشديد: وضعت له أماره يعرفها (٢).

وحاصل ذلك: إن «العلم» هو «العلامه» و «الأماره»، وهى على قسمين:

فمن ذلك ما هو أماره وعلامه ذاتاً، أى لا من وضع واضح، كالجيل، فإنه علامه تكويته يعرف بها الطريق مثلاً، ومن ذلك ما يكون بوضع واضح، كنصب الزايه مثلاً على المكان المرتفع ليعرف بها الطريق، أو وضع الإسم على الشيء ليعرف به متى ذكر.

ص: ٢٤٣

١-٢) المفردات فى غريب القرآن: ٣٤٣. [١]

٢-٣) المصباح المنير: ٤٢٧. [٢]

و «التقى» اسمٌ من وقى يقى وقايهً، فهو والتقوى بمعنى واحد، قال الراغب:

والتقوى جعل النفس فى وقايه مما يخاف... وصار فى تعارف الشَّرع: حفظ النفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحذور... (١).

الأئمة أعلام التقى بذواتهم وإرشاداتهم

أقول: إنَّ الأئمة عليهم السَّلام أعلامٌ للتقى بذواتهم المقدَّسه، لأنَّهم طاهرون مطَّهرون، وكلُّ أفعالهم وتروكهم أمارات لمعرفه ما هو موافق للتقوى وما هو منافٍ. وبعبارة اخرى، إنهم بذواتهم المقدَّسه ميزان ومعيار للتقوى، ولذا قال أمير المؤمنين لَمَّا سئل عن قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ»: «والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله، نحن ذكرنا الله فلا ننساه، ونحن شكرناه فلا نكفره، ونحن أطعناه فلا نعصيه... (٢).

وقد عمل الأئمة على وقايه المجتمع والأفراد من المخاطر والمآثم بأسلوبين:

أحدهما: تعريف القبائح والمساوى وبيان آثارها الدنيويَّة والاخرويَّة حتَّى تجتنب ولا ترتكب. وبعبارة اخرى: عملوا على تربيته المؤمنين وإيجاد الملكات الفاضله فيهم لتحول دون التفكير فى المعصيه.

والآخر: موعظه من ابتلى بشيء من المآثم والمفاسد وإرشاده والعمل على إصلاحه، حتى يقلع عنه ويرجع إلى هداه ويطهر من الآثار السيئه المترتبه... .

ص: ٢٤٤

١- (١) المفردات فى غريب القرآن: ٥٣٠. [١]

٢- (٢) بحار الأنوار ٣٨/٦٣. [٢]

فالأئمة عليهم السّلام بالمعنيين وفي الحاليتين أعلام التقى، فمدرسه أهل البيت مدرسه التريه الإسلاميه الصّحيحه، ينهل منها الدارسون بمقدار استعداداتهم ليرتقوا سلّم الآدميه، ولذا ترى التفاوت بين أصحابهم والمتّصلين بهم في المرتبه، كما لا يخفى على من دقق النظر في أحوالهم، ولذا ورد عنهم عليهم السّلام كون الآيه المذكوره منسوخه بقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» كما ذكر الطبرسي (١)، ولعله من هذا الباب قول سيّد العابدين على بن الحسين عليه السّلام:

والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله (٢).

ولكن كونهم «أعلام التقى» يفيد بلوغهم أعلى المراتب، وإلّا لما نصبوا لهذا الأمر العظيم... ويشهد بذلك ما ورد بذيل قوله تعالى:

«وَ عَلَامَاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ٣.

فغن أبى عبدالله عليه السّلام قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات هم الأئمة عليهم السّلام (٣).

هم أعلام لكافه الناس

ثم إن «أعلام التقى» ظاهر فى الإطلاق، فهم لشيعتهم ولجميع المسلمين وكلّ من أراد «التقى» «أعلام»، بل ما قصدهم قاصد إلالونال شرف الهدايه والنجاه، وحياتهم الكريمه حافله بمشاهد جليله من هذا القبيل.

ص: ٢٤٥

١-١ (١) مجمع البيان ٢/٨٠٥، والآيه فى التغابن: ١٦. [١]

٢-٢ (٢) الكافى ١/٤٠١. [٢]

٣-٣ (٣) الكافى ١/٢٠٦. [٣]

وبالمناسبة ننقل قصه ظريفه عن والدى المرحوم أعلى الله مقامه-وأوردها أيضاً فى بعض مدوناته-قال:

كان أحد عبده الأوثان فى الهند قد وقع فى مشكله لم تنفع كلّ السبل للنجاه منها، ولم تسعفه أمواله الطائله، حتى أرشده شخص إلى أحد علماء الشيعة الكبار وهو من الساده الأجلء فى الهند. فذهب إلى العالم وقصّ عليه مشكلته، فما كان من السيد إلّا أن فكّر فى نفسه قائلاً: صحيح أن هذا الرجل من عبده الأوثان، لكنّ الامام صاحب العصر والزمان واسطه الفيض الإلهى لجميع الخلق ومنهم هذا الرجل، فهو من رعيه الإمام وعيالاته، فأىّ مانع يمنعه من أن تشمله عناياته، لذلك أرشده إلى أن يرتدى ملابس طاهره وعلمّه بعض الأمور وأمره أن يذهب فى يوم الجمعة مبكراً إلى قبور المسلمين الشيعة وينادى هناك:

يا مهدي يا مهدي، يا أبا صالح...

وبينما أخذ الرجل بالنداء والاستغاثة، جاءه رجل وقال له: ماذا تريد؟ وما هى مشكلتك؟

فقصّ عليه مشكلته، وأنه قد وُجّهت له تهمه جنائيه سيحكم عليه من جرّائها بالإعدام وغرامه ماليه باهضه جداً. فأجابه ذلك الرجل: إذهب فقد انحلت مشكلتك.

وفى يوم انعقاد المحكمه برئاسه نفس القاضى الذى كان قد قرّر الحكم عليه، إذا به يعلن عن براءه الرجل.

وقد كانت هذه الحادته السبب لهدايته وجماعه معه.

والتاريخ يذكر الكثير من قبيل هذه القضيّه قد وقعت وكان حلّالها أهل البيت عليهم السلام، حتى بلغ الأمر إلى حدّ كان يراجعهم اللد أعدائهم من بنى أميه وبنى

العباس، فكانوا يحلّون لهم مشاكلهم.

فهل ترى مجالاً للمقارنه والمقايسه بينهم وبين من ناوهم؟

ألم يرد في الحديث:

لا يقاس بآل محمّد أحد (١).

وَذَوِي النُّهْيِ

«النهي» لغة

قال الراغب: النهيه العقل الناهي عن القبائح، جمعها: نُهي... (٢).

والظاهر أنه إشاره إلى قوله تعالى:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهْيِ».

الوارد في آيتين من القرآن في سورة طه (٣).

روايات في أنهم أولى النهي

وقد روى الشيخ الصفار بإسناده عن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهْيِ» قال: نحن -والله- أولوا النهي (٤).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر في قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي

ص: ٢٤٧

١- ١) نهج البلاغه: ٤٧، [١] الاختصاص: ١٢ وغيرهما.

٢- ٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٠٧. [٢]

٣- ٣) سورة طه، الآية: ٥٤. [٣]

٤- ٤) بصائر الدرجات: ٥١٨. [٤]

النُّهى» قال: هم الأئمة من آل محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله، وما كان في القرآن مثلها (١).

وقوله عليه السلام: «وما كان في القرآن مثلها» لعله إشاره إلى ما في الخبر:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعَزَّتْ وَجَلَالِي مَا خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا أَكْمَلْتَكَ إِلَّا لَأَفِيْمَنَ أَحَبُّ (٢).

والنبي وآله أحبُّ الخلق إلى الله وأكملهم، وهم أصحاب العقل الكامل، وكيف لا- يكونون كذلك وهم أئمة الهدى وأعلام التقى؟

وَأُولَى الْحَجَى

قال في المصباح: الحجا: بالكسر والقصر: العقل (٣).

فهم أصحاب العقل الذي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله:

ما قَسَمَ اللهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ. فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهْرِ الْجَاهِلِ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شَخْوَصِ الْجَاهِلِ. وَلَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ الْعَقْلَ وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ عَقُولِ جَمِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ. وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللهِ حَتَّى عَقَلَ عَنْهُ، وَلَا بَلَغَ جَمِيعَ الْعَابِدِينَ فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا بَلَغَ الْعَاقِلُ. وَالْعُقَلَاءُ هُمُ أُولُوا الْأَبَابِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَبَابِ» (٤).

ص: ٢٤٨

١-١) البرهان في تفسير القرآن ٣/٧٦٦. [١]

٢-٢) الكافي ١/١٠. [٢]

٣-٣) المصباح المنير: ١٢٣. [٣]

٤-٤) الكافي ١/١٣١. [٤]

و «الكهف»: كالمغاره فى الجبل إلاً أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وفى الصحاح: الكهف كالبيت المنقور فى الجبل والجمع كهوف، ويقال: فلان كهف أى: ملجأ (١).

و «الورى»: الخلائق.

فالبرى والورى واحد، يقال: هو خير الورى والبرى، أى: خير البرية، والبرية: الخلق، والواو تُبدل من الباء (٢).

عموم «الورى»

والورى عام ومطلق.

وعليه، فالأئمة عليهم السّلام كهف وملجأ للجميع وليس لفته دون أخرى، خذها من شيعتهم الذين هم أفضل الناس، حتى تنتهى بالمشركين والملحدّين و... كل ما خلق الله وبرى.

ولا شك فى ذلك على الإطلاق، لأنهم واسطه الفيوضات الإلهية لجميع المخلوقات كما أكدنا سابقاً، فيلزم أن يكونوا ملجأها وكهفها.

إلاً أن من المخلوقات من لجأ إلى كهفهم على أرض الواقع وهم شيعتهم فقط، مثلما لجأ أصحاب الكهف إليه، كما حكى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى:

ص: ٢٤٩

١- ١) صحاح اللّغه ٤/٢٢٥. [١]

٢- ٢) لسان العرب ١٤/٧٢. [٢]

«إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» . ١

وهل تجد في الأمة الإسلاميه مصداقاً للفتوة غير شيعة آل محمّد؟

وهل يوجد في غير الشيعة في الأمة من يحاكي لسان حالهم:

«هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» . ٢

فالشيعة هم الذين اعتزلوا جمهور الأمة ولجأوا إلى الأئمة بقولهم:

«وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ» .

حتى أصبحوا في موقع:

«يُنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا» .٣

بل إن أمر الأئمة عليهم السلام أجل وأسمى من ذلك، فهم ملجأ وكهف الأنبياء الذين لجأوا إليهم في أزمته تبواتهم حينما داهمتهم الخطوب والفتن، وهذا ما نصّت عليه مصادر الشيعة والسنة.

ألا تنظر إلى أبينا آدم في المحنة التي طالته وحواء، التي سببت هبوطه إلى الأرض، وكان ينشد العفو والمغفرة من الباري تعالى، حتى أدركته العناية والرحمة الربانية، فألهمته التوسّل إلى الله بمحمّد وآل محمّد وهو قوله تعالى:

«فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» .٤

ص: ٢٥٠

فقد روى العامه والخاصه: أنه رأى على ساق العرش أسماء النبي والأئمه عليهم السلام، فلقنه جبرئيل: قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمه، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان (١).

وماذا تقول في ما جرى على نوح وصنعه السيفينه بأمر الله تعالى ونجاته مع أصحابه ببركه محمد وآل محمد عليهم السلام. فقد روى المحدثون عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه تلا قوله تعالى:

«وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ ذَاتِ أَلْوَابٍ وَ دُسْرٍ» ٢.

وقال:

«الألواح خشب السفينه، ونحن الدُسْر، لولانا ما سارت السفينه بأهلها» (٢).

وهكذا بقيه أنبياء الله سبحانه، كانت تشملهم بركه أهل البيت عليهم السلام وتنجيهم مما وقعوا فيه من الفتن والابتلاءات.

ومن أخبار الباب ما رواه الشيخ الصدوق عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال:

«أتى يهودى النبي صلى الله عليه وآله، فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودى! ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذى كلمه الله، وأنزل عليه التوراه والعصا، وخلق له البحر، وأظله بالغمام؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكنى أقول:

ص: ٢٥١

١-١) بحار الأنوار ٢٤٥/٤٤. [١]

٢-٣) بحار الأنوار ٣٣٢/٢٦. [٢]

إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ، كَانَتْ تَوْبَتُهُ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لِمَا غَفَرْتَ لِي، فَغْفِرْهَا اللَّهُ لَهُ.

وإِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ وَخَافَ الْغُرُقَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لِمَا أَنْجَيْتَنِي مِنَ الْغُرُقِ. فَنَجِّهِ اللَّهُ مِنْهُ.

وإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لِمَا أَنْجَيْتَنِي مِنْهَا، فَجْعَلْهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.

وإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ عَصَاهُ وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لِمَا أَمَنْتَنِي مِنْهَا. فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» ١.

يا يهودى! إن موسى لو أدركنى ثم لم يؤمن بى وبنبوتى، ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة.

يا يهودى! ومن ذريتى المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلى خلفه» (١).

كهف الملائكة

ومثلما صار أهل البيت عليهم السّلام كهفًا للأنبياء والناس أجمعين، فهم كذلك كهف للملائكة، وهذا ما يعطيه معنى «الورى» الذى يشمل كلّ ما خلق الله بلا استثناء، حسبما ما تؤكّده لغة العرب.

جاء فى مجمع البيان بتفسير قوله تعالى:

ص: ٢٥٢

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» ١:

«وروى أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟»

قال: نعم، إني كنت أخشى عاقبه الأمر، فأمنت بك لما أثنى الله على بقوله: «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» ٢ «٣.

وقصه المَلَكُ فطرس معروفه حينما غضب عليه الباري تعالى وانتشلته بركة الحسين سيّد الشهداء عليه السّلام (١).

ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إن مفهوم «الورى» يعمُّ الحيوانات أيضاً، وهذا ما تشهد به الروايات والوقائع من أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يعرفون لغة الحيوانات بأسرها وكانت ترجع إليهم في أمورها (٢).

علم الأئمة بلغات الحيوانات وحالاتها:

ومن الأخبار في علم الإمام عليه السّلام بلغات الحيوانات وحالاتها: ما روى عن سليمان الجعفرى، عن الرضا عليه السّلام: «إنّ عصفوراً وقع بين يديه وجعل يصيح ويضطرب، فقال: أتدرى ما يقول؟ قلت: لا. قال: يقول لى: إن حية تريد أن

ص: ٢٥٣

١-٤) راجع كامل الزيارات: ١٤٠، أمالى الصدوق: ٢٠٠ و ٢٠١، [١] بحار الأنوار ٤٣/٢٤٣. [٢]

٢-٥) أورد ابن حمزه فى الثاقب فى المناقب فصلاً حول كلام الأئمة عليهم السّلام مع الحيوانات والجمادات، وراجع أيضاً

الارشاد ٢/٢٢٥، وبحار الأنوار ٤٧/٤٨. [٣]

تأكل فراخى فى البيت، فقم وخذ تلك النسعه (١) وادخل البيت واقتل الحيه. فقامت وأخذت النسعه ودخلت البيت وإذا حيه تجول فى البيت فقتلها» (٢).

وعن أبى عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: استوصوا بالصنانيات خيراً—يعنى الخطاف—فإنه آنس طير بالناس هم. ثم قال رسول الله: أتدرون ما تقول الصنانيه إذا هى ترغمت؟ تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. حتى تقرأ أم الكتاب، فإذا كان فى آخر ترغمتها قالت: ولا الضالين» (٣).

فالحاصل من كل ذلك: إن كل البرايا وبحسب قوانين خلقتها لابد وأن يكون لها ما تفرع إليه وتلجأ وتستنجد به، حينما يداهمها ما لا تطيقه، ليكون كهفها الحصين الذى يخرق القوانين الطبيعیه ولا يتقيّد بحدودها إذا ما لزم الأمر، وهم النبى والأئمه عليهم السلام، حيث لا يحدّهم وجودهم فى هذا العالم عن الحضور وتسيير الأمور فى عوالم أخرى، ولا يخضعون لموازن ما قبل وما بعد الموت إذا أرادوا التصرف فى هذا الكون.

قبورهم أيضاً «كهف الورى»

فهم «كهف الورى» مع كونهم ميّتين ظاهرياً بارتحالهم عن عالم الدنيا:

قال الخطيب البغدادي: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أباً على الخلال يقول: ما همنى أمرٌ فقصدت قبر

ص: ٢٥٤

١-١) النسعه: سير عريض من جلد، مجمع البحرين ٤/٣٩٧.

٢-٢) وسائل الشيعة ١١/٦٣٦. [١]

٣-٣) وسائل الشيعة ١١/٥٢٤. [٢]

موسى بن جعفر فتوسلت به إلسهّل الله لى ما أحبّ» (١).

وقال ابن حجر العسقلانى:

قال الحاكم: سمعت أبا بكر محمّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبى بكر ابن خزيمة وعديله أبى على الثقفى مع جماعه من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زياره قبر على بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه-يعنى ابن خزيمة-لتلك البقعه وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيّرنا» (٢).

وما أكثر من يأس منهم الأطباء والأخصائيون فى علاج الأمراض المستعصيه، وأخبروهم بعجزهم فتوجّهوا نحو قبر الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام لاجئين إلى كهفه وعارضين شكواهم عليه، فأواهم وشافى أمراضهم ووهبهم حنانه ورأفته، فرجعوا إلى أهليهم سالمين معافين بلطف الرضا عليه السلام.

هل يمكن أن ينكر أحد هذا الأمر الوجدانى الواقعى؟

«كهف الورى» فى المشكلات العلميه

وهم «كهف الورى» فى المشكلات العلميه، فلقد واجه الأكابر من علماءنا أزماتٍ ومازق خلال مسيره حياتهم العلميه، وعجزوا عن حلّها بالمطالعه والمشاربه والتحقيق والتحليل، فما كان منهم إلّا أن لجأوا إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام فانكشفت لهم الحجب ورسّت الحلول الناجعه فى صدورهم، ورجحت بها

ص: ٢٥٥

[١-١] تاريخ بغداد ١/١٢٠. [١]

[٢-٢] تهذيب التهذيب ٧/٣٣٩. [٢]

عقولهم، بفضل عنايه وبركه باب علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وهم عليهم السّلام الذين شملوا غير المسلمين بعناياتهم- كما في قضيه الهندي التي ذكرناها آنفاً- فكيف بالمسلمين وخاصيه شيعتهم الذين والوهم وعادوا أعدائهم كما سنقرأ:

«فاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهُدِي من اعتصم بكم» .

وَوَرَّثَهُ الْأَنْبِيَاءُ

اشاره

وفي هذه الجملة إطلاق وعموم، الإطلاق في طرف «الأرث»، فإنه لا يختص بشيء دون شيء. والعموم في طرف «الأنبياء» فإنه يعمهم كلهم.

والمهم هو فهم مفهوم «الإرث» .

الإرث في اللغة

قال الراغب:

الوارثه والإرث: انتقال قنيه إليك عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنيه الموروثه: ميراث وإرث (١).

وقال ابن فارس:

أن يكون الشيء لقومٍ ثم يصير إلى آخرين بنسبٍ أو سبب (٢).

ص: ٢٥٦

١-١) مفردات غريب القرآن: ٥١٨.

٢-٢) معجم مقاييس اللغة ١٠٥/٦. [١]

وقال الفيتومي:

ورث مال أبيه ثم قيل ورث أباه مالاً، يرثه وراثته. . . وأورثه أبوه مالاً: جعله له (١).

وقال الطريحي:

التراث-بالضم- ما يخلفه الرجل لورثته. . . والميراث مفعال من الإرث أو من الموروث. . . (٢).

الإرث في الفقه

قال في الروضة:

استحقاق إنسان بموت آخر بنسب أو سبب شيئاً بالأصالة (٣).

وقال في المهذب البارع:

الإرث لغة: البقاء، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنكم على إرث من أبيكم إبراهيم. أى: على بقيه من بقايا شريعته. والوارث باقى، ومنه الوارث فى أسمائه تعالى، أى: الباقي بعد فناء خلقه. وسُمى الوارث وارثاً لبقائه بعد موت المورث.

وشرعاً: انتقال حق الغير بعد الموت على سبيل الخلافه. والوارث من انتقل إليه حق الميت خلافاً. . . (٤).

وقال فى المستند:

والموارث جمع ميراث، من الإرث، وهو فى اللغه: الأصل والبقية والأمر

ص: ٢٥٧

[١- ١] المصباح المنير: ٦٥٤. [١]

[٢- ٢] مجمع البحرين ٢/٢٦٧. [٢]

[٣- ٣] الروضة البهية ٨/١١. [٣]

[٤- ٤] المهذب البارع ٤/٣٢٥.

القديم والرماد.

وفى الإصطلاح: حق منتقل من ميّت حقيقهً أو حكماً إلى حيّ كذلك ابتداءً (١).

الإرث فى القرآن

وقد أسند الإرث وأضيف فى القرآن الكريم إلى الله، كما فى قوله تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا» ٢.

فالوارث هو الله، والذى تعلق به الإرث هو: الأرض ومن عليها.

وأضيف إلى الأشخاص، كقوله:

«وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» ٣.

فالوارث هو سليمان، والمتعلق غير مذكور.

وأضيف إلى القوم، كقوله:

«وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» ٤.

فالوارث بنو إسرائيل، والمتعلق هو الكتاب.

وقوله:

«وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُشْتَضِعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا» ٥.

فالوارث القوم، والمتعلق: مشارق الأرض ومغاربها.

ص: ٢٥٨

وقوله:

«أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفُرُودَ سَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ١.

فالوارث المؤمنون، والمتعلق: الفردوس، وهو الجنة أو مرتبه أو مكان منها.

فظهر من هذه الآيات وأمثالها: أن «الإرث» لا يختصُّ ب «القنيه» أى المال، وأنه صادق مع الانتقال وعدم الانتقال، وأنه لا يعتبر أن يكون الشيء ملكاً لأحدٍ، ولا أن يكون ملكاً للمتقدم فينتقل لغيره بسبب أو نسب، ولا أن يكون هناك موت... .
وعليه، فإن «الإرث» فى القرآن أعمّ ممّا هو فى اللغه والفقّه. . . اللهم إلّا بالحمل على المجاز أو على غيره بتكليفٍ... .

موايرث الأنبياء وعموم الإرث

ثم إنّ المستفاد من مجموع الآيات والروايات، أن موايرث الأنبياء يمكن أن تكون عدّه أمور:

١- المقامات والمراتب العالیه فى القرب من الله تعالى. كورائه الولايه منهم، ومقام الوساطه فى الفيض الإلهى، والمعاجز والمناقب... . ولا شك أن الأئمه الطاهرين عليهم السلام قد حازوا هذه الأمور بأجمعها.

٢- الملكات العالیه والصّيفات الحميده. فالأئمه عليهم السلام قد ورثوا الملكات والصّيفات الحميده والعصمه وباقي المعالى الموجوده عند الأنبياء عليهم السلام.

٣- الصحف والكتب وسائر الأمور الخاصه بالأنبياء، مثل خاتم سليمان وعصى موسى وغير ذلك. وكلّها قد ورثها الأئمه وهى عندهم.

ص: ٢٥٩

٤- خصوصيات امتياز بها بعض الأنبياء والرسل. كنفوذ الكلمه والحكومه الظاهريه والطول والقوه، وقد انتقلت من بعدهم للأئمه عليهم السلام وأصبحت خاصه بهم، حيث لزم بتبع ذلك وجوب طاعتهم على أمم ذلكم الأنبياء.

وبعبارة أوضح، فإن الطاعة المطلقة المفروضه التي كانت لرسول الله تعالى، قد اجتمعت بالأئمه من آل البيت عليهم السلام، وهي ثابتة فيهم دون غيرهم.

٥- الأموال والممتلكات. فكل من يخلف من الأنبياء مالاً فهو يصل إلى وارثه، ولما كان الأئمه عليهم السلام سلاله النبيين، فهم يستحقون بالإرث - بحسب الموازين- ما لو ترك الأنبياء شيئاً من الأموال والأموال، كما أنهم ورثه جدّهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيما تركه من مال.

فالمقام الذي يمتاز به نبيّ أو رسول بكل خصوصياته- من الملكات والعلوم والمقامات والقرب من الله تعالى والعصمه والتصرف في أموال الناس وأموالهم وطاعته المفروضه عليهم- يصبح لخليفته الذي يليه، وهي مهمه أُنيطت بالأئمه عليهم السلام، وهم المخصوصون بملء الفراغ الناشئ برحيل أنبياء الله عليهم السلام، لا أن تنتقل إليهم هذه الخصوصيات كانتقال الشيء من ملكيه الأب المتوفى إلى ملكيه الابن الوارث، بل إن المفهوم أعلى مستوى وأكثر شموليه.

وكذلك الحال بالنسبه إلى الأموال في دنيا الأنبياء، تماماً كما هي في حياه باقى البشر، حيث تنتقل أموالهم إلى ورثتهم، وإلا لفقدت آيات الإرث محتواها أو يعطل جزء من القرآن.

فعلى سبيل المثال قوله تعالى:

«وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

ص: ٢٦٠

وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا* يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى . . .» ١ .

وقد ادعى أهل السنّة أن المقصود من الإرث في هذه الموارد هو العلم فقط. ولو كان الأمر كما يقولون، فهل بإمكان الموالى أن يغتصبوا علمه حتى يخاف ويطلب من الله أن يهب له ولياً يرثه؟ هناك الكثير من القرائن في الآيات القرآنية تؤكد بديهية توريث الأنبياء كسائر الناس، وهو ما أوضحناه في دراسته تحقيقيه مستقلة، استوعبنا فيها البحث عن إرث النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، وقضيه فدك، وحديث أبي بكر الذي انفرد به، وعالجنا ذلك بالآيات القرآنية وأدله بيّنه وأثبتنا من مصادر أهل السنّة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله ترك أموالاً خاصّة به من قبيل السيف والفرس وغير ذلك (١).

أما مصادرنا الخاصّة، فقد أوردت في هذا الصدد روايات متعدّده، كالتى نقلها الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن أبان بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَفَاةَ، دَعَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: يَا عَمَّ مُحَمَّدٍ، تَأْخُذُ تَرَاثَ مُحَمَّدٍ وَتَقْضِي دِينَهُ وَتَنْجِزُ عِدَاتَهُ؟

فردّ عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إننى شيخ كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تبارى الريح؟

ص: ٢٤١

١ - ٢) يراجع في هذا الخصوص كتاب (مسألة فدك وحديث إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث) المطبوعه في سلسله (إعرف الحق تعرف أهله).

قال: فأطرق صلى الله عليه وآله هنيهة، ثم قال: يا عباس! أتأخذ تراث محمد وتنجز عاداته وتقضى دينه؟

فقال: بأبي أنت وأمي، إني شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تبارى الريح.

قال: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها.

ثم قال: يا علي! يا أخا محمد! أتجز عادات محمد وتقضى دينه وتقبض تراثه؟

فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك علي ولي.

قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من أصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي.

قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم.

ثم صاح: يا بلال! علي بالمغفر والدرع والزايه والقميص وذى الفقار والسحاب والبرد والأبرقه والقضيب.

قال: فوالله ما رأيته غير ساعتى تلك-يعنى الأبرقه-فجئى بشقه كادت تخطف الأبصار فإذا هى من أبرق الجنّه، فقال: يا علي! إن

جبرئيل أتانى بها وقال: يا محمد! إجعلها فى حلقه الدرّع واستدفر بها مكان المنطقه.

ثم دعا بزوجى نعال عربيين جميعاً أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين: القميص الذى أسرى به فيه والقميص

الذى خرج فيه يوم أحد، والقلائس الثلاث: قلنسوه السفر وقلنسوه العيدين والجمع، وقلنسوه كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

ثم قال: يا بلال! علي بالبعلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى والفرسين: الجناح، كانت توقف بباب المسجد

لحوائج رسول الله صلى

اللّٰه عليه وآله يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله، وحيزوم وهو الّٰذى كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال: أقبضها في حياتي (١).

إنفاق الأنبياء والأئمّة ما يملكون في سبيل اللّٰه

هذا، وقد روى الشيخ الكليني رحمه اللّٰه عن أبي عبد اللّٰه الصّادق عليه السّلام روايةً اخرى عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله قال:

وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنّ ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر (٢).

فتمسّك بها بعض أهل السنّة بدعوى كونها مطابقتاً لما نسبته أبو بكر إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله ورواه القوم أنه قال:

«إنا معاشر الأنبياء لا نورث...» .

ولكنّ بين الكلامين تفاوت واضح، فلفظ روايه الكليني «لم يورثوا» ولفظ روايتهم المزعومه «لا نورث»

إن روايه الكافي تفيد أن الأنبياء بذلوا أموالهم في سبيل اللّٰه وأنفقوا ما عندهم لوجه اللّٰه في حياتهم، ولم يخلّفوا بعد وفاتهم إلّٰما العلم، لا- أنهم لا- يورثون. وهى نكته دقيقه رغم غفله بعض أصحابنا عنها من الذين توهموا أن الإشكال وارد إن كان سند الروايه صحيحاً. لكننا نؤكد على سلامه سند الروايه من الخدش. فالرسول الأعظم صلّى اللّٰه عليه وآله عرّف بهذا الخلق من البذل والإنفاق، وأدّب

ص: ٢٦٣

١- ١) الكافي ١/٢٣٦-٢٣٧. [١]

٢- ٢) المصدر ١/٣٥. [٢]

أصحابه أن لا يكتزوا الأموال. فهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب - وهو وصي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - قد نصبت الروايات المعتبرة المتفق عليها على أنه:

«ما ترك صفراء ولا بيضاء» (١).

وهذا هو نموذج التربية الإسلامي، والخلق المحمدي الرفيع، وهو يختلف بالكامل عن نماذج صحبت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ولكنه لم تستر بتعاليمه وأخلاقه وتربيته، ضع يدك على أي كتاب شئت من كتب الأخبار والسيره، ودع بصرك يجول في متون التاريخ، لترى أن طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهم خلفوا من الأموال التي اكتنزوها ما استصعبوا عدّه، ومن الذهب ما كُسر بالفؤوس (٢).

فالأنبياء عليهم السلام «لم يورثوا»، لأنهم لم يكتنزوا شيئاً لينتقل إلى وارثهم، وإنما قدّموا كلّ ما كانوا حصلوا عليه وبذلوه قرباً إلى الله تعالى قبل أن يخرجوا من الدنيا، وهو معنى يختلف تمام الاختلاف عن معنى «لا يورثون». فشتان بين المعنيين. فتدبر.

وهكذا كان ديدن أولياء الله الذين تربوا في مدرسة الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتخلّقوا بأخلاقهم، فبذلوا الأموال والممتلكات في سبيل الله، لكي لا ينشغلوا بجمعها عن طاعه الله وينوءون بوزر ما سيطر كونه للورثه. وما أكثر من شاهدنا ممن كانت لهم الأموال الطائله في حياتهم، إلّا أنهم لم يتركوا شيئاً يُذكر بعد موتهم، نتيجة إنفاقهم في سبيل الله سبحانه.

ص: ٢٤٤

١-١ (١) أمالي الصدوق: ٣٩٧ ح ٥١٠، [١] مسند أحمد بن حنبل ٥/١٦٨. [٢]

٢-٢ (٢) سير أعلام النبلاء ١/٦٥

حكى والدى المرحوم، نقلاً عن والده أنّ استاذة الفقيه الكبير الشيخ محمّد حسين الإصفهاني قد أنفق في سبيل الله كلّ ما ورثه من والده من الأموال الطائله - وكان من كبار التجّار- لوجه الله، حتّى أنه لم يكن يمتلك داراً متواضعةً لسكناه.

نعم، لا ينكر أحد ما لوراثه العلوم والملكات الفاضله المعنويّه من قيمه، وهو ما يفتخر به الأئمّه عليهم السّلام وأصحابهم وكبار علماء مدرستهم.

وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى

«الْمَثَلُ» لَفَهُ

تأتى كلمه «مَثَلٌ» بثلاثه معانى:

الأوّل: ما قاله الراغب الإصفهاني:

المثل عباره عن قولٍ فى شىء يشبه قولاً فى شىء آخر بينهما مشابهه، ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره (١).

والأمثال تُضرب فى جميع اللّغات، وهو ينشأ من حدوث قضيه معينه فى زمن معين فيطلق فيها قول يذهب مثلاً، ويمتاز بقوه التعبير والوجازه والبلاغه، فيضرب على مرّ العصور على الوقائع المشابهه له، إذ تعطى مفهوماً ينطبق عليه.

ففى المثل: «فى الصيف ضيّعت اللّبن» هكذا يقال-بكسر التاء- إذا خوطب به المذكر والمؤنث والمثنى والجمع؛ لأنّ أصل المثل إنما خوطب به امرأه وكانت تحت رجلٍ موسر فكرهته لكبره، فطلّقها فتزوّجها رجل مملق، فبعثت إلى زوجها الأوّل تستميحه فقال لها: «فى الصّيف ضيّعت اللّبن» فذهبت مثلاً (٢).

ص: ٢٤٥

١- (١) المفردات فى غريب القرآن: ٤٦٢. [١]

٢- (٢) لسان العرب: ٨/٢٣٢. [٢]

والمثل بهذا المعنى يجمع على «أمثال» .

وليس هو المقصود في عبارته «المثل الأعلى» .

الثانى: وهو الذى يجمع على «الأمثله» ويؤتى به على سبيل المثل فى الدروس الأدبيه إذا ما أريد تقريب المفهوم للأذهان، فمثلاً فى مبحث المبتدأ والخبر وتعريفهما يقال: «زيد قائم» . فيتبين من ذلك أن: زيد مبتدأ، وقائم خبره.

وهو أيضاً غير مقصود فى عبارته المذكوره.

الأئمه مثل العلى الأعلى

إنما المقصود هو المعنى الثالث وهو:

«النموذج» وجمعه «مُثل» ، حيث يتبين من خلاله حقيقه وواقعيه أمر معقول بتمثيله بأمر محسوس، فيقال: مثله كمثل كذا.

فحينما نريد تعريف الجود والسخاء وآثارهما وخصوصياتهما، نذكر حاتم الطائي، كنموذج له.

وقد جاء «المثل الأعلى» فى موردين من الذكر الحكيم، أحدهما: قوله تعالى فى سورة النحل:

«لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ١.

والثانى: قوله تعالى فى سورة الروم:

«وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ٢.

ففى سورة النحل «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» وفى سورة الروم «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» واللام فى كلتا الآيتين للاختصاص، واشتراكهما بقوله تعالى: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». هذا من ناحيه.

ومن ناحيه أخرى: فإنَّ «الأعلى» إسم من أسماء الله الحسنی، لقوله عزَّ وجلَّ:

«سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى» ١.

وقوله:

«إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» ٢.

إذا عرفنا ذلك، يتضح لنا تطبيق مفهوم «المثل الأعلى» على مصداقه وهم الأئمة المطهرون عليهم السلام، وأنهم مثلُ الله سبحانه وتعالى ومظاهر ذاته الأحديّه، وبمعرفة الإمام وحبّه وإطاعته يُعرف الله تبارك وتعالى وتتم إطاعته، وبالإتيان إليهم تكمن عباده البارى جلَّ وعلا، فهم المعرّف لله، لقول الإمام الباقر عليه السلام:

«بنا عبدَ الله، وبنا عرفَ الله» كما فى روايه بريد العجلي (١).

ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أطاع علياً فقد أطاعنى، ومن أطاعنى فقد أطاع الله» (٢).

أقول:

إن الله تعالى أجَلُّ وأسمى من أن يُرى أو يُعرف ذاته، لذا جعل الأئمة

ص: ٢٦٧

١-٣) الكافى ١/١٤٥، [١] بحار الأنوار ٢٣/١٠٢. [٢]

٢-٤) معانى الأخبار: ٣٧٣، بحار الأنوار ٣٨/١٢٩. [٣]

المعصومين المصطفين عليهم السّلام أنموذجاً ومظهراً لذاته وصفاته، فمن رآهم فقد تجلّت له صفاته ومصاديق أسمائه الحسنی، وهو المروى عن سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام أنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله خاطب أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: «يا على، أنت حجه الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النّبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى» (١).

وهي مقامات وصفات حصريّة بالأئمّه عليهم السّلام.

وَالدَّعْوَةُ الْحَسَنَى

إشاره

وهو معنى ينحو منحى المعنى السّابق، لكون وجودهم وذواتهم عليهم السّلام هي الدعوه الحسنی بعينها إلى الله سبحانه، وقد يُعبّر عنهم بأهل الدعوه الحسنی وأصحابها، وكلا الوجهين واحد. وهناك وجه ثالث سيأتي توضيحه.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغه باب «دعو» ما نصّه:

البدال والعين والحرف المعتل، أصل واحد، وهو أن تُميل الشىء إليك بصوتٍ وكلام يكون منك. (٢) وهو بيان دقيق وجميل، فكأنك تدعو شخصاً إليك فيلبيّ دعوتك ويستجيب إليك، فإذا كانت دعوتك لله تبارك وتعالى بتقديمك حاجاتك إلى ساحه قدسه، والغرض من ذلك أن ينظر إليك جلّ وعلا، لأنّ في هذه النظره كلّ الخير والّلطف.

ص: ٢٤٨

[١- ١] عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١/٩. [١]

[٢- ٢] معجم مقاييس اللغه ٢/٢٧٩. [٢]

«وانظر إلينا نظره رحيمه» كما فى دعاء الندبه (١).

فالأئمه عليهم السّلام بذواتهم ووجوداتهم دعوه نحو الله تبارك وتعالى فى كلّ حاله من حالاتهم، إن سكتوا فهم الدعوه إلى الله، وإن نطقوا فهم الدعوه إليه كذلك، أى يذكرون الإنسان بالله كى يبقى مواصلاً لذكره فى حنايا نفسه وطيات جوانحه وخلايا جوارحه.

فالأئمه هم السبب لرأفه الله بالخلق وعنايته، وهم السبب لإقبال الناس وتوجههم إلى الله، كما ذكر ابن فارس، وهو وإن قال «بصوت وكلام» لكنّ الصّوت والكلام ليس دخيلاً فى مفهوم «الدّعوه»، إنّ الصّوت والكلام واللّفظ أداه لإظهار الحقيقه، والأئمه بأنفسهم مظاهر الحقائق. وأيضاً، فإنّ الأئمه بذواتهم «كلمه الله» كما كان عيسى بن مريم عليه السّلام.

الأئمه «دعوه»

فالأئمه بذواتهم ووجوداتهم-سواء نطقوا أو سكتوا-الدعوه إلى الله، فإذا سكتوا كانوا دعاهً إليه وكان سكوتهم عبرةً لنا، كما أن نطقهم صلوات الله عليهم دعوه إلى الله وتعليم لنا. . . .

وعلى الجملة، فهم الدعوه فى جميع حالاتهم، سواء كانوا فى السّجن كما كان الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام أو كانوا فى خارج السّجن، ظاهرين وحاضرين بين الناس أو غائبين، ولذا، فإن الإمام المهدي المنتظر عليه السّلام فى هذا الزمان هو «الدعوه الحسنى» وإن كان غائباً عن الأنظار.

ص: ٢٦٩

والمعنى الثانى ل «الدعوه الحسنى» هو أن يكون الأئمة عليهم السّلام أصحاب الدعوه الحسنى، بأن يكون المراد هو «الداعى» ، وهذا وإن كان مجازاً مثل قولنا: زيد عدل، إلّا أنه حمل وجيه ومعنى صحيح. . . قال الراغب:

الدعاء إلى الشيء: الحثّ على قصده «قال ربّ السّجّن أحبّ إلّى ممّا يدعُونى إليه» «وألله يدعوا إلى دار السّلام» «ويا قوم ما لى أذعوكم إلى النّجاه و تدعونى إلى النّار» ١.

فكلّ من الأئمة عليهم السّلام داع إلى الله، كما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله كذلك. وقال تعالى:

«... وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ...» ٢.

وسياتى الكلام على ذلك بشرح: «السّلام على الأئمة الدّعاه» إن شاء الله.

ويحتمل معنى ثالث، بلحاظ قول النّبى صلّى الله عليه وآله:

أنا دعوه أبى إبراهيم عليه السّلام (١).

وأيضاً، فقد ورد بتفسير قول إبراهيم عليه السّلام فى دعائه:

«وَ اجْعَلْ لى لسان صدقٍ فى الآخريّن» ٤.

عن أبى عبد الله عليه السّلام: «يعنى به على بن أبى طالب عليه السّلام. . .» (٢).

ص: ٢٧٠

١-٣) من لا يحضره الفقيه ٤/٣٦٨.

٢-٥) كمال الدين ١/١٣٩. [١]

ثم، ما المراد من وصف «الدعوه» ب «الحسنى»؟

الدعوه الحسنى، هى الدعوه المطابقه للمصلحه والحكمه، والخاليه من كل قبح ومنقصه، وبالبعه للكمال المحض.

لقد كان الأئمه كذلك فى جميع حالاتهم كما تقدم، إنهم الحسن التام وتمام الحسن، ومن كان هذا حاله، فإن أصل وجوده دعوه يجب الاقتداء به فى كافه حالاته، وهذى هى العصمه والمعصوم هو «المثل الأعلى والدعوه الحسنى» .

وَحُجِّجَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى

اشاره

«الحجج» جمع «الحجه» أى البرهان.

ولا يخفى على ذى لب أن من اجتمعت فيه الخصوصيات المتقدمه، فعلى القطع واليقين يكون حجّه الله على أهل الدنيا والآخره والاولى، أى: هو برهان الله تعالى على وجوده ووجوب طاعته.

فالله جلّ وعلا اتخذ الأئمه عليهم السلام برهاناً يحتجّ به على أهل عوالم الدنيا وعوالم ما قبلها وما بعدها، ولا يتسنى لأحد أن يواجه برهان الله وحجته.

وجه الحاجه إلى إقامه الحججه

وإذا كان البارى سبحانه وتعالى لا يحتاج فى محاسبه عباده إلى استدعاء شهود أو ذكر الدليل ليحتج عليهم، لإحاطته بالأمور وقدرته على مؤاخذتهم بما قدّموا من أعمال، فما هى الحاجه إلى تقديم الحججه والبرهان وإحضار الشهود؟

وهل هناك أحد في عالم الوجود يمكنه الاعتراض على حكمه تعالى وهو الذى:

«لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ» ١.

وهل لأحد أن يطعن فى عدله أو حكمه أو علمه، وهو الذى يحاسب عباده فى يوم القيامة، وهو الحكم العدل وليس فى حكمه جور أو ظلم؟

فما حاجته إلى الدليل والبرهان؟

هناك فى الفقه الإسلامى بحث يدور حول كيفية الحكم بين متخاصمين ترفعا إلى الحاكم فى ملكيه شىء مثلاً، فهل للحاكم أن يبت فى القضية ويحكم بينهما حسب علمه بأحقيته أحدهما وبطلان ادعاء الآخر، أم ينظر فى النزاع حسب الأدلة والبراهين المقدمه له؟

فهذا البحث قد استوعبته الكتب الفقهية، سواء فيما يخص الحقوق الإلهية أو فيما يخص حقوق الناس (١).

عن هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إنما أفضى بينكم بالبينات والأيمان» .

ثم قال صلى الله عليه وآله: «... وبعضكم ألحن بحجته من بعض، فأئما رجل قطع له من مال أخيه شيئاً فإنما قطعت له به قطعه من نار» (٢).

فهو صلى الله عليه وآله محيط بالأمر، عالم بالخفايا، إلا أنه يقضى حسبما قامت عنده الحجج الشرعية من البينات والأيمان.

ص: ٢٧٢

١-٢) راجع: كتاب القضاء والشهادات للمؤلف ١/١٤١.

٢-٣) الكافي ٧/٤١٤، [١] تهذيب الاحكام ٦/٢٢٩، وسائل الشيعه ٢٧/٢٣٢. [٢]

كذلك الله سبحانه، فإنه يعامل العبد بمقتضى قاعده اللطف، فيقدم النبي أو الإمام كبرهان أو شاهد على أفعال وأقوال العبد، وإذا لزم الأمر فإن جوارح العبد تنطق بإذن خالقها تنطق وتشهد عليه (١). وكل ذلك لكي يعي الإنسان ويستحيى من ربه وخالقه، فهو بالرغم من علمه وإحاطته بكل ما صدر من العبد، يحتاجه حسب قاعده اللطف، فيحتج عليه بإرسال الرسل وإيضاح الطريق وإرشاده وتعليمه.

إن مقتضى قاعده اللطف توفر ثلاثه أمور أساسيه:

- ١- أن يشرع الله تعالى شريعه يصلح فيها أمور الفرد والمجتمع، وينيط مهمه إبلاغها بشخص أمين.
 - ٢- أن يكون المؤمن على هذه الشريعه على درجه عاليه من المؤهلات لتحمل هذه المسؤوليه. وهو الرسول.
 - ٣- أن ينصب بعد الرسول من يقوم مقامه في الهدايه والتزكيه والتعليم، حتى لا تخلو الأرض من حجه له على العباد. وهو الإمام.
- وبتحقق هذه الأمور الثلاثه تتم قاعده اللطف، ويصح الاحتجاج على المكلفين بأن يقول لهم:

- ألم أرسل شريعه؟

- بلى، أرسلت.

ص: ٢٧٣

١- (١) وللمؤلف رساله مفرده في هذا الموضوع منتشره ضمن سلسله (إعرف الحق تعرف أهله).

- ألم أبعث لكم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيُبَلِّغَكُمْ بِهَا وَيَدْعُوَكُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ؟

- بلى، بعثت، وقد بلغ وأدى ما عليه.

- لماذا لم تستجيبوا له وتطيعوه؟

- ألم أنصب من بعده حججاً يقومون مقامه في وظائفه؟

- بلى، نصبت، وما قصرُوا.

- إذن، من المقصّر؟

هذا هو الإحتجاج.

وفي غير هذه الصّوره، ستكون المحاسبه قبيحه، والعقل يحكم بقبح العقاب من دون بينه، وهو ما يقرّه الشرع وهو قوله تعالى:

«وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» ١.

فيتبين من هنا شأن ومنزله الأئمه المعصومين عليهم السلام في هذا العالم.

إنه لولا العصمه لما صلحوا لأن يكونوا «حججاً لله» على جميع أهل الأرض.

إن كل عالم متقى، بل كل فرد من أهل التقوى صالح لأن يحتج بعقيدته وأعماله على من يعرفه، ولذا يلقب العالم الصالح بـ «حجه الإسلام»، ولكن المعصوم حجه لله على جميع الخلائق، ولا يصح التعبير بـ «حجه الله» عن أحد إلا المعصوم.

وبناءً على ما ذكر، فإن صلاح الفرد والمجتمع منوط بثلاثه ركائز:

الأولى: ما هو الواجب على الله، وهو تشريع الشريعة وبعث الرسول ونصب الإمام.

والثانية: ما هو الواجب على النبي والإمام، وهو تحمّل المسئوليه.

والثالثة: ما هو الواجب على المكلفين، وهو الاتّباع والطّاعة المطلقة للنبي والإمام.

أمّا الله سبحانه، فقد فعل ما كان عليه، وذلك مقتضى لطفه بعباده.

وكذلك النبي والأئمّه، فقد قاموا بما كان عليهم من وظيفه الهدايه والتركيه والتعليم.

وبقى على الناس أن يعملوا بالشريعة فى اصولها وفروعها، ويطيعوا الأئمّه فى أوامرهم ونواهيهم، فما كان من ضلال أو فساد فى الأفراد أو المجتمع، فإنّما هو بسبب تقصيرهم، وليس عائداً إلى الله وأوليائه. . . روى بريد بن معاويه عن أبى عبد الله الصادق عليه السّلام أنه قال:

«ليس لله على خلقه أن يعرفوا قبل أن يعرفهم، وللخلق على الله أن يعرفهم، ولله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوه» (١).

نعم، قد عرف الله نفسه للخلق، وبعث الأنبياء ونصب الأوصياء لهدايه الخلق، قال سبحانه:

«لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ٢.

بل:

ص: ٢٧٥

«لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِهِ» ١.

وحينئذ:

«فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» ٢.

وقد سُئِلَ أبو عبد الله الصَّادِق عليه السَّلام عن هذه الآية فقال:

إِنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَبْدِي! أَكُنْتَ عَالِمًا؟

فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ لَهُ:

أَفَلَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ؟

وَإِنْ قَالَ: كُنْتُ جَاهِلًا، قَالَ لَهُ:

أَفَلَا تَعَلَّمْتَ حَتَّى تَعْمَلَ؟

فِيخْصِمُهُ، فَتَلْكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (١).

وَتَلْخُصُّ:

إِنَّ أَصْلَ وَجُودِ الْأَنْثَمَةِ حُجَّةُ اللَّهِ.

وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْتَجُّ بِأَقْوَالِ الْأَنْثَمَةِ وَأَفْعَالِهِمْ عَلَى الْعِبَادِ . . .

أَمَّا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا

وهو هذا العالم الذي نعيشه، وقد سَمِيَ بالدنيا لدنوّه أو لدناءته. . . فالأمر واضح، فقد كان وجود الأنثمة بين أهل هذا العالم دليلاً وبرهاناً على وجود الله

ص: ٢٧٦

وبهم عرف سبحانه وتعالى، وبهم يحتج على العباد، كما أنّ حالاتهم وصفاتهم وسائر آثار وجودهم أيضاً حجج له عليهم، بحيث لا يتسنى لبشر أن يكابر أو يماطل أمام الباري جلّ وعلا.

أما على أهل الأولى

أى عالم الذر، فإنّ الله عزّ وجلّ عزّف الأئمة هناك وأخذ ميثاق ولايتهم، كما فى الروايات المتكثرة، كالخبر عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال:

إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق من أحبّ مما أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينه الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينه النار، ثمّ بعثهم فى الظلال. فقلت: وأى شىء الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلك فى الشمس شيئاً وليس بشىء.

ثمّ بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله عزّ وجلّ وهو قوله عزّ وجلّ: «وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» ١، ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم وأنكر بعض.

ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض، وهو قوله: «فَمَا كَانُوا لِيَوْمِنَا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» ٢.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمّ (١).

فالأئمة عليهم السلام فى ذلك العالم حجج إلهية على جميع الخلائق حتى

ص: ٢٧٧

الأنبياء والملائكة، وقد ذكرنا فى الكتاب طرفاً من الأدلّة على ذلك من الأخبار.

وأما على أهل الآخرة

فإنّ الأئمّة فى ذلك العالم شهود... .

وإليهم يفوّض أمر الحساب.

وأمر المؤمنين عليه السّلام «قسيم الجنّة والنار» .

ولا يدخل الجنّة إلّا من جاء بجوازٍ منه.

وسياتى بيان كلّ ذلك فى المواضع المناسبه من الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٢٧٨

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَ مَسَاكِينِ بَرَكَهِ اللَّهِ وَ مَعَادِنِ حِكْمِهِ اللَّهِ وَ حَفَظِهِ سِرِّ اللَّهِ وَ حَمَلِهِ كِتَابِ اللَّهِ وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَ ذُرِّيِّهِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتِهِ

ص: ٢٧٩

«المحال» جمع «المحلّ»، أى: مكان الحلول وموضع الاستقرار، فهو مفهومٌ متقومٌ بطرفين:

أحدهما: المكان والمحلّ.

والآخر: المكين والحالّ.

فالمكان هنا هم «الأئمة» والحالُّ فيه هو «معرفة الله».

وأما «المعرفة» فهي كما قال الراغب:

إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار (١).

إنّه إذا تفكّر الإنسان فى الشيء وتدبر لأثره، لا يبقى عنده شك ولا شبهة فى الشيء، ويكون عارفاً به.

ولمّا كان الله عزّ وجلّ لا يمكن إدراكه بذاته، ومن جهة أخرى، لا بدّ من معرفته، ولولا المعرفة فلا عبادة ولا طاعة... وجب معرفه الأئمة، لكونهم الطريق الوحيد إلى معرفه الله، وهذه هى الغاية القصوى من نصبهم...

ص: ٢٨١

إنه لا يتسنّى لمن ينشد معرفه الله-أصلها أو مرتبه من مراتبها-دون الرجوع إلى المحلّ المجعول على نحو التعيين للمعرفه، والمراد من «المحلّ» هو ذوات الأئمه وأشخاصهم، لا المكان الذى يتواجدون فيه، ولا خصوص أقوالهم الصّادره عنهم فى باب معرفه الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا، فإن من عرف الأئمه فقد عرف الله، لا بمعنى أنّ الله حالّ فيهم، فإنه كفر، بل لأنهم أسماء الله الحسنى التى بها يعرف، فعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى قوله تعالى:

«وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» ١.

نحن-والله-الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا (١).

وعنه عليه السلام أنه قال:

من عبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التى وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه فى سرائره وعلايته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقاً (٢).

إنّ الأئمه عباد الله المكرمون ومخلوقاته المصطفون، ولكن الله إنما يعرف بمعرفتهم، كما قال مولانا أبو عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام:

ص: ٢٨٢

١-٢) الكافي ١/١١١. [١]

٢-٣) الكافي ١/٨٧. [٢]

«أيها الناس، إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده ما سواه.

فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما معرفه الله؟

قال: معرفه أهل كل زمانٍ أمامهم الذي تجب عليهم طاعته» (١).

وصدر هذه الرواية يؤيد تفسير «لِيَعْبُدُونَ» في قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» ٢ ب «ليعرفون» .

وقوله عليه السلام: «ما خلق الله العباد إلا ليعرفوه» وعبارته دالّة على الحصر، ظاهر في كون العبادة فرع المعرفة- كما ذكرنا من قبل-، ومن الواضح أنه كلما ازدادت المعرفة ازدادت العبادة والطّاعة، وقد جاءت الزيارة الجامعة للكشف عن علوّ مقامات الأئمّه عليهم السلام في خصلتين: المعرفة والطّاعة.

لكنهم كلما جباهم الله تعالى بقرب منه ومقام رفيع عنده ازدادت عبوديتهم له، فتدبر في ما سيأتي في الزيارة من:

«عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً. فعظمتهم جلاله وأكبرتم شأنه ومجدتم كرمه وأدمتم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتهم عقد طاعته. . .» .

وتأمل في تفرّع «فعظمتهم. . .» إلى قوله «وأحكمتهم عقد طاعته» «على «عصمكم الله من الزلل. . .» و سيأتي بيانه في محله إن شاء الله.

لقد بلغ الأئمّه بعد النبي صلى الله عليه وآله في المعرفة والطّاعة ما لم يبلغه

ص: ٢٨٣

١- (١) علل الشرائع ١/٩، ح ١، [١] تفسير نور الثقلين ٥/١٣٢، ح ٥٨، [٢] تفسير الصافي ٥/٧٥. [٣]

أحد من العالمين، فكانوا-هم دون غيرهم-الذين من عرفهم فقد عرف الله... ولذا ورد عنهم أنه:

بنا عرف الله وبنا عبد الله (١).

فهم السبب لمعرفة الله وعبادته، كما أن أقوالهم وتعاليمهم هي السبب لذلك...

وهل ترى في هذا الذى قلناه من غلو؟

وعلى الجملة، فإن بواسطة الإمام نعرف الله... ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام:

الإمام عَلَّمَ فيما بين الله عزَّ وجلَّ وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً (٢).

لأن من عرف الإمام كان مؤمناً بالله، وإذا آمن به عبده، ومن أنكره فقد أنكر الله، ومن أنكره كان كافراً.

وقد تقدّم أنّ الأئمة من أهل البيت «أئمة الهدى» و«مصاييح الدجى» و«أعلام التقى» حيث تجلّى بشكلٍ واضح حقيقته أن الإمام هو المنصوب من قبل الله لأن يكون الوساطة بينه وبين خلقه والدليل عليه، من تبعه عرف الله وعبده ونجا، ومن تخلف عنه هلك وغوى.

إنّ أئمة أهل البيت أعلام وأدلاء وهداه لكافة الخلائق، ولا ينحصر نور هدايتهم بالشيعة ولا بالمسلمين فقط، وإنما هم هداه للخلق أجمعين، لأنهم

ص: ٢٨٤

١-١) بحار الأنوار ٢٠٢/٤٦. [١]

٢-٢) كمال الدين ٢/٤١٢. [٢]

«حجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى»، وليس لأحد بعد ذلك حجه على الله، بل الحجة التامة لله على الخلق من الأولين والآخرين.

وَمَسَاكِنَ بَرَكَهَ اللَّهِ

إشاره

«المساكن» جمع «المسكن» وهو اسم مكان من «السكون» والاستقرار، وإطلاق المسكن على الدار التي يعيش بها فيها الإنسان مدّة مجاز أو مسامحه في التعبير، بل الدار منزلٌ. فبين المسكن والمنزل والمأوى... فرق لا يخفى.

«البركه» لغه

و «البركه» - كما قال الراغب -: ثبوت الخير الإلهي في الشيء (١).

وفي المصباح المنير: البركه الزيادة والنماء... (٢).

فأهل البيت عليهم السلام مساكن الخير الالهى المتزايد والنامى...

لقد تكرر ذكر «البركه» في القرآن الكريم، يقول تعالى:

«وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا» ٣.

وصف الماء ب «المبارك»، ثم قال في آيه أخرى:

«وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ» ٤.

ص: ٢٨٥

١-١) المفردات في غريب القرآن: ٤٤. [١]

٢-٢) المصباح المنير: ٤٥.

فالماء المبارك نزل من السماء وأسكن في الأرض لأن يكون سبباً لزياده الخير والنفع الناس كما قال:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» ١.

بل قال في آيه أخرى:

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا» ٢.

ثم فسّر «الماء المعين» في قوله تعالى:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» ٣.

بالإمام عليه السلام... فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في هذه الآية:

إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد؟ (١) فالأئمة عليهم السلام مساكن الخير الإلهي بجميع أنواعه وأصنافه، وهم السبب للحياه الماديّه والمعنويّه. يقول الراغب الإصفهاني في مفهوم «الخير»:

ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحسّ وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زياده غير محسوسه: هو مبارك وفيه بركه (٢).

فهذا شرح: ومساكن بركه الله.

وقد يكون إشارة إلى قوله تعالى:

ص: ٢٨٦

١-٤) الكافي ١/٢٧٤، كتاب الغيبة للنعماني: ١٧٦. [١]

٢-٥) المفردات في غريب القرآن: ٤٤. [٢]

«رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» ١.

وقد روى الشيخ الكليني بإسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال:

مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوم فسلم عليهم، فقالوا: عليك السلام ورحمه الله وبركاته ومغفرته ورضوانه. فقال لهم أمير المؤمنين: لا تجاوزوا بنا مثل ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام. إنما قالوا «رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» ٢.

هذا، وقد أضيفت «البركة» إلى «اسم الجلالة» المستجمع لجميع الكمالات، ولعلّه للإشارة إلى أنّ عندهم جميع الخيرات والكمالات الإلهية، وأنهم السبب لنموها وتزايدها بين الخلائق.

ومن الواضح أن كلّ من كان اتّصاله بهم أزيد وأشدّ، كان انتفاعه من بركاتهم وفيوضاتهم أكثر وأنفع. . . .

وَمَعَادِنِ حِكْمِهِ اللَّهَ

«المعدن» لغة

«المعادن» جمع «المعدن»، وقد تقدّم في «معدن الرّحمه»، قال في المصباح:

عدن بالمكان عدناً وعدوناً- من بابى ضرب وقعد-: أقام ومنه. «جَنَاتِ عِدْنٍ» أى: جَنَاتِ إِقَامِهِ، واسم المكان: معدن-مثال مجلس-لأن أهله يقيمون

عليه الصيف والشتاء. أو: لأن الجواهر الذي خلقه فيه عَدَنَ به.

قال في مختصر العين: معدن كل شيء حيث يكون أصله (١).

وقال الراغب: «جَنَاتِ عَدَنٍ» أى: استقرار وثبات. وعدن بمكان كذا، استقرَّ، ومنه: المعدن لمستقر الجواهر (٢).

وعلى الجملة: فالمعدن فى اللغه هو: منبت الشيء وحيث يكون أصله ومستقره.

«الحكمه» لغةً

و «الحكمه» فى المفردات: إصابه الحقّ بالعلم والعقل (٣).

ويؤيده ما رواه الشيخ الكليني عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فى قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» ٤.

قال: الفهم والعقل (٤).

ولشرح الجملة ضمن نقاط:

١- إن الحكمه من «حَكَمَ» أى: «مَنَعَ» (٥)، والمحكم هو الشيء المضبوط المتقن، يقال: هذا الباب محكم، أى متقنٌ صنعهُ وممتنع فتحه أو كسره، وهذا

ص: ٢٨٨

١-١ (١) المصباح المنير: ٣٩٧. [١]

٢-٢ (٢) المفردات فى غريب القرآن: ٣٢٦. [٢]

٣-٣ (٣) المفردات فى غريب القرآن: ١٢٧.

٤-٤ (٤) الكافى ١/١٥. [٣]

٥-٥ (٥) المفردات فى غريب القرآن: ١٢٦. [٤]

المطلب محكم، أى: يمتنع إبطال دلائله وإيراد الشبهه فيه، والآيات القرآنيه المحكمات، أى: التى لا شك وشبهه فى معناها، والحكم بالشىء، أى: البيان القاطع الفاصل للخصومه... فالمشتقات كلها ترجع إلى «المنع» و«الامتناع».

٢- إن الأمور الثابته والمحكمه التى لا يمكن إبطالها بل لا تقبل الجدل، والتى نعبر عنها ب «الحقائق» ، يتوصل إليها بأحد طريقين أو كليهما:

أحدهما: الطّريق العلمى، وهو ترتيب مقدماتٍ تنتهى إلى العلم بالشىء.

والآخر: الطّريق العقلى، وهو للوصول إلى ما لا يمكن إثباته بالطريق العلمى.

الحقائق المحكمه عند الأئمه

٣- ظاهر «معادن حكمه الله» هو وجود جميع الحقائق المحكمه-التى فى علم الله-عند الأئمه عليهم السّلام، إلّا أنه لمّا كان الأئمه محدودين، وعلم الله مطلق غير محدود، فلا بدّ من أن يكون المراد أنّ كلّما يمكن تعلّق العلم به، فالأئمه عالمون به فى أعلى درجات العلم، ولعلّ هذا هو معنى قوله صلى الله عليه وآله المتفق عليه:

أنا مدينه الحكمه وعلى بابها (١).

وكذا قوله صلى الله عليه وآله:

أنا مدينه العلم وعلى بابها (٢).

ص: ٢٨٩

١- (١) انظر: نفحات الأزهار، الأجزاء: ١٠-١٢.

٢- (٢) المصدر. [١]

٤- إن صريح الآيات الكريمة أن كل ما عند أحد من الحكمة، فإنما هو من الله: قال تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» ١.

وقال:

«وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ» ٢.

وقال:

«وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ» ٣.

وقال:

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ» ٤.

فالحكمة عطية إلهية، وهذه العطية المحكمه وكلّ الحقائق من المعقولات والمعلومات . . . عند الأئمة عليهم الصّلاه والسلام وهم المستقرّ والمقام لها، وهي جميعاً مجتمعه عندهم.

فهذا شرح الجملة المذكوره، ويبقى الكلام فى المصاديق، وهنا لابدّ من الرجوع إلى الروايات المفسره للآيات:

ص: ٢٩٠

فَعَن أَبِى عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى:

«يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» ١ قَالَ: هِى طَاعَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ الْإِمَامِ (١).

وفى روايه:

إِنَّ الْحِكْمَةَ: الْمَعْرِفَةُ وَالتَّفَقُّهُ فِى الدِّينِ.

وفى ثالثه:

الْخَيْرُ الْكَثِيرُ مَعْرِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَنْئِمَةَ (٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آتَانِى الْقُرْآنَ وَآتَانِى الْحِكْمَةَ مِثْلَ الْقُرْآنِ (٣).

وكل ذلك -بمقتضى الحديث السابق- عند أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه باب المدينة.

إذن، معرفة الله وطاعته وأسرار القرآن الكريم، والعلم بملاكات الأحكام، وحقائق الأمور، وكل ما فيه صلاح العباد... كل ذلك ثابت ومستقر عند الأنتم، وكل من حصل له شيء من ذلك فهو من الأنتم عليهم السلام.

ص: ٢٩١

١-٢) الكافي ١/١٨٥. [١]

٢-٣) تفسير القمى ١/٩٢. [٢]

٣-٤) تفسير كنز الدقائق ١/٦٥٣. [٣]

مِمَّا لا-ريب فيه، أَنَّ هناك من الحقائق والقضايا ما يفوق قدره العلم وإدراك العقل البشرى، وبالتالي، فمهما ترقى الإنسان في سلم التقدم العلمى والعقلى، يبقى قاصراً عن نيل الكثير من الحقائق فى هذا العالم وغيره، وقد لا تزال خافيةً عليه إلى قيام الساعة.

ما ستره الله عن العباد محفوظ عند الأئمة

إلّا أن كلّ ذلك مودع عند الأئمة، وهو دون مقامهم العلمى، إذ أنّ علمهم محيط بجميع ما فى الكون فى أعلى مراتبه، وإنّ جميع ما ستره الله عن سائر أفراد البشر موجود عندهم، وهم الحفظه والأمناء على تلك الأسرار.

لقد وجد فى أصحابهم من كان أهلاً-لأنّ يعطوه شيئاً ممّا آتاهم الله من المعرفة والعلم، ثم قاموا بتعليم ما أخذوه ونشر ما استوعبوه، ولكن هل كان فيهم من كان أهلاً لأن يودع شيئاً من الأسرار؟

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لأبى بصير:

يا أبا محمّد، إنّ عندنا-والله-سراً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا. . . (١).

وقد عبروا عن تلك الحقائق المستوره ب «الصعب المستعجب» فى بعض الأخبار، كقوله عليه الصّلاه والسّلام:

ص: ٢٩٢

حديثنا صعب مستصعب، لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان (١).

وقد يعبرون عن ذلك بـ «العلم المكنون»، كقوله عليه السلام في بعض الموارد:

هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سئلتموني ما أخبرتكم (٢).

وعلى الجملة، فيظهر أن هناك حقائق كثيرة مستورة عن عموم الناس، لا تدركها أفهامهم ولا تبلغها عقولهم، لكن الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام يحملون تلك الأمور كما ورد بتفسير قوله تعالى:

«وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» ٣.

فقد روى الشيخ ابن بابويه الصدوق بإسناده عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله، هو التوراه؟ قال: لا.

قالا: فهو الإنجيل؟

قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟

قال: لا.

قال: فأقبل أمير المؤمنين على عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه

ص: ٢٩٣

١-١ (١) الكافي ١/٢٠. [١]

٢-٢ (٢) عوالي الآلى ٢/٣٨. [٢]

وآله هو هذا. إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء (١).

ويشهد بذلك الحديثان الثابتان عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنا مدينه العلم وعلى بابها.

أنا مدينه الحكمه وعلى بابها.

وكذا غيرهما من الأحاديث الواردة في كتب الفريقين.

أسروا ببعضها لأحد من أصحابهم

فكلّ الحقائق عند النبي وآله الأطهار، وقد أذن لهم بالكشف عن بعضها ولم يؤذن ذلك بالنسبه إلى البعض الآخر، إذ لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل، وإذا أرادوا إعطاء شيء منه لأحد امتحنوه كما قال: أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

ومن هنا كان الإمام على يشير إلى صدره ويقول:

إن هاهنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة (٢).

إذن... لقد بين الأئمة عليهم السلام كثيراً من العلوم والحكم وعلموها لمن كان لها أهلاً ومنهم انتشرت، ولكن كثيراً مما كان عندهم لم يجدوا له حملة، وبقيت عندهم محفوظة مكتومه، ومن هذا الباب ما روى عن الإمام السجاد على بن الحسين عليه السلام أنه قال: إني لأكتم من علمي جواهره

ص: ٢٩٤

١-١) معاني الاخير ٩٥

٢-٢) الخصال ١/١٨٦ نهج البلاغه ٤٩٦ [١]

إلما إذا وجدوا لبعضها حملةً أخبروه ثم أمروه بالكتمان، ولعلّ من هؤلاء الأفراد القلائل: جابر بن يزيد الجعفي، وقد روى عنه الشيخ الكليني بإسناده قال:

حدّثني محمّد بن علي عليه السّلام سبعين حديثاً لم أجدت بها أحداً قط ولا أجدت بها أحداً أبداً، فلما مضى محمّد بن علي عليهما السّلام ثقلت على عنقي وضاق بها صدري، فأتيت أبا عبد الله عليه السّلام فقلت: جعلت فداك، إن أباك حدّثني سبعين حديثاً لم يخرج مني شيء منها ولا يخرج شيء منها إلى أحدٍ، وأمرني بسترها، وقد ثقلت على عنقي وضاق بها صدري، فما تأمرني؟

فقال: يا جابر، إذا ضاق بك من ذلك شيء، فاخرج إلى الجبانه واحترف حفيرةً، ثم دلّ رأسك فيها وقل: حدّثني محمّد بن علي بكذا وكذا، ثم طمه، فإنّ الأرض تستر عليك.

قال جابر: ففعلت ذلك فخفّ عني ما كنت أجده (١).

أقول:

ومع ذلك كله، فقد اشتهر جابر بن يزيد الجعفي بهذا الأمر حتّى بين المخالفين، فمنهم من وثّقه حتى قال بعضهم: ما رأيت أروع منه في الحديث، وقال آخر: ما شككتم في شيء فلا شكّوا أن جابراً الجعفي ثقة، وعن الشافعي قال سفيان لشعبه: لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلّمن فيك. ومنهم من كذّبه لكونه شيعياً موالياً لأهل البيت يعتقد برجعتهم (٢).

ص: ٢٩٥

١-١ (١) الكافي ٨/١٥٧. [١]

١-٢ (٢) انظر: ميزان الاعتدال ١/٣٧٩.

«الحمله» جمع «الحامل» .

قال ابن فارس: الحاء والميم واللام أصل واحد، يدلّ على إقلال الشيء، يقال: حملت الشيء أحمله حملاً، . . . (١).

وقال الراغب: الحمل معنى واحد، اعتبر في أشياء كثيرة، فسوّى بين لفظه في فعلٍ وفُرق بين كثير منها في مصادرهما، ف قيل في الأثقال المحمولة في الظاهر، كالشيء المحمول على الظهر: حمل، وفي الأثقال المحمولة في الباطن: حمل، كالولد في البطن. . . يقال: حملت الثقل والرسالة والوزر حملاً. . . وقوله عزّ وجلّ: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ. . .» أى: كُلفوا أن يتحمّلوها، أى يقوموا بحقّها. . . (٢).

والحمل مفهومٌ يتقوم ب «الحامل» و «المحمول» سواء حمل الشيء في اليد أو على الرأس أو على الظهر أو في البطن أو في الصدر.

وهذا المفهوم يتحقّق بحمل الأثقال وإلّا لم يصدق «الإقلال»، وهى على قسمين:

١- الأثقال الماديّة المحسوسة، كما فى قوله تعالى:

«وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ» ٣.

وكما فى قوله تعالى:

ص: ٢٩٤

١- ١) معجم مقاييس اللغة ٢/١٠٦. [١]

٢- ٢) المفردات فى غريب القرآن: ٢٥٧. [٢]

«وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ» ١.

٢- الأثقال المعنويّة، كما في قوله تعالى:

«وَمَا كُنْتُمْ تُثَلُّوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ* بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» ٢.

وكما في قوله تعالى:

«وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» ٣.

وكما في قوله تعالى:

«مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» ٤.

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس، والمراد من «لَمْ يَحْمِلُوهَا» أي: لم يقوموا بحققها كما قال الراغب، فهم لما لم يأخذوا بتعاليم التوراه أصبحوا بحيث لا يفرّق بينهم وبين الحيوان الذي يحمل الأسفار وهو لا يعقل ما يحمل وقيمته وأهميته.

المراد من «كتاب الله»

وأما «كتاب الله» هنا، فالظاهر أن المراد به ما هو أوسع من القرآن، لأن الأئمة يحملون في صدورهم كلّما جاءت به الرّسل والشرائع التي أشار إليها قوله تعالى:

ص: ٢٩٧

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ» ١.

وعندهم جميع الصحف التي أشار إليها بقوله:

«إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى» ٢.

فعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال له:

يا أبا محمّد، إنّ عندنا الصحف التي قال الله سبحانه «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى» قال: قلت: جعلت فداك، وإنّ الصحف هي الألواح؟ قال: نعم» (١).

فالصحف عندهم، وفيها كتبت ولايتهم:

فعن أبي الحسن عليه السلام قال: ولايه على مكتوبه في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولا إلاّ بنوه محمّد ووصيه على (٢).

وعند الأئمة كلّ ما نزل على رسول الله من القرآن وغير القرآن، كما قال صلى الله عليه وآله:

إنّ الله تعالى آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن (٣).

حقائق القرآن عند الأئمة

نعم، عندهم جميع الحقائق والأسرار القرآنية، هذا الكتاب الذي وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

ص: ٢٩٨

١-٣) البرهان في تفسير القرآن ٥/٦٣٨. [١]

٢-٤) الكافي ١/٣٦٣. [٢]

٣-٥) مجمع البيان ٢/١٩٤، تفسير الصّافي ١/٢٩٩، [٣] نور الثقلين ١/٢٨٧. [٤]

إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق. لا تفنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه ولا تكشف الظلمات إلَّاه (١).

هذا الكتاب الذى ورد أنه:

على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق (٢).

ويدل على ذلك ما ورد بتفسير كثير من آياته الكريمه، ومن ذلك قوله تعالى:

«قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» ٣.

ومن ذلك قوله تعالى:

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ. . .» ٤.

فعن أبى عبدالله عليه السلام قال: «هم الأئمة عليهم السلام» (٣).

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام-فيما رواه الخاصه والعامه:-

والله، ما نزلت آيه إلَّا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت» (٤).

وقال:

سلونى عن كتاب الله، فإنه ليس آيه إلَّا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار، فى سهل أو جبل» (٥).

ص: ٢٩٩

١- (١) نهج البلاغه: ٤١. [١]

٢- (٢) جامع الأخبار: ٤١، [٢] عوالى اللآلى ٤/١٠٥، [٣] بحار الأنوار ٧٥/٢٧٨. [٤]

٣- (٥) الكافى ١/٢١٤. [٥]

٤- (٦) كشف الغمّه ١/١١٦، [٦] كشف اليقين: ٥٥، [٧] حليه الأولياء ١/٦١، أنساب الأشراف ١/٩٩. [٨]

٥- (٧) الإستيعاب ٣/١١٠٧. [٩]

فأين على عليه السلام من أولئك الذين جهلوا مفاهيم ألفاظ القرآن فضلاً عن حقائقه وأسراره، حتى أنهم لم يعلموا معنى قوله تعالى:

«وَ فَاكِهَةٌ وَ أَبًا» ١.

فقد روى الخاصه والعامه أن أبا بكر لما سئل عن معنى «الأب» فى هذه الآيه، قال:

أى سماء تظلنى أم أى أرض تقلنى، أم كيف أصنع إن قلت فى كتاب الله بما لا أعلم؟ أما الفاكهه فنعرفها، وأما الأب، فالله أعلم به» (١).

وكيف يقاس هذا الجاهل بمفرده من مفردات القرآن، بمن قال على رؤوس الأشهاد: سلونى قبل أن تفقدونى (٢).

وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ

«الوصى» لغةً وشرعاً

«الأوصياء» جمع «الوصى». قال ابن فارس:

وصى... أصل يدل على وصل شىء بشىء، ووصيت الشىء: وصلته... والوصيّه من هذا القياس، كأنه كلام يوصى، أى يوصل (٣).

وأضاف صاحب التاج:

ص: ٣٠٠

١-٢) الدر المنثور ٦/٣١٧. [١]

٢-٣) الإستيعاب ٣/١١٠٧.

٣-٤) معجم مقاييس اللغة ٦/١١٦. [٢]

وأوصاه إيصاءً ووصاه توصيةً: إذا عهد إليه (١).

وفيه وفي اللسان:

الوصى... لقب على رضى الله عنه (٢).

ثم قال فى التاج: سُمى به لاتصال سببه ونسبه وسمته بنسب رسول الله وسببه وسمته.

هذا كلامه، ولم يؤد المطلب حقه كما سيظهر.

وفى الفقه كذلك، وفى عبارته الشهيد الأول كفايه حيث قال فى كتاب الوصية:

هى فعلية، من وصى يصى، إذا وصل الشىء بغيره، لأن الوصى يصل تصرفه بعد الموت بما قبله، ويقال: وصى للموصى وللموصى له... (٣).

فالوصى فى الحقيقة امتداد للموصى، وبواسطته تستمر تصرفاته، فيقوم «الوصى» مقام «الموصى» وينزل منزلته... .

ونفس هذا المعنى هو المقصود من الكلمه فى القرآن الكريم، كقوله سبحانه:

«وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ» ٤.

الوصاية عن النبى هى الإمامه من بعده

أى: عهد إليهم بها... و«العهد» هو «الوصاية»، وإذا قيل «عهد النبى» مثلاً كان المراد: «الوصاية» و«الإمامه»، وهذا صريح الأخبار فى كتب الفريقين:

ص: ٣٠١

١-١) تاج العروس ٢٠/٢٩٦. [١]

٢-٢) المصدر ٢٠/٢٩٧، [٢] لسان العرب ١٥/٣٩٤. [٣]

٣-٣) الدروس الشرعية ٢/٢٩٣.

عن عمرو بن الأشعث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أترون الموصى منّا يوصى إلى من يريد؟ لا والله، ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل، حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه.

وعن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الإمامه عهد من الله عزّ وجلّ معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده.

إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتّخذ وصياً من أهلك فإنّه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلّاه وصياً من أهله، وكان لداود عليه السلام أولادٌ عدّه، وفيهم غلام كانت أمّه عند داود وكان لها محبّاً، فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي فقال لها: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ يأمرني أن اتّخذ وصياً من أهلي، فقالت له امرأته: فليكن ابني. قال: ذلك أريد، وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنّه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: أن لا تعجل دون أن يأتيك أمرى، فلم يلبث داود عليه السلام أن ورد عليه رجلاّن يختصمان في الغنم والكرم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود أن اجمع ولدك، فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود عليه السلام ولده، فلما أن قضى الخصمان، قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً، قال: قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا، ثم قال له داود: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني إسرائيل وكان ثمن الكرم قيمه الغنم؟ فقال سليمان: إنّ الكرم لم يجتث من أصله وإنّما أكل حمله وهو عائد في قابل.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: أنّ القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به،

يا داود، أردت أمراً وأردنا أمراً غيره. فدخل داود على امرأته فقال: أردنا أمراً وأراد الله عز وجلّ أمراً غيره ولم يكن إلّاما أراد الله عز وجلّ، فقد رضينا بأمر الله عز وجلّ وسلّمنا.

وكذلك الأوصياء عليهم السّلام، ليس لهم أن يتعدّوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره» (١).

ولمّا أريد من عمر بن الخطاب أن يوصى بالخلافه لأحدٍ من بعده، قال:

إنّ أعهد، فقد عهد من هو خير منّي، يعني أبا بكر، وإنّ اترك، فقد ترك من هو خير منّي، يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله (٢).

ولكنّ أبا بكر لم يكن له من الأمر شيء حتى يعهد لأحدٍ من بعده، أمّا رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقد عهد إلى علي عليه السّلام، وهو وصيّته بأمرٍ من الله.

وهكذا كانت السنّه التي سارت عليها جميع الرسالات، فإنّهم ما فارقوا أممهم إلّا بعد تعيين الوصي والإمام من بعدهم، كي يبقى ركب النبوات ونهج الشرائع الإلهيّة مستمرّاً:

روى الشيخان الصّدوق والطوسي بإسنادهما عن أبي عبد الله الصّادق عليه السّلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا سيّد النبيين ووصي سيّد الوصيين وأوصياؤه سادته الأوصياء.

إنّ آدم عليه السّلام سأل الله عز وجلّ أن يجعل له وصيّاً صالحاً، فأوحى الله

ص: ٣٠٣

١-١ (١) الكافي ١/٢٧٩. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ ابن خلدون ١/٢١٢، [٢] تاريخ الخلفاء ١/١٤. [٣]

عزّ وجلّ إليه أنى أكرمت الأنبياء بالنبوّه، ثم اخترت خلقى فجعلت خيارهم الأوصياء.

فقال آدم عليه السّلام: يا ربّ! فاجعل وصيى خير الأوصياء.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا آدم! أوص إلى شيث وهو هبه الله بن آدم.

فأوصى آدم إلى شيث، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزله الحوراء التى أنزلها الله عزّ وجلّ على آدم من الجنّه فزوّجها شيثاً، وأوصى شبان إلى ابنه مجلث، وأوصى مجلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى غثميشا، وأوصى غثميشا إلى أخنوخ وهو إدريس النّبى عليه السّلام، وأوصى إدريس إلى ناخور، ودفعتها ناخور إلى نوح عليه السّلام، وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر وأوصى عثامر إلى برعيثاشا، وأوصى برعيثاشا إلى يافث.

وأوصى يافث إلى بره، وأوصى بره إلى جفيسه وأوصى جفيسه إلى عمران.

ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السّلام، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بثرىاء، وأوصى بثرىاء إلى شعيب.

وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، وأوصى موسى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع إلى داود وأوصى داود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا، ودفعتها زكريا إلى عيسى بن مريم عليه السّلام، وأوصى عيسى إلى شمعون ابن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمه، وأوصى سليمه إلى برده.

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ودفعتها إلى برده، وأنا أدفعها إليك

يا على! وأنت تدفعها إلى وصيكَ، ويدفعها وصيكَ إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك.

ولتكفرون بك الأئمة ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً. الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين. [\(١\)](#)

الإمامه لا تنال الظالمين

هذا، وفي القرآن الكريم:

«قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» ٢.

وقد اتفق المفسرون على أن المراد من «العهد» فيها هو «الإمامه» [\(٢\)](#) والروايات في ذيلها كثيرة:

فغن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله له: «قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» فقال الله: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ». من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً» [\(٣\)](#).

وعنه عليه السلام:

ينكرون الإمام المفروض الطاعة ويجحدونه؟ والله، ما في الأرض منزله عند الله أعظم من منزله مفترض الطاعة. لقد كان إبراهيم دهرًا ينزل عليه الوحي والأمر

ص: ٣٠٥

١- ١) كمال الدين ١/٢١١-٢١٢، [١] أمالي الطوسي ٢/٥٧. [٢]

٢- ٣) تفسير القمي ٢/٢٢٦، [٣] العياشي ١/٥٧، [٤] الرازي ٤/٤٠، [٥] ابن أبي حاتم ١/٢٢٣. [٦]

٣- ٤) الكافي ١/١٣٣. [٧]

من الله، وما كان مفترض الطاعة، حتى بدا لله أن يكرمه ويعظمه فقال: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فعرف إبراهيم ما فيها من الفضل فقال «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» أى: واجعل ذلك فى ذريّتى، قال الله عزّ وجلّ «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» .

قال أبو عبد الله: إنما هو فى ذريّتى لا يكون فى غيرهم (١).

الأئمّه أوصياء الرسول

وما كان نبينا صلّى الله عليه وآله بدعاً من الرسل، فقد أوصى بأمرٍ من الله عزّ وجلّ وعين الخلفاء من بعده وعهد بذلك بكلّ وضوحٍ وصراحه، وهذا ما جاء فى روايات الفريقين كذلك:

روى الشيخ الكلينى بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال:

قال أبى لجابر بن عبد الله الأنصارى: إن لى إليك حاجه، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟

فقال له جابر: أى الأوقات أحببته؟ فخلا به فى بعض الأيام.

فقال له: يا جابر! أخبرنى عن اللوح الذى رأيت فى يد أمى فاطمه عليها السّلام بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما أخبرتك به أمى أنه فى ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد بالله أنى دخلت على أمك فاطمه عليها السّلام فى حياه رسول الله صلّى الله عليه وآله فهنيتها بولاده الحسين عليه السلام، ورأيت فى يديها لوحاً أخضر، ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس،

ص: ٣٠٦

فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا هَذَا اللَّوْحُ؟

فقالت: هذا لوح أهداه الله إلي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ اسْمُ أَبِي وَاسْمُ بَعْلِی وَاسْمُ ابْنِي وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُبَشِّرَنِي بِذَلِكَ.

قال جابر: فأعطتني أمك فاطمه عليها السلام فقرأته واستنسخته.

فقال له أبي: فهل لك يا جابر! أن تعرضه علي؟

قال: نعم.

فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفه من رق.

فقال: يا جابر! انظر في كتابك لأقرأ [أنا] عليك.

فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً.

فقال جابر: فأشهد بالله أنني هكذا رأيت في اللوح مكتوباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَنُورِهِ وَسَفِيرِهِ وَحِجَابِهِ وَدَلِيلِهِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَظُمَ يَا مُحَمَّدُ أَسْمَائِي وَاشْكُرْ نِعْمَائِي وَلَا تَجْحَدْ آلَائِي، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ وَمُدِيلُ الْمَظْلُومِينَ وَدِيَانُ الدِّينِ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ رَجَا غَيْرَ فَضْلِي أَوْ خَافَ غَيْرَ عَدْلِي، عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أَعَدُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَإِيَايَ فَاعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ.

إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا فَأَكْمَلْتُ أَيَّامَهُ وَانْقَضَتْ مَدَّتُهُ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ وَصِيًّا، وَإِنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَّلْتُ وَصِيَّكَ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ، وَأَكْرَمْتُكَ بِشَبْلِيكَ وَسَبْطِيكَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَجَعَلْتُ حَسَنًا مَعْدِنَ عِلْمِي بَعْدَ انْقِضَاءِ مَدَّةِ أَبِيهِ، وَجَعَلْتُ حُسَيْنًا خَازِنَ وَحْيِي وَأَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ وَخَتَمْتُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ اسْتِشْهَادِ وَأَرْفَعُ الشَّهَادَةَ دَرَجَةً، جَعَلْتُ كَلِمَتِي التَّامَّةَ مَعَهُ وَحَجَّتِي الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ، بَعْتَرْتَهُ أَثِيبَ

وأعاقب، أولهم على سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود محمّد الباقر علمى والمعدن لحكمتى.

سيهلك المرتابون فى جعفر، الراد عليه كالراد علىّ، حق القول منى لأكرم منّ مثنوى جعفر، ولأسرته فى أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتاحت بعده موسى فتنه عمياء حندس لأن خيط فرضى لا يقطع وحجتى لا تخفى، وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتى، ومن غير آيه من كتابى فقد افترى علىّ.

ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّه موسى عبدى وحيبى وخيرتى فى على وليى وناصرى ومن أضع عليه أعباء النبوه وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر يدفن فى المدينه التى بناها العبد الصّالح إلى جنب شرّ خلقى.

حق القول منى لأسرته بمحمّد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمى وموضع سرى وحجتى على خلقى، لا يؤمن عبد به إلّا جعلت الجنّه مثواه وشفّعتة فى سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسعادة لابنه على وليى وناصرى والشاهد فى خلقى وأمينى على وحيى، أخرج منه الداعى إلى سبيلى والخازن لعلمى الحسن.

وأكمل ذلك بابنه «م ح م د» رحمه للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب، فيذلّ أوليائي فى زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرّقون ويكفون خائفين، مرعوبين، وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والزنا فى نسائهم أولئك أوليائي حقاً، بهم أذفع كلّ فتنه عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمه وأولئك هم المهتدون.

قال عبدالرحمان بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلهذا الحديث لكفاك، فصنه إلأعن أهله (١).

إن مفهوم الوصية لا يتحقق إلأبأطراف:

١-الموصى.

٢-الوصى.

٣-الجهة.

فهو يوصى إلى زيد بأن يصرف كذا من أمواله في الجهة المعينه.

وقد يكون للموصى أوصياء كل منهم لجهه من الجهات.

وللنبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر وصياً يقوم كل واحد منهم بعد الآخر بوظائف النبوه، فلا تخلو الأرض من هادٍ للأئمه ورابط بينها وبين الله، ومن حجّه لله على الخلق، حتى قيام الساعة. . . .

إن الارتباط بين السماء والأرض لم ينقطع بموت النبي صلى الله عليه وآله، بل إن جميع ما أنزل عليه من القرآن وأحكام الحلال والحرام والآداب والسنن. . . . باق مستمر إلى يوم القيامة، والأئمه كل في عهده حافظون لذلك كله من الزيادة والنقصان ومبلغون له للناس، فهو- وإن رحل عن هذا العالم- باق ببقاء الأئمه من أهل بيته وما جاء به باق ببقائهم، ولعل هذا هو السر في إضافه «الأوصياء» إلى «نبي الله»، إذ أضيف الأئمه بعنوان الأوصياء إلى جهه نبوته صلى الله عليه وآله.

ولابد من التأكيد هنا على نقطه-ولو بإيجاز-وهي: إن من يكون وصي النبي فيقوم من بعده بوظائف النبوه ويقوم مقامه ويسد مسده، لابد وأن يكون واجداً لجميع صفات النبي ومراتبه من الولاية والعلم والعصمه وغير ذلك عدا النبوه.

ص: ٣٠٩

ثم إن من الثابت والمسلم به أن لقب «الوصي» قد اختص في الإسلام بالإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه طالما نطق به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في خطباته وكلماته، وبهذا اتفقت روايات السنن والشيعة، وأدبيات الأئمة عليهم السلام والصحابه بشكل وافر شعراً ونثراً (١). وقد سلطنا الضوء على ذلك مفصلاً خلال بحثنا حول الوصية في كتابنا «تشديد المراجعات» (٢).

وبحث الوصية يدور حول ثلاثة محاور:

١- إثبات وصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قبل رحيله من الدنيا، وهو بحث أساسي وأحد ثوابت مبحث الإمامه، بحيث تترتب عليه باقى مسائل بحث الإمامه، ولذا لزم اتقان موضوعه بدقه.

٢- إن وصي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو ما أوضحناه فيه معنى الوصيه والأحاديث الواردة فيها والشواهد عليها.

٣- إنكار عائشه الوصية من خلال ادّعائها أن رأس النبي صلى الله عليه وآله كان في حجرها حين وفاته، حيث قالت في معرض إنكارها الوصية لعليّ:

متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صدرى، فدعا بالطست، فلقد انخنت في حجرى وما شعرت أنه مات، فمتى أوصى إليه؟

ص: ٣١٠

١- (١) راجع للاطلاع: الكامل ٤/١٤، ميزان الاعتدال ٢/٢٤٠ و ٢٧٣، تاريخ مدينه دمشق ٤٢/٣٩٢، مناقب الخوارزمي: ٨٥، حديث ٧٤، وقعه صفين: ٤٨١، ينابيع الموده ١/٢٣٥ وشرح نهج البلاغه ١/١٤٥.

٢- (٢) راجع: تشديد المراجعات ٤/٩٥-١٨٩، باب عليّ وصي النبي صلى الله عليه وآله وباباً حول عائشه وإنكارها للوصيه.

وفى روايه أخرى:

متى أوصى وقد مات بين سحرى ونحرى؟ (١).

ثم تبعها فى ذلك الأبناء الذين اتّخذوها إماماً لهم فأنكروا الوصيّه؛ كابن خلدون وابن عساكر وابن كثير وابن فلان. . . من النواصب.

وهو ادّعاء باطل من جهتين:

١- إن هذا الخبر كذب محض.

٢- إنّه صلّى الله عليه وآله توفى ورأسه فى حجر عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام حيث أوصاه حينذاك بوصايا.

حديث الثقلين وصيّه النبيّ

إضافه لهذا وذاك، فالنبيّ صلّى الله عليه وآله طالما كان يكرّر وصيّه بعليّ والأئمّه من بعده طيله فتره نبوّته، فإنه بالإضافه إلى حديث الثقلين الذى ذكره صلّى الله عليه وآله وسلّم فى عدّه مواضع بقوله:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى» (٢).

ص: ٣١١

١ - ١ صحيح البخارى ٣/١٨٦، صحيح مسلم ٥/٧٥، مسند أحمد ٦/٣٢، سنن ابن ماجه ١/٥١٩، شرح مسلم للنورى ١١/٨٨، المصنّف ٧/٣٠٩، امتاع الاسماع ١٤/٤٨٢.

٢ - ٢ الموضوع الأول: حين رجوعه من الطائف، الصواعق المحرقة: ٦٤. [١] الموضوع الثانى: فى حجه الوداع وفى عرفه: المعجم الكبير ٣/٦٣ ح ٢٦٧٩، سنن الترمذى ٦/٦٢١، جامع الاصول ١/٢٧٧، كنز العمال ١/١٤٨، الموضوع الثالث: خطبه يوم غدیر خم، مسند أحمد ٣/١٧، [٢] سنن الدارمى ٢/٣١٠، [٣] سنن البيهقى ٢/١٤٨، البدايه والنهايه ٥/٢٠٩. [٤] الموضوع الرابع: حين مرضه الذى توفى فيه فى جمع من الناس الذين حضروا فى غرفته، سمط النجوم العوالى ٢/٥٠٢، [٥] كشف الأسرار ٣/٢٢١، [٦] الصواعق المحرقة: ٩٨. [٧]

هذا الحديث الذي اعتبره علماء الفريقين من وصايا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في عبارات لهم صريحه في ذلك، وهذه نصوص بعضها:

قال ابن حجر المكي: «وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدّه أحاديث، منها حديث: إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. قال الترمذي: حسن غريب. وأخرجه آخرون. ولم يصب ابن الجوزي في إirاده في العلل المتناهيه، كيف! وفي صحيح مسلم وغيره. . .» (١).

وقال الحافظ السيخاوي: «قد جاءت الوصية الصريحة بأهل البيت في غيرها من الأحاديث، فعن سليمان بن مهران الأعمش. . .» إلى آخر عبارته (٢).

وقال الحافظ السيخاوي: «الذكر الرابع: في حثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأمة على التمسك بعده بكتاب ربهم، وأهل بيت نبهم، وأن يخلّفوه فيهما بخير، وسؤاله من يرد عليه الحوض عنهما، وسؤال ربه عزّ وجلّ الأمة كيف خلفوا نبهم فيهما، ووصيته بأهل بيته، وأنّ الله تعالى أوصاه بهم. . .» (٣).

وفي لسان العرب: «وفي حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أوصيكم بكتاب الله وعترتي» (٤).

ص: ٣١٢

١-١) الصواعق المحرقة ٢/٦٥٢. [١]

٢-٢) استجلاب ارتقاء الغرف ١/٣٣٦.

٣-٣) جواهر العقدين: ٢٣١. [٢]

٤-٤) لسان العرب ١١/١٣٧. [٣]

فإن الأحاديث الواردة في أن الأئمة أو صياؤه -وخاصة ما ورد صريحاً في وصايه أمير المؤمنين بلفظ الوصاية وما بمعناها- كثيرة، ولعل من أشهرها قوله في السنين الأولى من بعثته، في يوم الإنذار لما نزل عليه قوله تعالى:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ١.

إنه قال مخاطباً لرجال عشيرته الذين دعاهم ليعرض عليهم الدين ويبلغهم ما أمر به من الإيمان بالله وبرسالته: «أيكم يكون أخي ووارثي ووزيرى وخليفتى فيكم من بعدى».

وهذه روايه المتقى عن جماعه من الأئمه:

«عن عليّ، قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» دعانى رسول الله فقال: يا عليّ، إن أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنى مهما أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ عليها، حتى جاءنى جبريل فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعدّ بك ربك».

فاصنع لى صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاه، واجعل لنا عسّاً من لبن، ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب حتى أكلهم وأبلغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزه والعباس وأبو لهب، فلما وضعته

تناول النبيّ جشبه حزبه من اللحم، فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحف ثم قال: كلوا بسم الله.

فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما نرى إلّا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسقِ القوم يا عليّ، فجتّهم بذلك العسّ، فشربوا منه حتّى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منه ليشرب مثله.

فلما أراد النبيّ أن يكلمهم بدّره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم، ولم يكلمهم النبيّ.

فلما كان الغد فقال: يا عليّ، إنّ هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا مثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لي.

ففعلت ثم جمعتهم. ثم دعاني بالطعام فقرّبه ففعل به كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلم النبيّ فقال:

يا بني عبدالمطلب، إنّني والله- ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إنّني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على أمرى هذا؟

فقلت- وأنا أحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً - أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي فقال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعليّ.

ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل» (١).

فأنت ترى أنه دعا إلى توحيد الله وإلى رسالته وإلى الإمامه والخلافه من بعده لعلّ، منذ اليوم الأوّل من دعوته العليّيه. . . .

من أحاديث الوصيه

وقال صلّى الله عليه وآله في حديث له مع سلمان:

«يا سلمان، من كان وصي موسى؟»

قال: يوشع بن نون.

قال صلّى الله عليه وآله: فإن وصي ووارثي عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢).

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل، فلو كان كاذباً في روايته فهو أمر لا يعنينا، بل يعنى اولئك الذين يتبعون إماماً كاذباً، لكنّ الحديث ليس كاذباً، بل إن القوم يحاولون التهرّب من الحقيقه التي هي كالشمس في رابعه النهار، فالحديث صحيح، والنبى صلّى الله عليه وآله-وتنفيذاً للخطة الإلهيه التي اتبعها في تركيز ثقافه وجود وصيّ بعده في الأذهان والتعريف به-جعل يكرّر هذا المعنى في مواضع ومناسبات مختلفه، ومن ذلك قوله:

«لكلّ نبىّ وصي ووارث، وإن عليّاً وصي ووارثي» (٣).

ص: ٣١٥

١-١) كنز العمال ١٣/١٣٣.

٢-٢) شواهد التنزيل ١/٩٩، مجمع الزوائد ٩/١١٣، فضائل الصحابه (احمد بن حنبل) ٢/٦١٥، المعجم الكبير ٦/٢٢١، ميزان الاعتدال ٤/٢٤٠، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١٠٣.

٣-٣) المعجم الكبير ٦/٢٢١، وتاريخ مدينه دمشق ٤٢/٣٩٢، ومناقب عليّ بن أبي طالب (ابن مردويه): ١٠٣، فتح الباري ٨/١١٤.

وأخرج أحمد والطبراني قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«يا فاطمه، نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك» (١).

وكذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«إن وصيي وموضع سرّي وخير من أترك بعدى ويقضى ديني على بن أبي طالب».

رواه الطبراني وابن كثير والهيثمي صاحب مجمع الزوائد (٢).

وَذُرِّيَّهُ رَسُولَ اللَّهِ

إشاره

ويقع الكلام في هذه الجملة حول الأمور التاليه:

١- معنى الذريه لغه وعرفاً.

٢- كيف صار الأئمه عليهم السلام ذريه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟

٣- لماذا أضيف «الذريه» إلى «رسول الله» و «الأوصياء» إلى «نبي الله»؟

٤- لماذا استخدم لفظ «ذريه» دون «أولاد»؟

«الذريه» لغه

قال ابن فارس:

«ذرّ أصل واحد يدلّ على لطافه وانتشار، ومن ذلك الذرّ: صغار النمل،

ص: ٣١٦

١- (١) أمالي الصدوق: ١٥٥، [١] الطرائف: ١٣٤، [٢] بحار الأنوار ٣٧/٤٢، [٣] مجمع الزوائد ٩/١٦٦، ينابيع الموده ١/٢٤١. [٤]

٢- (٢) المعجم الكبير ٦/٢٢١، فتح الباري ٨/٩١٤، تهذيب التهذيب ٣/٩١، شواهد التنزيل ١/٩٨، كنز العمال ١١/٦١٠.

الواحد ذرّه . . . ومن الباب ذرّت الشمس ذروراً إذا طلعت، وهو ضوء لطيف منتشر» (١).

وهو كلام ظريف يتذوّقه أهل الدقه، مما يعطينا خصوصيتين:

الأولى: اللطافه والصّغر.

الثانية: الانتشار.

أقول: المعنى الذى تشتمل عليه كلمه الذريه، لا تعطيه كلمه الأولاد، مهما بدت الكلمتان مترادفتين، وهو ما أوضحه الراغب فى مفرداته بما نصّه:

«الذريّه أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان يقع على الصّغار والكبار معاً فى التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع. قال تعالى: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» ٢.

وقال: «ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ» ٣.

وقال: «إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» ٤.

فالذريّه-بناءً على ذلك-أخصّ من الأولاد.

كما أن الظاهر تبادل الأولاد مع الفصل من لفظ «الذريّه»، وكلّما زادت الفاصله وجد المصداق تطابقاً أكثر.

فظهر أخصّيّه «الذريّه» من «الأولاد» من جهتين.

والظاهر أنه لا يعتبر فى «الذريّه» صغر السنّ، فمن الممكن أن يعمر الحفيد

ص: ٣١٧

أكثر من جدّه، لأن وجود الفصل بينهما هو المصحح لإطلاق «الذريّه» عليه، ومن هنا قال الراغب:

وإن كان يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف.

الأئمه أولاد رسول الله وذريته

وعلى أيّه حال، فإنه لا ريب في أنّ الأئمه الطاهرين ذريّه رسول الله، كما يشهد به ما رواه الرازي وسيأتي.

وأما الشواهد على كونهم أولاده وأبنائه، فلا تحصى ومن ذلك: قضيه المباهله: قال الله تعالى:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» ١.

قال الزمخشري: «وروى أنهم لمّا دعاهم إلى المباهله قالوا: حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب-وكان ذا رأيهم-: يا عبدالمسيح! ما ترى؟»

فقال: والله لقد عرفتم-يا معشر النصارى- أنّ محمداً نبى مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكنّ، فإن أبيتتم إلّا إلف دينكم والإقامه على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمه تمشى خلفه وعلّى خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إننى لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراننى إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم! رأينا أن لا نباهلك، وأن نفرّك على دينك ونثبت على ديننا.

قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا.

قال: فإننى أناجزكم.

قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقه، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، على أن تؤدى إليك كلّ عام ألفى حله، ألف فى صفر وألف فى رجب، وثلاثين درعاً عاديه من حديد.

فصالحهم على ذلك، وقال: والذى نفسى بيده، إن الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردهً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا (١).

والأحاديث فى أن:

الحسن والحسين ابنائى... (٢).

وكذا:

ص: ٣١٩

١- (١) الكشاف ١/٣٦٩. [١]

٢- (٢) المستدرک على الصحيحين ٣/١٨١، بحار الأنوار ٣٣/١٨٤. [٢]

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة ولداي... (١).

كثيره جداً...

الإمام الكاظم وهارون

وفى كتاب الإحتجاج فى حديثٍ قال هارون للإمام موسى بن جعفر عليه السّلام:

لِمَ جَوّزتم للعامة والخاصّه أن ينسبوكم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، ويقولوا لكم: يا بنى رسول الله، وأنتم بنو عليّ، وإنّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمه إنّما هى وعاء، والنبيّ جدّكم من قبل أمّكم.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أنّ النبيّ نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟

قال: سبحان الله، ولم لا أجبه، بل أفخر على العرب والعجم وقريش بذلك؟

فقلت له: لكنّه لا يخطب إليّ ولا أزوجه.

فقال: ولم؟

فقلت: لأنّه ولدنى ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى! ثمّ قال: كيف قلت إنّ ذريّه النبيّ والنبيّ لم يعقب، وإنّما يعقب الذكر لا الأنثى، وأنتم ولد الإبنه ولا يكون ولدها عقبا له؟

فقلت: أسألك بحقّ القرابه والقبر ومن فيه، إلّا أعفيتنى عن هذه المسأله.

فقال: لا أو تخبرنى بحجّتكم فيه يا ولد على! وأنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا أنهى إليّ، ولست أعفيك فى كلّ ما سألتك عنه، حتّى تأتيني فيه بحجّه

ص: ٣٢٠

من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد على أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلثاويله عندكم، واحتججتكم بقوله عز وجل: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» واستغثتكم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ» من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنما أحلقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمنا فاطمه.

أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» ولم يدع أحد أنه أدخله النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند مباهله النصارى إلما على بن أبي طالب عليه السلام وفاطمه، والحسن والحسين؛ أبناءنا: الحسن والحسين، ونسائنا: فاطمه، وأنفسنا: علي بن أبي طالب عليه السلام.

على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: «يا محمد إن هذه

لهي المواساه من على» . قال: «لأنه منى وأنا منه» . فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على، فكان كما مدح الله عز وجل به خليفه عليه السلام إذ يقول: «قَالُوا سَجِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» إِنَّا نَفْتَخِرُ بِقَوْلِ جِبْرِئِيلَ أَنَّهُ مِنَّا.

فقال: أحسنت يا موسى! . . .» (١).

إباء النواصب عن قبول الحقيقة

ولكنّ النواصب لا يتحملون هذه الحقيقة، فقد روى الشيخ الكليني عن أبي الجارود أنه قال له الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

يا أبا الجارود! ما يقولون لكم في الحسن والحسين؟

قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأى شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم عليهما السلام: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى» .

فجعل عيسى بن مريم من ذريته نوح عليه السلام.

قال: فأى شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنه من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فأى شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: «فَقُلْ»

ص: ٣٢٢

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» .

قال: فأى شىء قالوا؟

قلت: قالوا: قد يكون فى كلام العرب «أبناء رجل» و آخر يقول: «أبنائنا» .

قال: فقال أبو جعفر عليه السّلام: يا أبا الجارود! لأعطينكها من كتاب الله جلّ و تعالى، إنهما من صلب رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يردها إلّا الكافر.

قلت: و أين ذلك جعلت فداك؟

قال: من حيث قال الله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ» ١ الآية . . . إلى أن انتهى إلى قوله تبارك و تعالى: «وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْنَابِكُمْ» فسلهم يا أبا الجارود! هل كان يحلّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا و فجروا، و إن قالوا: لا، فهما ابناه لصلبه (١).

فضيّه الحجاج مع يحيى بن يعمر

وروى الفخر الرازى بذيّل قوله تعالى:

«ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» ٣.

عن الشعبى قال: كنت عند الحجاج، فأتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلاً بالحديد، فقال له الحجاج:

أنت زعمت أن الحسن و الحسين من ذريّه رسول الله؟

ص: ٣٢٣

فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأينى بها واضحه بينه من كتاب الله أو لأقطعنك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها واضحه بينه من كتاب الله يا حجاج!

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج!

فقال له: ولا تأينى بهذه الآية: «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» ؟ !

فقال: آتيك بها واضحه من كتاب الله وهو قوله: «وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ» إلى قوله: «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ» فمن كان أبو عيسى قد ألحق بذريه نوح؟

قال: فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كأنى لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله.

حلوا وثاقه وأعطوه من المال كذا (١).

أقول:

وكان الحجاج قد تعلم هذا الاعتذار من عمر بن الخطاب، فإنه أنكر موت النبي صلى الله عليه وآله وجعل يهدد من قال ذلك بالقتل، فلما جاء أبو بكر وقرأ الآية المباركة:

«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» ٢.

سكت عمر وقال:

كأنى لم أسمع هذه الآية (٢).

ص: ٣٢٤

١-١) تفسير الرازى ٢/١٩٤.

٢-٣) شرح نهج البلاغه ١٢/١٩٥، الدرر لابن عبد البر: ٢٧٢، [١] الصراط المستقيم ٣/١٨، [٢] شرح الأخبار ١/١٤٦.

إضافه «الذريّه» إلى «رسول الله»

وفى إضافه «الذريّه» إلى «الرساله» إشاره إلى أن الأئمه عليهم السّلام هم السبب لبقاء وانتشار الرساله المحمّديه، لأن الدين الإسلامى خاتمه الأديان، وهو الدين الباقي إلى يوم القيامه، والنبىّ صلّى الله عليه وآله لم يكتب له البقاء، فلا بدّ وأن يكون للرساله الإسلاميه من حمله ينتشرون فى البلاد ويبلّغون الرساله إلى الناس، وقد عرفت تقوّم لفظ «الذريّه» ب «الانتشار» ، فناسب أن يأتى هذا اللفظ دون الأولاد والأبناء، وأن يكون مضافاً إلى «الرساله» دون «النبوه» ، للفرق الواضح بينهما، وهو أن:

كلّ رسول نبىّ وليس كلّ برسول (١).

وفعلآ فإنّ الأئمه عليهم السّلام انتشروا، وأولادهم وذريّاتهم انتشروا فى البلاد، وبواسطتهم بلغت الناس معالم الدين الشّريف ومعارفه وأحكامه، وكان كلّ واحدٍ منهم نجماً يهتدى به وعلماً يسترشد إلى الحق والصراط المستقيم.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٣٢٥

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاهِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَقَرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادَةِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٣٢٧

«الدعاة» جمع «الداعي» كالمهداه جمع الهادي والرواه جمع الراوي، وهكذا.

يُفهم من هذه الفقرة أمران:

الأول: إن مقام الداعويّه إلى الله من خصائص الأئمة عليهم السّلام في أي زمان، وليس لأحدٍ غيرهم حظٌّ في ذلك إلّا منهم. فهم الذين شهدت الوقائع والأحداث بأنهم قد أنقذوا الإسلام وأبناءه من الضلال والانحراف.

والثاني: إنّ الأئمة لم يدعوا الناس إلى أنفسهم دون الله، ولم يحدّثنا التاريخ أن ذلك قد بدر منهم أبداً.

والظاهر أنّ هذه الجملة إشارة إلى قوله تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» ١.

فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام أنه قال في هذه الآية:

ذاك رسول الله وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما (١).

وعن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله:

ص: ٣٢٩

إِنَّ عَلِيًّا بَابُ الْهُدَى بَعْدَى وَالِدَاعِي إِلَى رَبِّي، وَهُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...» ١.

الأئمة هم الدعاة إلى الله

ولا ريب أن الذين اتبعوه وكانوا الدعاة إلى الله من بعده علي بصيره هم علي وأولاده المعصومون، لأن جميع ما اعتبر شرطاً أو وصفاً في الداعي إلى الله فهو موجود فيهم دون غيرهم، فالأمور التي اشتملت عليها الآيتان المذكورتان، وهي: البصيره والعمل الصالح واتباع رسول الله، ما اجتمعت إلّا في أمير المؤمنين والأئمة من بعده، ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام في الآية:

يعني عليّاً، أوّل من اتّبعه علي الإيمان به والتصديق له بما جاء به من عند الله، من الأمة التي بعث فيها ومنها وإليها، قبل الخلق، ممن لم يشرك بالله قط، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك (١).

ومن كان مثلهم عليهم السلام في البصيره؟ وقد قال الراغب في معنى الكلمه في الآية: أي علي معرفه وتحقق (٢).

وكذا في الأعمال الصالحات، فإنه ما من آية نزلت وفيها: الذين آمنوا وعملوا الصالحات... إلّا وعلي وأبناؤه علي رأسهم...

لقد قام الأئمة الأطهار عليهم السلام بواجب الدعوه إلى الله بأحسن الوجوه وأفضل الطرق، دعوا كلاً من الناس حسب إدراكه ومستوى تفكيره، فكان خطابهم للعالم يختلف عن خطابهم للجاهل، كانوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ص: ٣٣٠

١-٢ الكافي ٥/١٣ [١]

٢-٣ المفردات في غريب القرآن: ١٢٧. [٢]

إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم (١).

فمخاطبتهم للناس تتلاءم وسعته عقولهم وإدراكهم، وبمقدار استيعاب الفرد يفتحون له نافذةً للهدايه إلى الله جلّ وعلا، فمرّةً عن طريق الاستدلال بآيه قرآنيّه، ومرّه بطريقٍ عقليّ، وآخـر بالبرهان، وقد يتطلب هدايه البعض تقديم العون المادّي، وتأمين احتياجاته المعيشيه. فهم عليهم السّلام أدرى بالطريقه الأكثر تأثيراً لهدايه أفراد المجتمع.

وقد تحمّلوا سلام الله عليهم أنواع الأذى والمشاق في هذا الطريق الشائك، وصبروا على طول المحنه، وقابلوا الإساءات بالإحسان إلى الحدّ الذي كانوا يحلمون عمن يتناول عليهم ويرأفون بمن كان يكيل لهم التهم والسباب في الطرق والأسواق من الجهله، ما كان يدفعهم إلى منع أصحابهم الذين كانوا يهّمون لردع هؤلاء المسيئين باستخدام القوّه.

من قضايا الأئمّه في سبيل الدعوه إلى الله

عن الفضل بن يونس قال: كان ابن أبي العوجاء من تلامذه الحسن البصرى فانحرف عن التوحيد، ف قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا- أصل له ولا- حقيقه. فقال: إن صاحبي كان مخلّطاً، كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه. قال: ودخل مكه تمرداً وإنكاراً على من يحج، وكان يكره العلماء مسائلته إياهم ومجالسته لهم لخبث لسانه وفساد سريره، فأتى جعفر بن محمّد عليه السّلام فجلس إليه في جماعه من نظرائه.

ثم قال له: يا أبا عبدالله، إن المجالس أمانات ولا بدّ لكلّ من به سعال أن يسعل

ص: ٣٣١

١- (١) الكافي ١/٢٣، [١] أمالي الصّدوق: ٥٠٤. [٢]

أفتأذن لي في الكلام؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: تكلم بما شئت.

فقال: إلى كم تدوسون هذا اليبدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر وتهرولون هرولة البعير إذا نفر، إن من فكّر في الأمر قد علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذى نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسسه ونظامه.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق فلم يستعذبه، صار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكه ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله تعالى به خلقه ليختبر به طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محلّ أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبه من رضوانه وطريق يؤدى إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمه والجلال، خلقه الله تعالى قبل دخول الأرض بألفى عام وأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصّور.

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت يا أبا عبدالله فأحلت على غائب.

فقال: وبلك، وكيف يكون غائباً من هو في خلقه شاهد وإلهم أقرب من جبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم، وإنما المخلوق الذى إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري فى المكان الذى صار إليه ما حدث فى المكان الذى كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان، فإنه لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان، والذى بعثه بالآيات المحكمه والبراهين الواضحه وأيده بنصره واختاره لتبليغ رسالاته صدقنا قوله بأن ربّه بعثه وكلمه.

ص: ٣٣٢

فقام عنه ابن أبي العوجاء فقال لأصحابه: من ألقاني في بحر هذا، سألتكم أن تلتمسوا إلى خمره فألقيتموني إلى جمره.

قالوا: ما كنت في مجلسه إلا حقيراً؟

قال: إنه ابن من حلق رؤوس من ترون» (١).

*وتلك قضيه أخرى له رواها الإمام الحسن بن علي بن محمد العسكري عليهم السلام في قول الله عز وجل:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

فقال: الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه، تقول: بسم الله أي أستعين على أمورى كلها بالله الذي لا تحقُّ العباده إلَّاه، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعى.

وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر على المجادلون وحيروني، فقال له: يا عبدالله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينه تنجيك ولا سباحه تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث (٢).

*وتلك قضيه الإمام الحسن عليه السلام مع الرجل الشامي، فقد روى ابن شهر آشوب السروي:

ص: ٣٣٣

١- (١) علل الشرائع ٢/٤٠٣. [١]

٢- (٢) كتاب التوحيد: ٢٣١، معاني الأخبار: ٤.

ومن حلمه ما روى المبرّد وابن عائشه أنّ شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه السّلام فسلمّ عليه وضحك فقال: أيّها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلمك شبّهت؛ فلو استعبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً.

فلمّا سمع الرّجل كلامه، بكى ثمّ قال: أشهد أنّك خليفه الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، كنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلّى والآن أنت أحبّ خلق الله إلّى. وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم (١).

*وتلك كلماتهم في حلم الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام:

قال الخطيب البغدادي: وكان سخياً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّه فيها ألف دينار (٢).

وقال ابن الجوزي: كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال (٣).

وقال ابن حجر المكي: سمى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه (٤).

ص: ٣٣٤

١-١ (١) مناقب آل أبي طالب ٣/١٨٤. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ بغداد ١٤/٢٩. [٢]

٣-٣ (٣) صفه الصفوه ٢/١٨٤. [٣]

٤-٤ (٤) الصواعق المحرقة: ١٢١.

وقال ابن طلحه الشافعي: ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعيَ كاظماً، وكان يجازى المسئئ بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه. . . (١).

ومن قبيل هذه الإحتجاجات الدالّة على إحاطتهم بالعلوم، والقضايا الدالّة على سعه حلمهم، كثير، أوردته كتب الحديث والتاريخ، فكانت طرق الأئمّة عليهم السّلام في هداية أفراد المجتمع تختلف حسب تركيبتهم الذهنية والاجتماعية والمؤثرات النفسيّة والعقليّة التي يتعاملون معها.

ومن شاء فليراجع كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، وأصول الكافي والاحتجاج للطبرسي وغيرها من المصادر.

ومنهُ يُعلم مقام وشأنيّه هؤلاء الأئمّة المطهّرين عليهم السّلام في دعوهِ المجتمعات إلى الله سبحانه وتعالى، وهدايتها وسوقها في الجاده الوسطى والسبيل الحق، وإلّا، فإنّ تحمّل الكلام البذيء والصبر على الاعتداءات والإساءات من قبل الجهله السفهاء والمغفّلين، ليس بمقدور كلّ شخصٍ غيرهم عليهم السّلام، وهم في محلّ المقدرة والاستطاعه على ردّها وكسب الجوله لصالحهم، إلّا أنّهم آثروا الخلق الذي أَرادَهُ اللهُ لهم وارتضاه منهم، حتى أثمر هذا الصبر عن هداية أولئك المعتدين المغفّلين الذين تطاولوا عليهم.

فالمدرسه التي أسّسها الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام تجاوزت حدود هداية الأفراد، لتتّسع إلى مستوى هداية الامم والمجتمعات على اختلاف مشاربها ومعتقداتها.

فالآلاف الأربعة من العلماء الذين كانوا يأوون إلى منبره عليه السّلام هم من

ص: ٣٣٥

(١ - ١) مطالب السئول: ٤٤٧.

جنسياتٍ مختلفه ومناطق متفاوته من بقاع العالم الإسلامى آنذاك، وكان كل شخص من هؤلاء العلماء التلامذه يرجع إلى قومه حاملاً فكر وتعاليم وعقائد أهل البيت عليهم السلام، ولو أن الأعداء المتسلطين آنذاك كانوا قد أمهلوا الأئمه لكانت الأمور على غير ما عليه الآن. ومن هنا يتبين سبب بقاء ودوام تعاليمهم عبر القرون المتطاولة من التاريخ، وكذلك بسبب ما كانوا يحملونه بين جوانحهم من خصال وخصوصيات النبى الأعظم صلى الله عليه وآله كامله عدا النبوه بما جاءه من الخطاب الإلهى:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» ١.

فهم وورثته فى كل المهام الرساليه وهو خاتم الأنبياء.

أساليب الأئمه فى دعوه الناس

وتتلخص اساليب وطرق دعوه الناس حسبما نستفيده من القرآن الكريم فى ثلاثه طرق:

١- بالحكمه

٢- بالموعظه

٣- بالمجادله بالتى هى أحسن

وكلها وردت فى قوله تعالى:

«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» ٢.

ص: ٣٣٦

وقد استخدم الأئمة عليهم السّلام كلّ واحدٍ من هذه الأساليب الثلاثة في موضعه وبحسب ما يقتضيه الموقف، كما كان حال رسول الله صلّى الله عليه وآله في ذلك، وكيف لا يكونون كذلك وقد اختصوا بمقام «ومن أتبعني» في قوله تعالى:

«أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» ١.

كما جاء في تفسير الآيه عن أبي جعفر عليه السّلام:

ذاك رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما عليهم السّلام» (١).

إنهم الأئمة وأهل البصائر الذين تفتح بفضل نورهم وبركتهم بصائر الناس، فهم سبب كلّ هدايه في الوجود، وإليهم تنتهي دعوته كلّ عالم ومفكر إلى الحق والهدى، فالدعوة الحسنى منهم، بما يجعلنا نسجل الولاء لهم والبراءة من كلّ من سوّلت له نفسه تنصيبها إماماً يدعو لها.

كتاب الحجّاج إلى علماء عصره في القضاء والقدر

ومما يشهد برجوع الهدايات في الإسلام إلى الأئمة عليهم السّلام:

ما روى من أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي كتب إلى الحسن البصري، وإلى عمرو بن عبيد، وإلى واصل بن عطاء، وإلى عامر الشعبي، أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر.

فكتب إليه الحسن البصري: إنّ أحسن ما انتهى إلى ما سمعت أمير المؤمنين

ص: ٣٣٧

علی بن أبی طالب علیه السّلام أنه قال: أتظنُّ أنّ الذی نهاک دهاک؟ وإنّما دهاک أسفلک وأعلاک، واللّه بریء من ذاک.

وکتب إليه عمرو بن عبید: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علی بن أبی طالب علیه السّلام: لو کان الزور فی الأصل محتوماً کان المزور فی القصاص مظلوماً.

وکتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علی بن أبی طالب علیه السّلام: أیدلّک علی الطریق ویأخذ علیک المضیق؟

وکتب إليه الشعبيّ: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علی بن أبی طالب علیه السّلام: کلّ ما استغفرت اللّه منه فهو منک، وکلّ ما حمدت اللّه علیه فهو منه.

فلما وصلت کتبهم إلى الحجاج ووقف علیها قال: لقد أخذوها من عين صافیه (١).

و الأدلّاء علی مَرَضاهِ اللّهِ

«الدلیل» نفه

«الأدلّاء» جمع «الدلیل» کالأخلاء جمع الخلیل ونحوه.

قال الراغب:

الدلالة ما يتوصّل به إلى معرفه الشیء، کدلاله الألفاظ علی المعنی ودلاله

ص: ٣٣٨

١- (١) الطرائف ٢/٣٢٩، [١] کنز الفوائد ١/٣٦٤، [٢] متشابه القرآن ١/٢٠١.

وقال الفيومى:

الدلالة-بكسر الدال وفتحها-هو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، واسم الفاعل: دال، ودليل، وهو المرشد والكاشف (٢).
و «المرضات» مصدر من: رضى يرضى، وهو خلاف السخط، ورضى الله عن العبد أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهاياً عن نهيه.

آيات فى «مرضات الله»

إن الأئمة الطاهرين هم الأدلاء للناس على ما يرضى الله ورسوله، ولو أن الإنسان يتقضى هداهم ويطبق تعاليمهم التربويه لبلغ مرتبه رضا الله لا محاله، وهو ما دعينا إلى تحصيله والوصول إليه، إذ قال تعالى:

«وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ» ٣.

وقد أفادت الآيه أن كسب رضا الله بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه هو شرط الإيمان، والأئمة عليهم السلام هم الأدلاء على معرفه الله ورسوله، ومعرفه ما أتى به الرسول ونهى عنه، وهم الأدلاء على العباده والطاعة، وفى ذلك رضى الله الذى هو أكبر النعم والتوفيقات الإلهيه، كما قال تعالى:

«وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ٤.

ص: ٣٣٩

١-١) المفردات فى غريب القرآن: ١٧١. [١]

٢-٢) المصباح المنير: ١٩٩. [٢]

وقد وصف رضوان الله ومرضاته بالفوز العظيم في آية أخرى:

«رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ١.

وهذا المقام السامي والشأن الرفيع لا يحصل إلا بدلالة الأئمة الطاهرين ولا يكون إلا لمن تبعهم واهتدى بهداهم.

ويشهد بذلك أيضاً ما ورد بذييل قوله تعالى:

«رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ٢.

من أن «حزب الله» هم أمير المؤمنين وأتباعه، وقد جاء وصفهم بذلك في أحاديث الفريقين، ففي البرهان:

عن علي بن إبراهيم: قوله تعالى «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» يعني الأئمة... .

وعن أبي نعيم الإصفهاني بإسناده عن علي قال قال سلمان: ما طلعتُ علي رسول الله إلا وضرب بين كتفي وقال: يا سلمان، هذا وحزبه هم المفلحون (١).

وعلى الجملة، فإن بلوغ هذه المرتبة يتطلب الإطاعة والاتباع للنبي وآله الأطهار، وإلا

«فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» ٤.

وعاقبه الفاسقين النار، قال تعالى:

«وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» ٥.

ص: ٣٤٠

وهذا ما يعكس جوهر دور الأئمة عليهم السّلام وتأثيره على أصحاب النفوس المستعدّه لأن تشملهم هدايتهم وتتوجه إليهم عنايتهم، فيخرجون من حضيض الفسق والتردى في ظلمات المعاصي، إلى مستوى رضا البارئ جلّ وعلا، ولا ينال ذلك إلا من سلّم لهم تسليماً، فإنّه من هذه المرحلة تبدأ عمليّة الإرتقاء إلى المراحل العاليه، حتى يكون أهلاً لأن يُنادى بقوله تعالى:

«يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» ١.

ثم يكون ممّن وصف حاله في قوله عزّ وجلّ:

«فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» ٢.

مبيت أمير المؤمنين ابتغاء مرضات الله

وحياه أئمتنا عليهم السّلام كلّها في مرضات الله، وقد وصف الله عزّ وجلّ مبيت مولانا أمير المؤمنين على فراش رسول الله في ليله هجرته بأنه كان ابتغاء مرضات الله، قال تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» ٣.

كما ذكر المفسّرون والمحدّثون من الفريقين:

عن علي بن الحسين عليه السّلام في قوله عزّ وجلّ: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» قال: نزلت في علي عليه السّلام حين بات على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله (١).

ص: ٣٤١

وعن سالم بن أبي الجعد يرفعه إلى أبي ذر رضى الله عنه: أن علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتاً ويغلق عليهم بابه ويتشاوروا في أمرهم، وأجلهم ثلاثة أيام، فإن توافق خمسه على قول واحد وأبى رجل منهم قتل ذلك الرجل، وإن توافقوا أربعة وأبى إثنان قتل الإثنان، فلما توافقوا جميعاً على رأى واحد، قال لهم على بن أبي طالب:

«إني أحب أن تسمعوا مني ما أقول لكم، فإن يكن حقاً فاقبلوه وإن يكن باطلاً فانكروه» .

قالوا: قل .

وذكر فضائله عليه السلام ويقولون بالموافقه وذكر عليه السلام في ذلك: «فهل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» لَمَا وَقَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْلَةَ الْفَرَّاشِ غَيْرِي؟ قالوا: لا (١) .

وروى السيد الرضى بإسناد مرفوع قال: قال ابن الكوا لأمير المؤمنين: أين كنت حيث ذكر الله نبيه وأبا بكر فقال: «ثانِي إثنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويلك يا ابن الكوا، كنت على فراش رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وقد خرج عليّ ريطته، فأقبلت قريش مع كل رجل منهم هراوه فيها شوكةا، فلم يبصروا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حيث خرج، فأقبلوا عليّ يضربونني بما في أيديهم حتى تنفط جسدى وصار مثل البيض، ثم انطلقوا

ص: ٣٤٢

(١-١) أمالي الطوسي: ٥٥١، [١] إرشاد القلوب ٢/٢٦٢، [٢] بحار الأنوار ٣١/٣٨٠. [٣]

يريدون قتلى، فقال بعضهم: لا تقتلوه الليله ولكن آخروه واطلبوا محمّداً.

قال: فأوثقوني بالحديد وجعلوني فى بيت واستوثقوا منى ومن الباب بقفل، فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتاً من جانب البيت، يقول: يا على، فسكن الوجع الذى كنت أجده وذهب الورم الذى كان فى جسدى، ثم سمعت صوتاً آخر، يقول: يا على، فإذا الحديد الذى فى رجلى قد تقطع، ثم سمعت صوتاً آخر يقول: يا على، فإذا الباب قد تساقط ما عليه وفتح، فقمتم وخرجت، وقد كانوا جاؤا بعجوز كمهأء لا تبصر ولا تنام تحرس الباب، فخرجت عليها وهى لا تعقل من النوم» (١).

وعن عمار بن ياسر، وذكر حديث مهاجره النبى صلّى الله عليه وآله إلى المدينه ومبيت أمير المؤمنين عليه السّلام على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أن قال.

فحدّثنا رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن.

وعن عمار بن ياسر—وذكر حديث مهاجره النبى صلّى الله عليه وآله إلى المدينه ومبيت أمير المؤمنين عليه السّلام على فراش رسول الله—فحدّثنا رسول الله ونحن معه بقباء عما أرادت قريش من المكر به، ومبيت على عليه السّلام على فراشه قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السّلام إنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ وكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما عبدای، ألا كنتما مثل ولى على؟ آخيت بينه وبين محمّد نبى فأثره الحياه على نفسه ثم ظلّ—أو قال: رقد—على فراشه يقيه بمهجته، إهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرائيل فجلس عند

ص: ٣٤٣

(١-١) بحار الأنوار ٣٦/٤٣ و ٤٤، [١] خصائص الأئمّه: ٥٨. [٢]

رأسه، وميكائيل عند رجله، وجعل جبرائيل عليه السلام يقول: **بِخِ بِيخٍ**، من مثلك يا ابن أبي طالب واللّه يباهى بك الملائكه؟ قال: فأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا كَانَ مِنْ مِيتَةٍ عَليِّ فَرَّاشَ رَسولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ إِتِنَاءً مَرَضَاتِ اللّهِ» ١.

نعم، كانت حياتهم في مرضات اللّه، وكانوا عالمين بما يوجب رضاه وسخطه، وإلّا ما كانوا الأدّاء على ذلك والمرشدين إليه.

الفرق بين «الداعي» و «الهادي» و «الدليل»

ومما ذكرنا ظهر الفرق بين «الدّعاء» و «الهداه» و «الأدّاء»، لأنّ الدّعاء بمعنى النداء، وليس فيه جهه الهدايه والدلاله، والهدايه وإن كان فيها دلالة إلا أنها أعمّ منها، لأنّ الدلالة كما قال الراغب:

ما يتوصّل به إلى المعرفة الشئ بحيث لا يبقى معها شكّ أو شبهه، كدلاله الألفاظ على المعاني... .

وإن كان مفهومها عامّاً من جهه أخرى، كما قال:

سواء كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنه حي (١).

الأئمه أدلاء في كلّ الأحوال

لكنّ الأئمه عليهم السلام أدلاء على مرضات اللّه في كلّ أحوالهم، في حال النطق أو السكوت، في حال القيام أو القعود، في حال كونهم في الحبس أو في

ص: ٣٤٤

حال الغيبه عن الأبصار. . . .

إن وجود الإمام دلالة على مرضاه الله، وهذا شأن من توفرت فيه ثلاثه جهات:

١- العلم بما يوجب رضا الله والقرب أو سخطه والبعد منه.

٢- كونه حائزاً لأعلى مراتب الرضا والقرب من الله.

٣- العصمه من الخطأ والسهو والنسيان.

وهذه الجهات لم تجتمع في أحدٍ إلّا في أئمة أهل البيت، فلا- جرم كانوا هم «الأدلاء على مرضات الله»، وهم المظاهر النامة لأسمائه الحسنی. . . . وكان أعداؤهم أئمة الضلال والقاده إلى الردى. . . . قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«إن الله خَلَقْنَا فَأَكْرَمَ خَلَقْنَا وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أَمْنَاءَ وَحَفِظْتَهُ وَخَزَّائِنَهُ عَلَى مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَجَعَلَ لَنَا أُضْدَاداً وَأَعْدَاءً، فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ وَكَتَبَ عَنَّا بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ، وَسَمَّى أُضْدَادَنَا وَأَعْدَاءَنَا فِي كِتَابِهِ وَكَتَبَ عَنَّا بِأَسْمَائِهِمْ وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ وَإِلَى عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ» (١).

وفي نصٍّ آخر يقول عليه السلام:

«نحن أصل كل خير، ومن فروعنا كل برّ، ومن البرّ التوحيد والصّلاه والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء ورحمه الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدونا أصل كل شر ومن فروعهم كل قبيح وفاحشه» (٢).

ص: ٣٤٥

١- ١) تفسير كنز الدقائق ١/٦١٢، [١] بحار الأنوار ٢٤/٣٠٢. [٢]

٢- ٢) بحار الأنوار ٢٤/٣٠٢. [٣]

«المستقر» هو الثابت والساكن بأمانٍ واطمئنان.

قال الزاغب:

قَرَّ فِي مَكَانٍ يَقَرُّ قَرَارًا، إِذَا ثَبِتَ ثُبُوتًا جَامِدًا (١).

أى: لا تطرأ عليه حالة الانتقال من مكان إلى آخر.

وقوله: «جامد» أى ليس مشتقاً من شىء ولا يقبل التغيير من هيئته إلى هيئته، فهو هو بنفسه.

ومن هنا عبر القرآن الكريم عن الآخرة بـ «دار القرار» لأن أهل الجنة لا يخرجون منها بل «هم فيها خالدون» قال تعالى فى وصف الآخرة:

«يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» ٢.

وكذلك، أهل النار لا يخرجون منها كما قال فى وصف النار:

«جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ» ٣.

إذن، فالشىء المستقر يقابله الشىء المتحرك الذى ليس له قرار.

ومن هذا الباب تقسيم الإيمان إلى قسمين:

١- الإيمان المستقر أى الثابت الذى حكاه القرآن الكريم:

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» ٤.

ص: ٣٤٦

٢-الإيمان غير الثابت، الذى وصفته الروايات ب «المستودع». ومصادقه فى منطوق الروايه التاليه:

«... يصبح الرجل على شريعته من أمرنا، ويمسى وقد خرج منها، ويُسمى على شريعته من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها» (١).

من جانب آخر يأتى الاستقرار على نوعين:

١-الاستقرار الجسمى: وهو ما يرتبط بحركه البدن، كأن يقصد الانسان فى حركته الرجوع إلى وطنه أو مقرّه الأصيلى، حتى إذا ما وصل كَنّ واستقرّ.

٢-الاستقرار الروحى: وهو اطمئنان الإنسان روحياً وفكرياً تجاه أمر أو قضيه معينه، بحيث لا يتزحزح ولا يضطرب ولا يتغير حاله تجاهها.

ما المقصود «بأمر الله» ؟

ويفسّر الأمر-من خلال الكتب اللغويه والعلميه-بمعنيين:

١-الأمر الذى يقابل النهى.

٢-الإراد.

فكونهم عليهم السّلام «المستقرّين فى أمر الله» على المعنى الأوّل، هو أنهم مطيعون لأحكامه ومسلّمون لأوامره ونواهيه، فهم ثابتون على الطاعه والعبوديه له، فلا يخالفون ولا يزيدون ولا ينقصون، فهم ثابتون على أوامر الله وكذا نواهيه، كما لو قيل عن زيد: إنه ثابت فى أمر والده، فإن المقصود كونه مسلماً تمام التسليم والاستسلام أمام والده فى أوامره ونواهيه، لا يتوانى فى تنفيذها كامله عن طوع ورغبه.

ص: ٣٤٧

١- (١) كتاب الغيبه للنعمانى: ٢١٤، مسند أحمد بن حنبل ٣/٤٥٣، صحيح مسلم ١/٧٦.

إلّا أن هذا المعنى فى الأئمة عليهم السّلام أسمى من ذلك؛ كما سيأتى توضيحه تفصيلاً فى شرح «والمظهرين لأمر الله ونهيه» إن شاء الله عزّ وجلّ.

لكنّ ما يستدعى الدقّه فى جملة «والمستقرّين فى أمر الله» هو تعديده مادّه الاستقرار ب «فى» الموضوعه فى اللغه للظرفيه، فالأئمة مستقرّون فى أمر الله، لا- يزولون عنه ولا يتحوّلون، وهذا يقتضى أن يكون المراد هو المعنى الثانى للأمر أعنى: الإراده، فىكون المعنى: إنّ الأئمة ثابتون فى إرادته الله. وبعبارة أخرى: هم مظاهر الإراده الربّانيه، فكأنّ إرادته سبحانه ظرفُ والأئمة مستقرّون فى هذا الظرف؛ ثابتون فيه ولا ينفكّون عنه. وحاصل ذلك: محو إرادتهم فى الإراده الربّانيه، وأنهم لا يشاءون إلّما شاء الله. . . وأين هذا المعنى من ذاك!

وقد تكرر ذكر هذا المفهوم فى الزيارة الجامعه، فسيأتى فيها: «العاملون بإرادته» .

كما ورد فى غير واحدٍ من الأدعيه والزيارات المأثوره عنهم، كالزياره الرجيبه، إذ جاء فيها:

«إرادته الربّ فى مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم (١)».

وفى زياره الإمام الحجه عليه السّلام، نقول:

«ودليل إرادته» (٢).

ص: ٣٤٨

١- ١) الكافى ٤/٥٧٧. [١]

٢- ٢) المزار لابن المشهدى: ٥٦٩، بحار الأنوار ٩١/٢. [٢]

«التمام» لغة

«التمام» هو البالغ حدَّ النهاية، قال الراغب:

تمام الشيء: انتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه (١).

وهذا التعبير أدقُّ من تفسير بعضهم «التمام» بـ «الكمال»، لأنَّ كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمل ذلك، فمعناه: حصل ما هو الغرض منه (٢).

فمثال التمام: أن يمتلئ الإناء بالماء، بأن لا يبقى فيه فراغ.

ومثال الكمال: أن تصل الثمرة إلى حدِّ النضج.

وفي مقابل التمام والكمال: النقص.

«المحبَّة» لغة

و «المحبَّة» معناها واضح، وهو متقوِّم بالمحبِّ والمحبوب، فما معنى محبَّة الله؟

قال الطريحي: وأما محبَّة العبد لله تعالى، فحالها يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم وإيثار رضاه والاستيناس بذكره (٣).

وقال الراغب: محبَّة العبد له طلب الزلْفى لديه (٤).

ص: ٣٤٩

١-١) المفردات في غريب القرآن: ٧٥. [١]

٢-٢) المصدر: ٧٢٦. [٢]

٣-٣) مجمع البحرين ٢/٣١. [٣]

٤-٤) المفردات في غريب القرآن: ٢١٥. [٤]

أقول:

إنَّ المحبَّه محلَّها القلب، وهي على أوجه:

فقد تحبَّ الشخص أو الشيء للذِّه، وقد تحبَّه لنفعٍ يعود إليك منه، وقد تحبَّه لا لهذا وذاك، وإنما لشيء من الكمال موجودٍ فيه، كحبِّك للعالم لأجل العلم. . . .

محبَّه الأئمَّه لله غير معلَّه

ولقد كانت محبَّه الأئمَّه لله غير معلَّه، وقد امتلأت قلوبهم بمحبَّته ووصلت حدَّ التمام ولم يبق فيها مجالٌ لشيء آخر. . . .

لقد كانت محبَّتهم له كعبادتهم له، إذ قال أمير المؤمنين عليه السَّلام:

ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتكَ أهلاً للعباده فعبدتك (١).

لقد أخذ حبَّ الله بمجامع قلوبهم حتى قال الإمام السَّجاد زين العابدين:

. . . إلهي وسيدي، وعزَّتكَ وجلالك. . . لئن أدخلتني النار لأخبرنَّ أهل النار بحبِّي لك. . . (٢).

وقال عليه السَّلام:

«إلهي، لو قرنتني بالأصفاد، ومنعتني سبيك من بين الأَشهاد، ودللت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار، وحلت بيني وبين الأبرار، ما قطعت رجائي منك، وما صرفت تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبُّك من قلبي» (٣).

ص: ٣٥٠

[١-١] بحار الأنوار ١٧٦/٦٧. [١]

[٢-٢] الإقبال: ٧٥، [٢] البلد الأمين: ٢١٢. [٣]

[٣-٣] مصباح المتهجِّد: ٥٩١، [٤] إقبال الأعمال ١/١٦٧. [٥]

ثم إنَّ محبَّه سائر الناس لله إنما تعطى ثمرها ويظهر أثرها-وهو الزَّلْفَى لديه والقرب منه-بالعمل على كسب رضاه وإيثاره على هواه، وبالمداومه على تعظيمه وعبادته، والاستيناس بذكره، فإنَّ المحبَّه أشبه شىء بالسَّلم في الوصول إلى المحبوب، فمن أراد ذلك وجب عليه أن يرتقى الدرجات ويتقدَّم شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى المرتبه التي تليق بحاله من القرب الإلهي.

يشترط تصديق المحبوب

لكنَّ ذلك لا يتحقَّق بالسير من طرف المحبِّ بل يشترط القبول والإقبال من طرف المحبوب أيضاً، ولولا- تصديق المحبوب لدعوى المحبِّ، وتوفيقه على التوجَّه إليه، وتأيسده في الحركة نحوه، لذهب سعى المحبِّ أدراج الرِّيح، ولذا ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ:

إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ أَوْ أَخَاهُ فَلْيَعْلَمْهُ (١).

وذلك، لأنَّه إذا أعلمه أحبَّه صاحبه، وإذا تحقَّق الحبُّ من الجانبين حصل المقصود وترتب الأثر المطلوب.

ومن هنا جاء في الخبر:

عن الأصْبَغ بن نباته قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السَّلام، فأتاه رجل فسلم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إنِّي والله لأحبُّك في الله وأحبُّيك في السرِّ كما أحبُّك في العلانيه، وأدين الله بولايتك في السرِّ كما أدين بها في العلانيه، ويبد أمير المؤمنين عليه السَّلام عود فظاطأ به رأسه ثم نكت بعوده في الأرض ساعه ثم رفع رأسه إليه فقال: إنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَدَّثَنِي بِأَلْفِ حَدِيثٍ لِكُلِّ

ص: ٣٥١

حديث ألف باب، وإن أرواح المؤمنين تلتقى في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. ويحك، لقد كذبت، فما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء.

قال: ثم دخل عليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين، إني أحببك في الله، وأحبيتك في السر كما أحبيتك في العلانية، وأدين الله بولايتك في السر كما أدين الله بها في العلانية قال: فنكت بعوده الثاني ثم رفع رأسه إليه فقال له: صدقت إن طينتنا طينه مخزونه أخذ الله ميثاقها من صلب آدم فلم يشد منها شاذ، ولا يدخل منها داخل من غيرها، إذهب واتخذ للفقير جلباباً (١).

وعليه، فإن دعوى الحب لأهل البيت لا تنتج النتيجة المطلوبه ما لم يُقابل بالتصديق من طرفهم بمحبتهم له، وحينئذ لا بد من أن نفكر في أن حبهم للأشخاص اعتباطي أو له شروط؟!

حديث الزايه وحب الله علناً

أما حبهم لله وحب الله لهم، هذا الحب المتبادل المنقطع النظير، فقد شهد به الله ورسوله، وشهد به أعداؤهم والمخالفون لهم أيضاً، ورووا الأحاديث المتواتره عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك

ومن تلك الأحاديث ما ورد في يوم خيبر، فإنه-بعد أن أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الزايه، فذهب بها ورجع منهزماً، ثم أعطاه عمر، فرجع منهزماً-قال في اليوم الثالث:

سأعطى الزايه غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كزاراً غير

ص: ٣٥٢

فرار، يفتح الله عليه يديه... .

فبات الناس طيبه أنفسهم أن الفتح يكون غداً، وكلُّ يريد أن يعطى الرايه ويرجو أن يكون الفتح على يده، فلما كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر، لكن النبي صلى الله عليه وآله دعا علياً، فقيل له: إنه أرمد، فأرسل إليه فأتى به، فبصق صلى الله عليه وآله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الرايه، ففتح الله على يديه (١).

نعم، لقد كانوا «تأمين في محبه الله» وعلى رأسهم أمير المؤمنين، وبه فسّر قوله تعالى «والقوم الذين يحبهم الله ويحبونه» في الآية المباركه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» ٢.

ففي مجمع البيان: قيل: هم أمير المؤمنين على وأصحابه، حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين. وروى ذلك عن عمّار وحذيفه وابن عباس، وهو المروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله.

قال: وروى عن علي أنه قال يوم البصره: والله، ما قوتل أهل هذه الآيه حتى اليوم، وتلا الآية المذكوره (٢).

وزعم بعض المفسرين من أهل السنه أنها في أبي بكر، لحره المرتدين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

ص: ٣٥٣

١ - ١) هذا مجمل حديث الرايه، [١] وهو في الصحيحين والسنن والمسائيد وسائر كتب الحديث والسيره وتراجم الصحابه، ولنا فيه رساله موجزه منتشره في (سلسله إعرف الحق تعرف أهله) الرقم (١٧).

٢ - ٣) الإفصاح في الإمامه: ١٢٥، [٢] مناقب آل أبي طالب ٣/٤٨، [٣] تفسير العياشى ٢/٧٩. [٤]

٣ - ٤) تفسير الطبرى ٦/٣٨٢، القرطبي ٦/٢٢٠، [٥] الرازى ١٢/١٨.

وقد فندنا هذه المزعمه فى بحوثنا وأثبتنا نزولها فى أمير المؤمنين والأئمه الطاهرين والحواريين من أصحابهم، لأنّ عليّاً عليه السلام هو الذى «يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله» فى حديث خير، وليس أبا بكر ولا غيره.

ومن الشواهد عليه حديث الطير المشوى... .

فإنّ النبى صلّى الله عليه وآله أتى بطائر مشوى ليأكله، فدعا قائلاً: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك وإلىّ يأكل معى من هذا الطائر فجاء على ودقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟ قال: على، فقال: النبى على حاجه فانصرف، وكان رسول الله ما يزال يدعو، فجاء على فدقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟

قال: على، قال: إن رسول الله على حاجه... .

وأخرج النسائى: أن أبا بكر وعمر وعثمان أتوا، فردّهم أنس.

لكنّ عليّاً جاء للمرّه الثالثه، ورفع صوته، فقال رسول الله: أدخله، فدخل على، فقال رسول الله: لقد سألت الله ثلاثاً أن يأتنى بأحبّ الخلق إليه وإلىّ، فما أبطأ لك يا على؟ فقال على: وأنا يا رسول الله، لقد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّنى أنس، فقال رسول الله: يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: أحببت أن تدرك الدعوه رجلاً من قومى... (١).

ص: ٣٥٤

١- ١) هذا مجمل حديث الطير، وله أسانيد معتبره فى الأسفار المهمه المعتمده لأهل السنّه، ولنا فيه رساله مفرده منتشره فى سلسله (إعرف الحق تعرف أهله) الرقم (٣٤). ومن شاء التفصيل فليرجع إلى (نفحات الأزهار فى خلاصه عبقات الأنوار) الجزء: ١٣. [١]

ولعلّ السّرّ في إضافه «المحبه» إلى لفظ الجلاله «الله» دون غيره من أسمائه عزّ وجلّ، هو أنّ لفظ الجلاله علم للذات المستجمعه لجميع صفات الكمال كما قال العلماء، ولما كان الأئمّه عليهم السّلام هم «التّامين» في محبّه المحبوب المستجمع لجميع صفات الكمال، فإنه يقتضى أنّ تكون ذواتهم المقدّسه في أعلى مراتب الكمال.

وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ

اشاره

في كلمه «المخلصين» وجهان:

يمكن أن تكون بفتح اللّام، فالجمله إشاره إلى قوله تعالى:

«إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» ١.

ويمكن أن تكون بكسر اللّام، فهي إشاره إلى قوله تعالى:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ٢.

وفي كلتا الآيتين ذكر العباده...

و «الإخلاص» مصدر «خلص» قال في مجمع البحرين: والخالص في اللّغه كلّما صفى وتخلّص ولم يمتزج بغيره... (١).

فمن تخلّص معرفته باللّهِ ويخلص عباده له ويصفّيها من كلّ أنواع

ص: ٣٥٥

الشوائب، يخلصه الله لنفسه، فيكون مخلصاً ومخلصاً.

ومن الواضح جداً أنّ العبادة فرع المعرفة، والمعرفة أساس الدين، قال أمير المؤمنين:

أول الدين، معرفته.

وكمال معرفته، التصديق به.

وكمال التصديق به، توحيده.

وكمال توحيده، الإخلاص له.

وكمال الإخلاص له، نفي الصفات عنه (١).

الإخلاص في العبادة

فمن العبادة الخالصة لله عن المعرفة الصّحيحة يصل العبد إلى مرتبه المخلصين، يستخلصه الله لنفسه، ولذا اعتبرت التّيه في العبادات وخلوصها من كلّ شائبه، واستدلّ لذلك بقوله تعالى:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ٢.

فيعتبر في العمل العبادي تجريده بشكل مطلق من كلّ ما سوى الله.

ثم إنّ الظاهر أن تكون «في» -بناءً على قراءة فتح اللّام- سببيّه، كما في الحديث المروى: «إنّ امرأةً دخلت النار في هرة قتلتها» (٢).

ص: ٣٥٤

١-١) نهج البلاغه، الخطبه رقم: ١.

٢-٣) جامع المقدمات ١/٤٩٩. [١]

وما بلغ أحد مرتبه النبي وآله في توحيد الله، ومنهم تعلم الناس ذلك كما تعلموا منهم العباده والطّاعه والإخلاص فيها، لكنّ للمراتب الدانيه عنها أيضاً آثار وبركات، إلّا أن على المؤمن أن يسعى من أجل الوصول إلى ما جاء في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: من أهان لى ولئياً فقد أرصد لمحاربتى، وما تقرب إلى عبد بشيء أحبّ إلى مما افترضت عليه. وإنه ليتقرب إلى بالنافله حتى أحبّه، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، ويده التى يبطش بها. إن دعانى أحبته وإن سألتنى أعطيته. وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددى عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» (١).

وهذه من الأمور الواقعيه التى لا تحتاج إلى سند، يحصل عليها السائرون فى هذا الطريق، والرسول والأئمّه عليهم السلام على رأسهم، وقد ورد هذا الحديث فى مصادر أهل السنه أيضاً (٢).

وعلق عليه النووى شارح صحيح مسلم ورتّب عليه آثاراً مفيده، حيث نقل عن الحافظ القاضى عياض المالكى ما نصّه:

«ومحبّه الله تعالى لعبده تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وتيسير أظافه وهدايته وإفاضه رحمته عليه. هذه مباديها، وأما غايتها، فكشف الحجب عن قلبه

ص: ٣٥٧

١- ١) الكافي ٢/٣٥٢، [١] المحاسن ١/٢٩١، [٢] وسائل الشيعة ٤/٧٢، [٣] بحار الأنوار: ٢٢٦٧. [٤]

٢- ٢) صحيح البخارى ٧/١٩٠، السنن الكبرى ١٠/٢١٩.

حتى يراه ببصيرته، فيكون كما قال في الحديث الصحيح: «فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» (١).

فإذا كان الإنسان العابد وبسبب عبوديته وطاعته للبارى تعالى يصل إلى مرتبه يصفها سبحانه: «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به»، فما ظنك بالأئمة الطاهرين عليهم السلام، الذين عرفوه وعبدوه حق عبادته، وأطاعوه حق طاعته، وأخلصوا فى توحيدهم بجميع جوانب التوحيد-الذاتى والصفاتى والأفعالى والعبادى-فكانوا حقاً «صفوه الله» الذين اصطفاهم لنفسه، وأودعهم مواريث الأنبياء، وجعلهم خلفاءه فى الأرض.

وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ

إشاره

«الظهور» يقابل «الخفاء»، كما أنّ «الشهود» يقابل «الغيبه» .

و «أمر الله ونهيه» أى: الأحكام الشرعيه الإلهيه.

طرق إظهارهم أحكام الله

فالأئمة هم المظهرون للأحكام الشرعيه، ومنهم يجب أن يؤخذ وإليهم يجب أن يرجع فيها كما يرجع فى غيرها، فإنهم هم المصدر لكل الحقائق الدينيه: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام لسلمه بن كهيل والحكم بن عتيبه:

شرفاً أو غرباً، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً صحيحاً خرج من عندنا أهل البيت (٢).

ص: ٣٥٨

١-١) شرح صحيح مسلم ١٥/١٥١.

٢-٢) وسائل الشيعة ١٨/٢٦. [١]

فالأئمة هم الواسطه بين الله ورسوله والأئمة الإسلاميه في الأحكام الإلهيه، من الحلال والحرام وغيرهما من الأحكام، لوضوح أن خفاء الشيخ لا يرتفع إلّا برفع الستار عنه والإطلاع عليه، فالأوامر والنواهي الإلهيه يتحقق الكشف عنها والتعرف عليها بالأئمة وهم المظهرون لها.

إنّه وإن كانت أصول الأحكام موجودة في الكتاب والسنة، إلّا أنّ الأئمة عليهم السلام هم المنصوبون لتبيين مجملاتها وتقييد مطلقاتها، وقد قاموا بدورهم في هذا الباب خير قيام، وأخذت الأئمة منهم الأحكام بطرق:

أحدها: بالسيّماع منهم مباشرة، فقد علّموا الناس آحاداً أو جماعات، وعقدوا جلسات الدّرس، وبيّنوا الأحكام إمّا ابتداءً وإمّا جواباً على السؤال. ومن الأحكام ما بيّنه مكتوباً في جواب المكاتبات، حيث أن بعض الرّواه لم يمكنهم الحضور عند الإمام والسؤال منه مباشرة، فكانوا يكتبون الأسئلة وتأتيهم الأحكام في أجوبه الإمام عليه السلام.

والثاني: بالإقتداء بأعمالهم، فكم من تكليف من التكليف الشرعيّ علّموه للناس عملاً؟ فكانوا كجدهم رسول الله صلّى الله عليه وآله القائل:

صلّوا كما رأيتموني أصلى (١).

والثالث: بالنظر إلى تقريرهم للعمل الواقع في حضورهم وبمشهد منهم، مع قدرتهم على الرّدع عنه، ففي هذه الحاله يكون العمل الذي قرّره حكماً من الأحكام الإلهيه.

فالأئمة عليهم السلام بلّغوا أمر الله ونهيه بأقوالهم وأفعالهم وبتقريرهم، ولذا كانت «السنة» في الشريعة الإسلاميه: قول وفعل وتقرير المعصوم.

ص: ٣٥٩

وهكذا يكون الأئمة «المظهرين لأمر الله ونهيه» .

ثم إنه قد تقرّر في محلّه أنّ الأئمة عليهم السّلام يعلمون بالأحكام وسائر معالم الدين ومعارفه عن طريقين:

الأول: الإلهام، فإنه وإنّ انقطع الوحي الإلهي بموت النبي صلّى الله عليه وآله، ولكنّ الأئمة عليهم السّلام ملهمون ومحدّثون، فقد سئل الرّضا عليه السّلام عن شيء من أمر العالم فقال:

نكت في القلب ونقر في الأسماع، وقد يكونان معاً (١).

وسئل عليه السّلام: علم عالمكم استماع أو إلهام؟ قال:

يكون سماعاً ويكون إلهاماً، ويكونان معاً (٢).

والثاني: الأخذ من النبي صلّى الله عليه وآله، فإنّ الأئمة عليهم السّلام يروون عن آبائهم إلى أمير المؤمنين على عليه السّلام، وهو تلميذ النبي صلّى الله عليه وآله، وقد قال:

أنا مدينة العلم وعلى بابها (٣).

وهو الذي علّمه النبي ألف بابٍ يفتح له من كلّ بابٍ ألف باب كما في الحديث المشهور إذا قال عليه السّلام:

علّمني رسول الله ألف بابٍ من العلم يفتح لي من كلّ بابٍ ألف باب (٤).

ص: ٣٦٠

١-١ (١) بصائر الدرجات: ٣١٦. [١]

٢-٢ (٢) المصدر: ٣١٧. [٢]

٣-٣ (٣) هذا حديث مدينة العلم، المتفق عليه بين المسلمين. انظر: نفحات الأزهار، [٣] الأجزاء: ١٠-١٢.

٤-٤ (٤) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٦، [٤] كنز العمال ١٣/١١٤.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

سئل على عن علم النبي فقال: علم النبي علم جميع النبيين وعلم ما كان وما هو كأن إلى قيام الساعة. ثم قال: والذي نفسى بيده، إنى لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله وعلم ما كان وما هو كائن فيما بينى وبين قيام الساعة (١).

ثم إن ذلك كله قد انتقل إلى الأئمة، كما روى أبو حمزة الثمالى عن الإمام عن السجاد عليه السلام قال:

قلت له: جعلت فداك، كل ما كان عند رسول الله فقد أعطاه أمير المؤمنين بعده ثم الحسن بعد أمير المؤمنين ثم الحسين ثم كل إمام إلى أن تقوم الساعة؟

قال: نعم مع الزيادة التى تحدث فى كل سنة وفى كل شهر. إي- والله- وفى كل ساعة (٢).

لكن الذى فى زيارته الجامعه: «المظهرين لأمر الله ونهيه» وليس: «الناقلين لأمر الله ونهيه» ولا «الزواين لأمر الله ونهيه» ونحو ذلك... فلعله للإشارة إلى أن من الأحكام ما ليس فى الكتاب والسنة أصلاً والناس بحاجة إليه، وقد جعل الله الأئمة عليهم السلام «المظهرين» لهذه الأحكام كذلك... وتوضيح ذلك:

إنه لا ريب فى أن المشرع هو الله عز وجل:

«لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَ مِنْهَاجًا» ٣.

ثم إن الله قد أكمل دينه فى يوم غدیر خم، إذ قال:

ص: ٣٤١

١- ١) بصائر الدرجات: ١٢٧، [١] بحار الأنوار ٢٦/١١٠. [٢]

٢- ٢) بصائر الدرجات: ٢٦٩، [٣] الاختصاص: ٣١٤.

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» ١.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

يا أيها الناس، واللّٰه ما من شيء يقربكم من الجنّة ويباعدكم عن النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه (١).

تفويض الأحكام إلى النبي والأئمة عليهم السلام

ولكنّ الشيخ الكليني عقد باباً بعنوان «باب تفويض الأحكام إلى النبي والأئمة عليهم السلام» (٢) وذكر فيه نصوصاً واضحة الدلالة على مشرّعيه النبي والأئمة المعصومين، وسيأتي ذكر بعضها.

فوقع الكلام بين علمائنا الأعلام منذ قديم الأيّام في كتب الكلام والحديث والفقه والاصول، في كيفيه شرح تلك الأخبار والجمع بينها وما دلّ على أن تشريع الأحكام بيد الله وأنّ النبي قد بلغ الشريعة كلّها.

أمّا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فالظاهر أنه لا خلاف بينهم في أنّ له الولاية على الأحكام وأنه قد أذن له الله في التصرف فيها، وقد قال تعالى:

«وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» ٤.

ص: ٣٦٢

١-٢) الكافي ٢/٧٤، [١] وسائل الشيعة ١٧/٤٥. [٢]

٢-٣) الكافي ٢/٢٦٥.

وقال:

«وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ١.

وقد وردت الروايات في كتب الفريقين بذييل هذه الآية صريحة في ولاية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْأَحْكَامِ، منها:

عن فضيل بن يسار، قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصِر: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ٢، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مُسَدِّدًا مُؤَيِّدًا بِرُوحِ الْقُدُسِ، لَا يَزِلُّ وَلَا يُخْطِئُ، فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ، فَتَأَدَّبَ بِأَدَابِ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الصَّلَاةَ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ، عَشْرَ رَكَعَاتٍ، فَأَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الرَّكَعَتَيْنِ، وَإِلَى الْمَغْرَبِ رَكَعَةً، فَصَارَتْ عَدِيلُ الْفَرِيضَةِ، لَا يَجُوزُ تَرْكُهُنَّ إِلَّا فِي سَفَرٍ، وَأَفْرَدَ الرَّكَعَةَ فِي الْمَغْرَبِ فَتَرَكَهَا قَائِمَةً فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَصَارَتْ الْفَرِيضَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ رَكَعَةً.

ثُمَّ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ النَّوَافِلَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ رَكَعَةً مِثْلَى الْفَرِيضَةِ، فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْفَرِيضَةَ وَالنَّافِلَةَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ رَكَعَةً، مِنْهَا رَكَعَتَانِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ جَالِسًا تَعَدُّ بِرَكَعَةِ مَكَانِ الْوَتْرِ.

ص: ٣٤٣

وفرض الله عز وجل في السنة صوم شهر رمضان، وسن رسول الله صلى الله عليه وآله صوم شعبان، وثلاثة أيام في كل شهر مثلي الفريضة، فأجاز الله عز وجل له ذلك.

وحرّم الله عز وجل الخمر بعينها، وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله المُسكر من كل شراب، فأجاز الله له ذلك.

وعاف رسول الله صلى الله عليه وآله أشياء وكرهها ولم ينه عنها نهى حرام، وإنما نهى عنها نهى إعافه وكرهه، ثم رخص فيها فصار الأخذ برخصه واجباً على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه، ولم يُرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيما نهاهم عنه نهى حرام، ولا فيما أمر به أمر فرض لازم، فكثير المسكر من الأشربه نهاهم عنه نهى حرام لم يُرخص فيه لأحد، ولم يُرخص رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدٍ تقصير الركعتين اللتين ضمّهما إلى ما فرض الله عز وجل بل ألزمهم ذلك إلزاماً واجباً، لم يُرخص لأحدٍ في شيءٍ من ذلك إلا للمسافر، وليس لأحدٍ أن يرخص ما لم يُرخصه رسول الله صلى الله عليه وآله فوافق أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله عز وجل، ونهيه نهى الله عز وجل، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى.

وعن زرارة: أنه سَمِعَ أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: «إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم» ثم تلا هذه الآية «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» .

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى أدب نبيه صلى الله عليه وآله، فلما انتهى به إلى ما أراد، قال له: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ، ففوض إليه دينه فقال: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ

فَأَنْتَهُوَا»، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الْفَرَائِضَ وَلَمْ يَقْسِمِ لِلْجَدِّ شَيْئًا، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَطْعَمَهُ السُّدُسَ فَأَجَازَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ١٢.

إنما الكلام فى الأئمة . . .

هل تثبت الولاية التكوينية للأئمة بمعنى: إذن الله تبارك وتعالى لهم بالتصرف فى الكون؟

هل تثبت الولاية التشريعية للأئمة بمعنى: إذن الله تبارك وتعالى لهم بالتصرف فى الأنفس والأموال؟

هل تثبت الولاية على الأحكام للأئمة بمعنى: إذن الله تبارك وتعالى بالتصرف فى بعض خصوصيات الأحكام؟

أمّا الولايتان الأولى والثانية، فترجى الكلام حولهما إلى موضعهما المناسب من الكتاب، وأمّا الولاية على الأحكام، فهذا هو الموضوع المناسب للبحث عنها، فنقول:

إن مقتضى الأدلة العامة القائمه على ثبوت كل ما كان للنبي -عدا النبوه- لأمير المؤمنين والأئمة من بعده، والأدلة المستفيضة الخاصة بالتفويض، أى الولاية على الأحكام، ثبوت هذا المنصب للأئمة للنبي صلى الله عليه وآله.

فمن الأدلة العامة:

١- حديث المنزله، هذا الحديث المتواتر عند الخاصه والعامه، حتى أن

بعض كبار الحفاظ منهم -وهو الحفاظ أبو حازم (١)- قال:

خرّجته بخمسة آلاف إسناد (٢).

يقول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لعلي:

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (٣).

فقد ثبت في محله (٤) دلالة هذا الحديث على أنّ لعلي منازل رسول الله عامّة إلا النبوه.

٢- الأحاديث في أنّ الأئمّه ورثوا جميع الأنبياء:

فعن أبي عبدالله عليه السلام في حديث:

ونحن ورثه النبيين (٥).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث:

نحن ورثه أولى العزم من الرسل (٦).

وعن علي بن الحسين عليه السلام في حديث:

نحن ورثه الأنبياء (٧).

ص: ٣٦٦

١- ١) هو: الحفاظ الكبير أبو حازم عمر بن أحمد العبدوي الأعرج النيسابوري المتوفى سنة ٤١٧، تاريخ بغداد ١١/٢٧١. [١]

٢- ٢) شواهد التنزيل ١/١٩٥. [٢]

٣- ٣) هذا حديث المنزلة المتواتر بين المسلمين.

٤- ٤) أنظر: نفحات الأزهار ج ١٧-١٨. [٣]

٥- ٥) الكافي ١/٢٣١. [٤]

٦- ٦) الكافي ١/٢٢٤. [٥]

٧- ٧) بحار الأنوار ٢٣/٣١٤. [٦]

٣- الأحاديث الواردة في فرض طاعه الأئمة، كقول أبي جعفر الباقر عليه السلام:

إن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعه رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

ومن الأدلة الخاصه:

ما ورد بسند صحيح عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته فقال:

«وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» .

ثم فوض إليه فقال عز وجل:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» .

وقال عز وجل:

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» .

ثم قال: وإن نبي الله فوض إلى علي عليه السلام واثمنه، فسلمتم وجحد الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا» (٢).

وعنه عليه السلام:

إن الله عز وجل أدب نبيه حتى قومه على ما أراد، ثم فوض إليه فقال عز وجل:

ص: ٣٦٧

[١- ١] الكافي ١/٢١٦ . [١]

[٢- ٢] المصدر ١/٢٦٥ . [٢]

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» ١.

فما فوّض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا (١).

من كلمات أعلام الطائفة

ثم إنه من المناسب إيراد نصوص عبارات بعض أكابر علمائنا في هذا الموضوع:

الشهيد الثاني

قال الشهيد الثاني رحمه الله في كتاب المسالك:

تحديد حدّ الشرب بثمانين متفق عليه بين الأصحاب، ومستندهم الأخبار وسيأتي بعضها.

وروى العامه والخاصه أن النبي صلى الله عليه وآله كان يضرب الشارب بالأيدى والنعال ولم يقدره بعدد، فلما كان في زمن عمر استشار أمير المؤمنين في حدّه، فأشار عليه بأن يضربه ثمانين.

وعلله بأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى.

فجلده عمر ثمانين، وعمل به أكثر العامه (٢).

الوحيد البهبهاني

ويورد المرحوم الوحيد البهبهاني في كتابه الرجالي عدّه معان للتفويض، من ذلك قوله:

ص: ٣٦٨

١-٢) الكافي ١/٢٦٨. [١]

٢-٣) مسالك الإلهام في شرح شرائع الإسلام ١٤/٤٦٢-٤٦٣.

«الرابع: تفويض الأحكام والأفعال بأن يثبت ما رآه حسناً ويراه قبيحاً فيجيز الله إثباته وردّه، مثل إطعام الجَدِّ السدس، وإضافه الركعتين في الرباعيات والواحدة في المغرب، وفي النوافل أربعاً وثلاثين سُنَّه، وتحريم كل مسكر عند تحريم الخمر. إلى غير ذلك» (١).

فالرسول أو الإمام يستطيع إقرار حكم يراه صالحاً وينفى آخر لا يرى فيه صلاحاً، فيؤيد الله حكمه ويقره.

وفي حاشيته على كتاب مجمع الفائده والبرهان للمقدّس الأردبيلي رحمه الله يقول المحقق البهبهاني:

«وقد حقّقنا في تعلّيقنا على رجال الميرزا ضعف تضعيفات القميين، فإنهم كانوا يعتقدون-بسبب اجتهادهم-اعتقادات من تعدّى عنها نسبوها إلى الغلو، مثل نفى السهو عن النبي صلّى الله عليه وآله، أو إلى التفويض مثل تفويض بعض الأحكام إليه» (٢). وهو رحمه الله يورد هذا الكلام ردّاً على ادّعاءات بعض المحدّثين القميين الذين كانوا يضعفون الأحاديث أو الرواه القائلين بالتفويض.

الشيخ البحراني

وأما الشيخ البحراني صاحب الحدائق الناضرة، وهو فقيه عالم ومحدّث كبير، فيقول في بحث منزوحات البئر ما نصّه:

«احتمل بعض محققي المحدّثين من المتأخرين كون هذا الاختلاف من

ص: ٣٦٩

١- (١) الفوائد الرجاليّة: ٣٩-٤٠، [١] التعلّيقه على منج المقال: ٢٢.

٢- (٢) الحاشية على مجمع الفائده والبرهان: ٧٠٠. [٢]

«كما يظهر من الأخبار الكثيره الوارده فى التفويض إلى النبى والأئمه عليهم السلام» (١).

أما المجلسى الثانى فىقول:

«وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحریم والعطاء والمنع» (٢).

السيد الكلپایگانى

وكذا قال سيدنا الأستاذ المرحوم السيد الكلپایگانى رحمه الله، فى بحثه فى كتاب الحدود، فى باب حد شارب الخمر، فإنه أورد الخبر ونقل كلام الشهيد الثانى وصاحب الجواهر ووافقهما على ما قالاه.

وتلخص:

إن هذا وجه آخر لمعنى «المظهرين لأمر الله ونهيه» .

هذا كله بناءً على أن يكون المراد من «أمر الله ونهيه» هو: الأحكام الشرعيه.

ويجوز أن يكون المراد من «الأمر» هو الأعم من «التكوين» و «التشريع» فىكون دالاً على الولايتين: التكوينية والتفويض.

وعلى كل حال، فإنه ليس المقصود استقلال الأئمه بالتصرف أو كونهم شركاء لله، فإن هذا كفر، بل المقصود أن الأئمه عليهم السلام قد وصلوا ببركة طاعتهم وعبوديتهم لله إلى هذه المنازل الجليله، وهذا مما يقع بين الآباء والأولاد

ص: ٣٧١

١-١) روضه المتقين ٥/٤٨٠.

٢-٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٤٢-٣٤٣. [١]

والموالى والعبيد كذلك، وقد يبلغ الخادم لدى سيده-على أثر خدمته له وحسن تصرفه فى إنجاز أعماله ودرايته للأمر-مرحلة من القرب حتى يكون أمينه على أسرارهِ ويسلمه مقاليد أموره، ويأذن له بالتصرف فى أمواله، من غير أن يراجعه فى ذلك، ثقته به واعتماداً عليه... .

وقد قرأنا فى الروايات: أن الله تعالى قد «أدب» نبيه حتى قومه على ما أراد «ثم» فوض إليه أمر دينه... .

وكذلك الأئمة المعصومون من أهل بيته... .

وهذا ما تؤكده الروايات، وعبارات الزيارة الجامعه، ومنها العبارة التاليه:

وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

«العباد» لغة

«العباد» جمع «العبد» .

إن الأئمة عليهم السلام عباد لله، وعبيد مربون... . عباد مكرمون... .

ويتضح معنى «المكرمين» مما ذكرناه بشرح «اصول الكرم» . وحاصل ذلك هو: القيمة العاليه، كما فى موارد استعمال هذه الماده فى القرآن الكريم، كقوله تعالى فى وصف كتابه:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» ١.

ص: ٣٧٢

وفى وصف ملائكته:

«كِرَامًا كَاتِبِينَ» ١.

و «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ» ٢.

وفى وصف بعض مخلوقاته:

«أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» ٣.

وفى وصف شأن رفيع ومرتبته عالية:

«وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» ٤.

ولذا قال الراغب:

وكلّ شيء شرف فى بابہ فإنه يوصف بالكرم (١).

ومن هذا الباب:

التعبير عن البنت ب «الكريمه» كما فى الخبر:

من زوّج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها (٢).

والتعبير عن «العين» بذلك، كما فى الخبر:

ما سلب أحد كريمته إلا عوّضه الله منه الجنه (٣).

والتعبير عن الأحجار الثمينه ب «الأحجار الكريمه» .

ص: ٣٧٣

١-٥) المفردات فى غريب القرآن: ٤٢٩.

٢-٦) الكافي ٥/٣٤٧. [١]

٣-٧) قرب الإسناد: ٣٨٩، [٢] بحار الأنوار ٨١/١٨٢.

وعلى الجملة، ففي «عباده المكرمين. . .» إشارة إلى الآيات المباركة:

«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَ هُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» ١.

وفي هذه الآيات ثلاثة نقاط:

١- إن المكرمين عند الله من الأنبياء والأولياء والملائكة ليسوا أبناءً لله، ردّاً على اليهود والنصارى الذين قالوا كما في الآيه الكريمة:

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ» ٢.

«وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» .

٢- إن السبب الذي جعلهم «مكرمين» عند الله هو كونهم عباداً له.

٣- إنها تشير إلى عدّة منازل جليله ومقامات رفيعة:

١- عصمه الأئمة عليهم السلام

فالنصّ القرآني يصف عباد الله المكرمين بأنهم «لا- يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ، وفيه تكريس لمفهوم عصمه الأئمة عليهم السّلام، فهم الذين لا يتقدّمون على الباري بأدنى قول ألبته، وكلّ قول يلفظونه يأتي بعد قوله تعالى وتبعاً له، فضلاً عن أن يتكلّموا بكلام وينسبونه إلى الله سبحانه. وسيأتينا كلام لأمير المؤمنين عليه السّلام فيما يتعلق بهذا المعنى.

٢- علم الأئمة عليهم السلام

توضح عبارته «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» في الآية الشريفة علم الأئمة الطاهرين عليهم السلام، لأنهم لما كانوا لا يقدمون على عمل إلا بأمر من الله، وتنفيذاً لأمره، فذلك يعني أنهم عالمون بأمره، وهذه العلميه بالأمر تستدعي معرفتهم بإرادة الباري تعالى، وهم يوصلونها إلى مرحلة العمل والتنفيذ.

ومرد ذلك إلى أنهم تربوا ودرسوا في المدرسة الإلهية التي يختص لها الله تعالى من يشاء من عباده المخلصين، ولم يدرسوا في مدرسة أو يتعلموا عند أحد، ولذلك فإن هذه الميزات خاصه بهم، لعلو مقامهم وشرف منزلتهم عند الله العلي العظيم جل جلاله.

٣- عمل الأئمة وسلوكهم الإلهي

ومن جملة ما تفيدته الآية المباركة في قوله تعالى: «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» عمل الأئمة الطاهرين وسلوكهم. وعبارته «بأمره» هنا ليس المقصود منها ما يقابل النهي، إنما المقصود إرادة الباري تعالى، فهم عارفون عالمون بإرادته سبحانه، وكل سلوك وعمل يصدر عنهم إنما هو تجسيد للإرادة الإلهية، ويتبين ذلك من خلال التأمل في الآية المباركة. ولتوضيح ذلك أقول:

كلنا بعلم أن جبرائيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام من الملائكة المقربين من رب العزه والجلاله، ومن الطبيعي جداً أن نعزى أعمالهم إلى الباري تعالى، وليس أوضح من عزرائيل عليه السلام مثلاً على ذلك، فهو الذي يتولى قبض الأرواح كما يصرح القرآن الكريم:

«قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ» ١.

فعملية توفى الأنفس تُنسب له، وفي موضع آخر يُنسب نفس العمل إلى الله جلّ جلاله كما في قوله تعالى:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» ٢.

فتكون النتيجة أن فعل عزرائيل وغيره من الملائكة المقرّبين هو فعل الله تبارك وتعالى، فإذا أراد الله سبحانه، فستظهر إرادته بعملهم.

ولا غرو في أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام كذلك، فتمعن.

٤- شفاعه الأئمة عليهم السلام

مقام الشّفاعه الذي خصّ الله تعالى الأئمة به هو مقام جليل ومنصب عظيم، وهو موضوع من مواضيع الآيه الشريفه من قوله تعالى: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» ٣.

فلو أن شخصاً كانت له حاجه متعسّره عند أحدٍ كأمير أو وزير أو رئيس، ويطمح أن يقضيها له، فلا مناص له من توسط طرف ثالث، له من المكانه والعزّه بمكان تتناسب ومستوى حاجته، ما يؤهله أن يشفع له عند الرئيس أو الأمير، وإلا فإن حاجته مردوده. فمن له حاجه عند الله جلّ جلاله، ويرجو قضائها وإنجازها، فما عليه إلّا أن يقدّم الوسيله والواسطه لكي يشفع له فيها، ولا بدّ وأن يكون هذا الشفيح ذا منزله كريمه ومقام محمود عند الله تبارك وتعالى.

فالنبي والأئمة هكذا، وهم لا يشفعون إلا لمن يعلمون حق اليقين أنه موضع رضى الله سبحانه، فهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وذلك لشدة ارتباطهم بالله تعالى وعلمهم بما يرضاه وما لا يرضاه.

فإذا أحجموا عن الشفاعه فى قضيه معينه فذلك يعنى أنهم عالمون بعدم أهليتها لرضا البارى تعالى، لأنهم لا يسبقونه فى أمر لا يرتضيه، فعليه، لا يطلبون منه تعالى إمضاء ذلك الأمر. وهذا-والله-لشده رسوخهم فى العبوديه له فهم «مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» .

فالمقام مقام عبوديه مطلقه، لا ألوهيه ولا بنوه لله، وخطاب الآيه خطاب تقريع وتفنيذ لادعاءات اليهود والنصارى الباطله السقيمه أن جلعوا للرحمن ولداً، حينما رأوا من النبي عيسى عليه السلام أموراً خارقه وفوق قدره البشر، فالذى صدر منه كان «يَاذُنِ اللَّهِ» وبركه عبوديته له، وقد صدر عن الأئمة المعصومين ما صدر عن النبي عيسى، دون أن يدعوا الربوبيه ولن يدعوها، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» .

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى طيب الله ثراه فى مصباح المتهجد خطبه لأمير المؤمنين عليه السلام-وهى باعتقادنا قطعيه الصدور-قائلاً:

«اتفق فى بعض سنن أمير المؤمنين عليه السلام الجمعه والغدير، فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

وإن الله تعالى اختص نفسه بعد نبيه صلى الله عليه وآله من بريته خاصه، علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاه بالحق إليه والأدلاء عليه، لقرن قرن وزمن زمن أنشأهم فى القدم قبل كل مذرؤ ومبرؤ، وأنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكه الربوبيه

وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللّغات، بخوعاً له بأنه فاطر الأرضين والسّموات، وأشهدهم خلقه وولّاهم ما شاء من أمره، جعلهم تراجم مشيئته وألسن إرادته، عبيداً لا- يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلّالمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون. . .» (١).

وما أروع ما عبّر عنه استاذنا المرحوم الميرزا كاظم التبريزي في تعبير مستوحى من «تراجمه وحيه» بقوله: إن حنجره الأئمة عليهم السّلام، مذياع الله تعالى. فكلمّا كان ما يخرج من هذه الحنجره هو كلام الله سبحانه، وهل ذلك إلّا العصمه؟ فهم عليهم السّلام ألسنه الإراده الإلهيه، لكنهم عبيده الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وهو سبحانه «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ».

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٣٧٨

١- (١) مصباح المتهدج: ٧٣٥، [١] مصباح الكفعمي: ٦٩٦، [٢] بحار الأنوار ٩٤/١١٣. [٣]

السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ وَالذَّادَةِ الْحَمَاهِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأَوْلَى الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ وَحِزْبِهِ وَ
عَيْبِهِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُزْهَانِهِ وَرَحْمَهُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٣٧٩

قد تقدم أن «الدعاه» جمع «الداعى»، كالقضاء جمع القاضى.

ومفهوم «الدعوه» يتقوم بالداعى والمدعوى ومورد الدعوه، فالداعى هم الأنتم، والمدعوى عموم البشر، ومورد الدعوه هو الإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح.

والأنتم مضطعون بجميع المهام والمسؤوليات التى حملها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله-إلّا النبوه-فلا بد من توفر جميع مقامات الرسول صلى الله عليه وآله فيهم؛ لأنهم الامتداد الطبيعى له وهو باقٍ ببقائهم، وهم الحافظون للرساله واستمراريتها فنبي الله والمبعوث إلى هذه الأمة خَلَعَ عليه البارى تعالى مقام «الداعى» بقوله جلّ وعلا:

«وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا» ١.

فيلزم أن تكون دعوه الداعى-النبي أو الإمام-إلى معرفه الله سبحانه والإذعان له بالعبوديه والطاعه مطلقاً، ومن متطلبات هذه اللزوميه أن يكون الإمام المعصوم - الداعى- فى أعلى وأكمل درجات المعرفه بالله، وأفضل عباده وأعلمهم

وأحوطهم بمتطلبات السَّعاده البشريّه. وباختصار، لا بدّ أن يكون الأئمّه المعصومون عليهم السَّلام جامعين لجميع الكمالات المعنويّه التي توزعت في الأنبياء، وأن يكونوا أفضل الخلق من الأوّلين والآخريين، بعد نبينا محمّد صلى الله عليه وآله.

وهم الوارثون لخطاب الأنبياء:

«وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ» ١.

وهو لسان حالهم في دعوتهم الإلهيه لنجاه الأمم وتحريرها من المفاسد وهدايتها نحو الخير والجنه. وهذا الخطاب الإلهي لا يزال يتكرر على مرّ العصور والأزمان، نظراً لوجود دعاه الضلاله وأئمّه الباطل ووقوفهم بوجه دعاه الإصلاح.

وَالْقَادَةَ الْهُدَاهِ

اشاره

«القاده» جمع «القائد»، وقد مرّ الكلام في معنى «القائد» و «السائق» .

و «الهداه» جمع «الهادي» .

وهذان الوصفان أيضاً مطلقان، فإن قيادتهم وهدايتهم غير مختصّه بقوم دون قوم وزمانٍ دون زمان، إنهم القاده الهداه للبشريّه جمعاء في جميع الأزمنه والأمكنه، بل إنّ سير الكائنات نحو كمالها المطلوب لها إنما هو ببركه وجود الأئمّه، بل إنّ هدايتهم تعمّ سائر العوالم أيضاً.

ص: ٣٨٢

المحتاج إلى الهدى لا يكون هادياً

ومن الواضح جداً أن من يكون بحاجة إلى من يقوده للهدى، لا يصلح لأن يتولى هدايه أحدٍ من الخلق، قال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» ١.

فهل يقاس بأهل البيت القاده الهداه من كان لا يهتدى إلى شيء إلا أن يهدى، فضلاً عن أولئك الذين يعدون في أئمة الضلال؟

إن الأئمة منصوبون من قبل الله لقياده الأمه وهدايتها إلى ما فيه خير وسعادتها في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...» ٢.

وقد ذكرنا سابقاً أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت الآية:

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكلِّ قَوْمٍ هَادٍ» ٣.

قال:

يا على، بك يهتدى المهتدون من بعدى (١).

لقد قال هذا وحوله الكثير من الناس الذين كانوا يدعون-ويدعى لهم - الصلاحيه والأهليه لقياده الأمه وهدايتها.

ولا يخفى الإطلاق كذلك في الحديث الشريف... .

ص: ٣٨٣

«السَّادَةُ» جمع «السَّيِّدِ» و «الْوَلَاةُ» جمع «الْوَالِي» .

وَالسَّيِّدُ فِي اللُّغَةِ كَمَا جَاءَ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرِينَ:

الرئيس الكبير في قومه، المطاع في عشيرته وإن لم يكن هاشمياً (١).

لكنَّ المسلمین يطلقون لقب «السَّيِّدِ» في بعض البلاد، ولقب «الشريف» في بعض و «الحبيب» في بعض آخر، على بنى هاشم، خاصه ذريه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لما لهم من الشرف والمجد بانتسابهم إليه، فهم محترمون بين الناس، وإذا كانت السَّيَادَةُ شَأْنٌ كُلٌّ مِنْ أَنْتَسَبَ إِلَى نَبِينَا، فَكَيْفَ يَكُونُ شَأْنُ سَادَتِهِمُ الْأَتْئِمَّةِ الْأَطْهَارِ؟

إِشَارَةٌ إِلَى الْوَلَايَةِ التَّشْرِيْعِيَّةِ

وَالْأَتْئِمَّةُ لَهُمْ مَقَامٌ آخَرٌ، وَهُوَ حَقُّ الْوَلَايَةِ عَلَى النَّاسِ، أَيْ: إِنَّهُمْ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِالتَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ، فَهُمْ وَحْدَهُمْ «السَّيَادَةُ الْوَلَاةُ» عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، وَجَبَتْ إِطَاعَتُهُمْ إِطَاعَةً مُطْلَقَةً، وَالْكَوْنُ مَعَهُمْ مِنْ دُونِ تَقَدُّمِ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْخِرَ عَنْهُمْ أَبَدًا، وَعَلَى الْجَمَلِ، فَإِنَّ الْأَتْئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ «أَوْلُوا الْأَمْرِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ» ٢.

فَعَنْ سَلِيمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْنَى مَا

يكون به العبد مؤمناً، وأدنى ما يكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟

فقال له: قد سألت فافهم الجواب، أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يُعرّفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقرّ له بالطاعة، ويُعرّفه نبيه صلى الله عليه وآله فيقرّ له بالطاعة، ويعرّفه إمامه وحجّته في أرضه وشاهده على خلقه فيقرّ له بالطاعة.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن جهل جميع الأشياء إلّاما وصفت! قال: نعم، إذا أمر أطيع، وإذا نهى انتهى.

وأدنى ما يكون به العبد كافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمر به ونصبه ديناً يتولّى عليه، ويَزعم أنه يعبد الذي أمره به وإنما يعبد الشيطان.

وأدنى ما يكون العبد به ضالماً، أن لا يعرف حُجّه الله تبارك وتعالى وشاهدته على عباده الذي أمر الله عزّ وجلّ بطاعته وفرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين، صفهم لى.

قال: الذين قرّنههم الله تعالى بنفسه ونبيه، فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» .

فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداك، أوضّح لى.

فقال: الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر خطبته يوم قبضه الله عزّ وجلّ إليه: إنى قد تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا بعدى إن تمسّكتم بهما: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتى أهل بيتى، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين- وجمع بين مسبّحته- ولا أقول كهاتين- وجمع بين المسبّحه والوسطى- فتسبق إحداهما الأخرى، فتمسكوا بهما لا تزلّوا، ولا تضلّوا، ولا تتقدّموهم فتضلّوا» (١).

ص: ٣٨٥

وهذا طرف من ولايتهم... وهو الولاية التشريعية، ونعنى بها أولويتهم بالناس من أنفسهم كما كان لجدهم الرسول الأكرم إذ قال تعالى:

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» ١.

ثم قال رسول الله في يوم غدير خم:

ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه (١).

وسياتى تفصيله فى محله.

والطرف الآخر: الولاية التكوينية، حيث كل فرضت طاعتهم على كل شىء من الأشياء، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» ٣.

وقد ورد فى النصوص الصحيحة أن «الملك العظيم» هو الطاعة المفروضة.

وسياتى تفصيله فى موضعه إن شاء الله.

وَالذَّادَةُ الْحَمَاهُ

إشارة

«الذاد» جمع «الذائد» قال فى المفردات:

ذدته عن كذا أذوده. قال تعالى «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ إِمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» أى: تطردان (٢).

ص: ٣٨٦

١- ٢) وهذا هو حديث الغدير [١] المتواتر، وقد بحثنا عنه سندا ودلالة فى كتابنا الكبير، الأجزاء: ٦-٩.

٢- ٤) المفردات فى غريب القرآن: ١٨٣، [٢] لسان العرب ٣/١٦٧.

و «الحماه» جمع «الحامى» .

وكلا المفهومين من المفاهيم ذات الإضافة، فمن يذود الأئمة وعمّن؟ ومن يحمون وعن أى شىء؟

حفظ الدين وأهله

إنّ أهم الأمور عند الأئمة عليهم السّلام هو حفظ «الدين الإسلامى» و «الأمة الإسلاميه»، فهم يذودون عن الدين الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّ أنواع التحريف والتلاعب وجميع الأهواء والبدع ويحفظون الأئمة ويحمونهم من أذى الظالمين وإضلال الكفّار والمنافقين، هؤلاء الذين يطردهم أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحوض ويمنعهم من الاختلاط بالمؤمنين فى الآخرة، كما قال:

أنا أذود عن حوض رسول الله صلّى الله عليه وآله بيديّ هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين، كما تذود السّقاء غريبه الإبل عن حياضهم (١).

ومن هذا الخبر وأمثاله يظهر: أنّ أئمة أهل البيت عليهم السّلام هم الذادّة عن المؤمنين فى دار الدنيا والحماه للدين وأهله من ضرر الكفار والمنافقين فى هذا العالم، وأنهم الميزان الحقيقى لأعمال الناس وعواقب أعمالهم فى العالمين، وهذا ما توافرت عليه روايات المسلمين (٢).

وعلى الجملة، فكما أنّ من يريد تربيته زهره، يلزم عليه أن يهتّى الظروف الملائمه لنموها، بأن يطرد عن التربه ما فيه الضّرر عليها ويحميها من الحرّ والبرد... كذلك الأئمة عليهم السّلام، فإنهم نصبوا لحفظ الدين ولتربيته المؤمنين

ص: ٣٨٧

١-١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/١٣٥.

٢-٢) أمالى الطوسى: ٢٤٨، المسترشد فى الإمامه: ٢٦٥، المعجم الأوسط ٥/٢٢٥.

وهدايه الناس، فهم الذين يذودون عن الدين ويحمون الأُمَّه ويصونونها من المفاسد الاعتقاديّه والأخلاقية.

إنّ التربيّه الصّالحه الكامله تتحقّق بتكامل الإنسان في الأبعاد الثلاثه:

١-البعد الفكري، بحمايته من الانحرافات العقائديّه.

٢-البعد العملي، بتعليمه الأحكام الإلهيه العمليه.

٣-البعد الأخلاقي، بتزكيته من الصّفات السيئه.

إن الوصول بالإنسان إلى مرحله الكمال هو الهدف من بعثه النبي صلّى الله عليه وآله كما قال تعالى:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...» ١.

وقد نصب الله الأئمه من بعده لاستمرار تحقيق الغايه التي بُعث من أجلها... .

وَأَهْلِ الذِّكْرِ

إشاره

وهذا إشاره إلى «أهل الذكر» في القرآن الكريم، قال الله تعالى في سورة الأنبياء:

«فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ» ٢.

وقال في سورة النحل:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ٣.

فأهل الذكر فى القرآن-وخاصة فى الآيه الثانيه-هم الأئمه من أهل البيت قطعاً، وبه روايات كثيره وسيأتى نصوص منها. . .
وذلك، لأن:

«الذكر» إِمَّا الْقُرْآنُ وَإِمَّا النَّبِيُّ وَالْأُئِمَّةُ أَهْلُهُ

«الذكر» إِمَّا هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» ١.

وإِمَّا هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

«قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ» ٢.

ولا شك أن الأئمه هم أهل القرآن وأهل النبى.

بل ليس أهل القرآن إلا الأئمه الأطهار من أهل بيت النبى، لقوله تعالى:

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» ٣.

والمطهرون هم أهل بيت النبى المقصودون بقوله:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» ٤.

وأهل بيته هم: على وفاطمه والحسنان والأئمه. . . لأنه لما جمع أهل بيته فى نزول الآيه، قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، أو قال: اللهم
إن هؤلاء آل محمد (١).

ولذا جاء بتفسير الآيه الذكر:

عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزَّ وجلَّ: «فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

ص: ٣٨٩

لا تَعْلَمُونَ» قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الذِّكْرُ أَنَا، والأئمة عليهم السلام أهل الذِّكْرِ. . . (١).

وعن عبدالرحمن بن كثير، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»؟ قال: الذِّكْرُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ونحن أهله المسؤولون (٢).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» .

قال: الذِّكْرُ: القرآنُ، وآل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَهْلُ الذِّكْرِ، وهم المسؤولون (٣).

وعن الزَّيَّانِ بن الصَّيْلِ، قال: حَضَرَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ بِمَرَوْ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فِيهِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ، فَاسْأَلُوا إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» .

فَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ؟ إِذَنْ يَدْعُونَا إِلَى دِينِهِمْ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أَفْضَلُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ» .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: فَهَلْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ شَرْحٌ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَعَمْ، الذِّكْرُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَذَلِكَ بَيْنَ فِي

ص: ٣٩٠

١-١ (١) الكافي ١/٢١٠. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه. [٢]

٣-٣ (٣) بصائر الدرجات: ٦٢. [٣]

كتاب الله تعالى حيث يقول في سورة الطلاق: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» ١ فالذكر: رسولُ الله، ونحنُ أهله» (١).

فعلى الأمة الرجوع-بعد رسول الله-إلى الأئمة الطاهرين في جميع شئونها، وعليهم الإطاعة المطلقة لهم، لأنَّ الأمر بالسؤال يستتبع الأمر بقبول الجواب مطلقاً، لأنه مقتضى الإطلاق... وذلك يستلزم أمرين مهمين جداً:

أحدهما: عصمة الأئمة، إذ لو جاز عليهم الخطأ والسهو والنسيان لما أمر بالسؤال منهم والقبول لما يجيبون على نحو الإطلاق.

والآخر، كونهم أعلم من غيرهم، لأنَّ الله لا يأمر بالسؤال من الجهال، كما في الرواية:

أمر الله عزَّ وجلَّ بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال (٢).

ولأنَّ العقل لا يجوز الرجوع إلى المفضول مع وجود الأفضل.

هذا، مضافاً إلى أنَّ حياة الأئمة عليهم السلام كاشفه عن أنهم لم يُسئلوا عن شيء فجهلوه أو أخطأوا في الجواب أو سهوا، وكم فرق بينهم وبين المناوئين لهم المدعين ل منازلهم!

ولعله مطلق «الذكر»

وأما بناءً على أنَّ يكون المراد من «الذكر» هو مطلق ذكر الله، فالأئمة عليهم

ص: ٣٩١

١-٢) عيون أخبار الرضا ٢/٢١٦، [١] أمالي الصدوق: ٦٢٥. [٢]

٢-٣) الكافي ١/٢٩٥، [٣] وسائل الشيعة ٢٧/٦٦. [٤]

السّلام هم المصداق الأتم ل «أهل الذّكر» ، ومنهم تعلّم الناس الأذكار والأوراد، وهم العاملون بقوله تعالى:

«وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» ١ . وهم:

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ٢ وهم أصحاب القلوب المطمئنه بالذّكر، كما قال الله تعالى:

«أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» ٣ .

بل، لقد كانت حياه قلوبهم بالذّكر، كما قال عليه السّلام:

بذّكرك عاش قلبي (١).

وَأُولَى الْأَمْرِ

إشاره

كأنّه إشاره إلى قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ٥ .

فعن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى هذه الآيه قال: الأئمّه من ولد على وفاطمه إلى أن تقوم السّاعه (٢).

ص: ٣٩٢

١-٤) مصباح المتهدجد: ٥٩١، مصباح الكفعمى: ٥٩٦. [١]

٢-٦) كمال الدين وتمام النعمه ١/٢٢٢. [٢]

وفى الاحتجاج أن أمير المؤمنين عليه السلام قال فى خطبه له:

إِنَّ اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ وَاخْتَارَ خَيْرَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَاصْطَفَى صَفْوَهُ مِنْ عِبَادِهِ، أَرْسَلَ رَسُولًا مِنْهُمْ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ وَشَرَعَ لَهُ دِينَهُ وَفَرَضَ فَرَائِضَهُ، فَكَانَتْ الْجُمْلَةُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ». فَهُوَ لَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِنَا، فَانْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَارْتَدَدْتُمْ وَنَقَضْتُمْ الْأَمْرَ وَنَكَسْتُمْ الْعَهْدَ وَلَمْ تَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، وَقَدْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِلَى أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ الْمُسْتَنْبِطِينَ لِلْعِلْمِ، فَأَقْرَرْتُمْ ثُمَّ جَحَدْتُمْ (١).

«أولوا الأمر» فى القرآن الأئمة المعصومون

ثم إن الآيه المباركه -وبقطع النظر عن الروايات- تدل على أنهم هم أولى الأمر دون غيرهم، وذلك لما فيها من الأمر بالطاعة المطلقة، وهى لا تجوز إلّا للمعصوم، ولا معصوم فى الإسلام غيرهم.

وقد اعترف الرازى بدلاله الآيه على عصمه أولى الأمر إذ قال ما نصه:

إعلم أن قوله «وَاطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ» يدل عندنا على أن إجماع الأمة حججه، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآيه، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه

ص: ٣٩٣

محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً .

لكنه جعل يلف ويدور، لعلمه بعدم عصمه غير الأئمة الطاهرين وهو يأبى الاعتراف بالحقيقه. . . فقال:

«ثم نقول: ذلك المعصوم، إما مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا- جائز أن يكون بعض الأمة؛ لأننا بينا أن الله تعالى أوجب طاعه أولى الأمر في هذه الآية قطعاً، وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفاده منهم، ونحن نعلم بالضروره أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفه الإمام المعصوم، عاجزون عن استفاده الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك، علمنا أن المعصوم الذى أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمة، ولا طائفه من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذى هو المراد بقوله «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» أهل الحلّ والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجه (1).

لكننا قد ذكرنا فى جوابه فى بحوثنا سقوط هذا الكلام بوجوه نلخصها هنا:

أولاً: لم تكن الأمة عاجزة عن معرفه الإمام «المعصوم الذى أمر الله المؤمنين بطاعته» بعد رسول الله ثم فى الأزمان اللاحقه إلى الإمام الحادى عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وثانياً: أنا فى زماننا هذا غير عاجزين عن معرفه الإمام المعصوم.

ص: ٣٩٤

وثالثاً: إن صحَّ الحديث: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» فالمعصوم كلُّ الأئمّه بالمعنى الحقيقي.

ورابعاً: من أهل الحلِّ والعقد؟ ومن يعينهم؟

وَبَقِيَ اللَّهُ

إشاره

وهذا إشاره إلى قوله عزَّ وجلَّ:

«بَقِيَتْ أَلَلَهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ١.

الأئمّه بقيه الله في الأئمّه

وقد ورد في النصوص أنّ الإمام أبا جعفر الباقر عليه السّلام قد وصف نفسه بـ «بقيه الله»، وذلك لما خاطب أهل مدين بأعلى صوته قائلاً:

يا أهل المدينه الظالم أهلها، أنا بقيه الله يقول الله «بَقِيَتْ أَلَلَهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» . . . (١).

ووصف الإمام الكاظم عليه السّلام ولده الرضا لما ناوله لأئمّه قال: خذيه فإنه بقيه الله في أرضه (٢).

وهو لقب الإمام المهدي عجل الله فرجه كما في الروايه، إذ سئل الإمام أبو عبدالله عليه السّلام عن كيفية السّلام على الإمام المهدي، قال:

ص: ٣٩٥

١- (٢) الكافي ١/١٧١ [١].

٢- (٣) عيون أخبار الرضا ١/٢٠، [٢] كشف الغمّه ٢/٢٩٧، بحار الأنوار ٢٤/٢١٢ [٣].

يقولون: السّلام عليك يا بقيه الله. ثم قرأ «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ. . .» ١.

ولذا ورد في الخبر أنّ أوّل ما ينطق به إذا ظهر هو الآية المباركة، ثم يقول:

أنا بقيه الله وحبّته وخليفته عليكم، فلا يسلم عليه مسلم إلّا قال: السّلام عليك يا بقيه الله في أرضه (١).

الأئمّه خير للأئمّه

نعم، إنّ محمّداً وآله الأطهار عليهم الصّلاه والسّلام خيرٌ للمؤمنين، فمن اهتدى بهداهم وتبعهم في أقوالهم وأفعالهم، هدى إلى الصّراط المستقيم، ومن خالفهم كان مصيره إلى الجحيم.

وأيضاً، فهم خيرٌ من غيرهم، لا يعادلهم ولا يساويهم بل لا يقاس بهم أحدٌ من العالمين.

وذلك، لأنّ الله لمّا خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، كان نبينا وآله الأطهار أوّل الخلائق أجمعين، فعرفوه وعبدوه، وبهم عرف وعبد، فكانوا في عالم الأنوار أعلاماً للهداية، وحتى الأنبياء كانوا يقتبسون من نور هدايتهم، والملائكة كانوا يتعلّمون منهم آداب الطّاعة والعبادة.

ثمّ لمّا أرسل الله محمّداً بالهدى ودين الحقّ رحمته للعالمين، فوعظ وذكر وبلغ وهدى، وأوذى في هذا السبيل بما لم يؤذ به نبيّ من الأنبياء قبله كما قال:

ما أوذى نبيّ بمثل ما أوذيت (٢).

ص: ٣٩٤

١-٢) كمال الدين: ٣٣١. [١]

٢-٣) مناقب آل أبي طالب ٣/٤٢، [٢] بحار الأنوار ١٩/٥٦، [٣] كنز العمال ١١/٤٦١ باختلاف يسير.

شاركه أمير المؤمنين عليه السّلام في رسالته ودعوته، وعاضده في جميع المواقف وذبّ عنه، ثم قام مقامه في حفظ الدين ونشر تعاليمه... وهكذا كان الأئمّه من بعده.

ولكنّ تحقّق الإرادة الإلهيّة وتنجزها سيكون على يد المهدي، وهو الإمام الثاني عشر من أئمّه أهل البيت الذي وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات بأنّ يستخلفهم في عهده إذ قال:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» ١.

وعلى الجملة، فإن الأئمّه الأطهار هم بقيّه الله من أوصياء الأنبياء، الذين أبقاهم على وجه الأرض وحكم أنّ تتحقّق على أيديهم الأغراض الإلهيّة التي لم تتحقّق من قبل، فإنه بواسطتهم ستتمّ الهدايه العامّه إلى الله على وجه الكمال.

الإمامه باقيه في عقب الحسين عليه السلام

هذا، ويجوز أنّ يكون «بقيّه الله» إشارة إلى قوله تعالى:

«وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ٢.

عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ»، قال: «هي الإمامه، جعلها الله عزّ وجلّ في عقب

الحُسَيْن عليه السَّلَام باقيه إلى يومِ القيامة» (١).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السَّلَام، في قول الله عزَّ وجلَّ: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ»، قال: «في عَقِبِ الحُسَيْن عليه السَّلَام، فلم يزل هذا الأمر منذ أفضى إلى الحسين ينتقل من ولد إلى ولد، لا يرجع إلى أخٍ ولا عمٍّ، ولم يتمَّ يعلم أحدٌ منهم إلَّوله ولد» (٢).

وعن المفضَّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السَّلَام: يابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ». قال: «يعنى بذلك الإمامه جعلها الله في عقب الحسين عليه السَّلَام إلى يوم القيامة» (٣).

فقلت: يابن رسول الله، أخبرني كيف صارت الإمامه في ولد الحسين دون ولد الحسن عليهما السَّلَام، وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنَّة؟ فقال: «يا مفضَّل، إنَّ موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان، فجعل الله النبوه في صلب هارون، ولم يكن لأحدٍ أن يقول: [لم فعل ذلك؟ وكذلك الإمامه، وهي خلافة الله عزَّ وجلَّ، وليس لأحد أن يقول: [لم جعلها في صلب الحسين ولم يجعلها في صلب الحسن، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ الحكيم في أفعاله، لا يُسئل عمَّا يفعل وهم يسئلون» (٤).

ص: ٣٩٨

١-١ (١) معانى الأخبار: ١٣١.

٢-٢ (٢) علل الشرائع ١/٢٠٧. [١]

٣-٣ (٣) الخصال ١/٣٠٤.

٤-٤ (٤) المصدر: ٣٠٥.

النبي وأهل بيته خيره خلق الله

قال في المصباح: الخيره-بفتح الياء-بمعنى الخيار، والخيار هو الاختيار (١).

فالنبي والأئمة من عترته خيره الله من خلقه، أي المصطفون المنتجبون . . .

وفي هذا المعنى أحاديث متواتره عند الفريقين كثيره، من ذلك قوله صلى الله عليه وآله:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَهُ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قَرِيشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ (٢).

وَ حِزْبِهِ

«الحزب» الطائفة من الناس، يجمعهم الرأي الواحد، والهدف الواحد.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر «حزب الله» و «حزب الشيطان» .

حزب الله في القرآن

أما الأول، ففي موضعين:

١- في سورة المائدة، قال تعالى:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

ص: ٣٩٩

١- ١) المصباح المنير: ١٨٥. [١]

٢- ٢) مسند أحمد ٤/١٠٧، [٢] صحيح مسلم ٧/٥٨، سنن الترمذي ٥/٢٤٤، سنن البيهقي ٦/٣٦٥.

وَهُمْ رَاكِعُونَ* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» ١.

٢- فى سورة المجادلة، قال تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ٢.

وقال تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ... إشتتخوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» ٣.

و «حزب الله» و «حزب الشيطان» متقابلان، فأولئك هم «الغالبون» وهؤلاء هم «الخاسرون» .

إن المعرف الأساسى ل «حزب الله» هو: كونهم «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» ، والمعرف الأصلى ل «حزب الشيطان» هو أنهم يتولون «قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» .

ويتبين هؤلاء الذين غضب الله عليهم من قوله تعالى:

«وَيَعْدِبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ

السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝١.

وعليه، فإن «حزب الشيطان» هم أعوان المشركين والمنافقين.

وأمّا «حزب الله» فهم أهل ولاية الله ورسوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، وقد ثبت أن هذه الآية نازله بشأن أمير المؤمنين عليه السلام بسبب تصدّقه على السائل في حال ركوعه في الصلاة (١).

فظهر المراد من «حزب الله» والمراد من «حزب الشيطان» المقابل لحزب الله.

وإلى هنا عرفنا مفهوم «الحزب» ومصداقه. . . في القرآن.

حزب الله في الروايات

وأما بالنظر إلى الروايات. . . فقد روى عن ابن عباس:

«وَمِنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ» يعنى يحب الله «وَرَسُولَهُ» يعنى محمّداً «وَالَّذِينَ آمَنُوا» يعنى ويحبّ على بن أبى طالب «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» يعنى شيعة الله وشيعة محمّد وشيعة على هم الغالبون؛ يعنى العالون على جميع العباد الظاهرون على المخالفين لهم.

قال ابن عباس: فبدأ الله فى هذه الآية بنفسه، ثمّ ثنى بمحمّد، ثمّ ثلث بعلى.

[ثمّ قال]: فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: رحم الله عليّاً اللهم أدر الحقّ معه حيث الدار.

ص: ٤٠١

قال ابن مؤمن: لا خلاف بين المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام (١).

وعنه: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال:

يا علي، شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير.

يا علي! شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير.

يا علي! أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا.

يا علي! إنّ شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب.

يا علي! أنا الشفيح لشيعتك غداً إذا قمت المقام المحمود، فبشرهم بذلك.

يا علي! شيعتك شيعه الله، وأنصارك أنصار الله، وأولياؤك أولياء الله وحزبك حزب الله.

يا علي! سعد من تولّاك، وشقي من عاداك.

يا علي! لك كنز في الجنّة، وأنت ذو قرنيها (٢).

وعن علي عليه السلام أنه صَلَّى الله عليه وآله قال له:

يا علي! بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم، عليكم بالصبر، فإنّ العاقبه

ص: ٤٠٢

١- (١) شواهد التنزيل ١/٢٤٦. [١]

٢- (٢) أمالي الصدوق: ٦٦ و ٦٧، بشاره المصطفى: ٤٢.

للمتقين، أنتم حزب الله، وأعداؤكم حزب الشيطان، طوبى لمن أطاعكم، وويل لمن عصاكم، أنتم حجّه الله على خلقه، والعروه الوثقى، من تمسك بها اهتدى، ومن تركها ضلّ. أسأل الله لكم الجنّه، لا يسبقكم أحد إلى طاعه الله، فأنتم أولى بها (١).

وعن على عليه السّلام أنه قال:

نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، حزبنا حزب الله، والفئه الباغيه حزب الشيطان، من ساوى بيننا وبين عدونا فليس منا (٢).

وَ عَيْبِهِ عَلَيْهِ

فى مجمع البحرين: العيبه-بالفتح-مستودع الثياب أو مستودع أفضل الثياب. وعيبه العلم على الاستعاره (٣).

فالأئمه عليهم السّلام مستودع علم الله.

لقد ذكرنا أنّ الأئمه عليهم السّلام ورثه علوم النبيين، وأنّ النبي صلّى الله عليه وآله قد أورثهم كلّ ما علّمه الله عزّ وجلّ وهم الأبواب لعلمه، وكلّ ما هو بيد الناس من العلوم الإسلاميه فهم المعلّمون والناشرون له، ومن أراد شيئاً من العلم فلا بدّ وأن يرجع إليهم ويأخذ منهم.

وقد يكون «عيبه علمه» إشاره إلى خصوص العلم الذى لم يظهر لغيرهم، فكانوا هم المستودع له.

ص: ٤٠٣

١-١) أمالى المفيد: ١٠٩ و ١١٠، بحار الأنوار ٢٣/١٤٢. [١]

٢-٢) فضائل الصحابه لأحمد بن حنبل ٢/٦٧٩، [٢] تاريخ مدينه دمشق ٤٢/٤٥٩، [٣] الصواعق المحرقة: ٣٥٤. [٤]

٣-٣) مجمع البحرين ٢/١٣٠. [٥]

وكيف كان، فإن هذه المنزلة تدلّ على شدّه ارتباطهم بالله وقربهم منه، وأنهم قد نالوا ما لم ينله أحد من العالمين.

وَحُجَّتِهِ

إشاره

«الحجّه» اسم من الاحتجاج.

إنّ الله يحتجّ على الخلائق بالأئمّه الطاهرين، فهو يحتجّ بهم، ويحتجّ بما بلغوه عن الله... .

بعث الرسول ونصب الإمام شرط صحّه المؤاخذه

إنّ الله عزّ وجلّ يقول:

«وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» ١.

أى: حتى نقيم الحجّه ونتمّها على الناس، لا برسول واحد، بل

«رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ٢.

فلا يقول أحد:

«رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» ٣.

بل لله الحجّه البالغه على الخلق أجمعين، كما قال:

«قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» ٤.

وقد ورد بذيّل هذه الآيه المباركه عن مسعده بن صدقه عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدِي أَكُنْتَ عَالِمًا؟

فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ.

قال له: أفلا عملت بما علمت؟

وإن قال: كنت جاهلاً.

قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟

فيخصمه وذلك الحجج البالغة (١).

ثم إن الأئمة عليهم السلام حجج لله ظاهره، والعقل حجج باطنه، كما في الروايه عن الإمام الكاظم عليه السلام:

يا هشام، إن لله على الناس حججيتين، حجه ظاهره وحجه باطنه. فأما الظاهره، فالرسل والأنبياء والأئمة. وأما الباطنه فالعقول (٢).

وقد قامت الأدله النقليه والبراهين العقليه على ضروره وجود الحججه على الأرض في كلّ زمان، وأنّ الأرض لا تخلو من حجه لله أبداً... ونكتفى بواحد من الروايات في الباب، وفيها الإشاره إلى البرهان العقلي، وهى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال للزندق الذى سأله:

من أين أثبتت الأنبياء والرسل؟

قال: إنا لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك

ص: ٤٠٥

١- ١) أمالى المفيد: ٢٢٨، بحار الأنوار: ٢/٢٩. [١]

٢- ٢) الكافي ١/١٦، [٢] وسائل الشيعة ١٥/٢٠٧، [٣] بحار الأنوار ١/١٣٧. [٤]

الصانع حكيمًا متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم.

فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين في الحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم مؤيّدون عند الحكيم العليم بالحكمه، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجه يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته (١).

الإمام المهدي حجه الله

وأما اعتراض بعض المتكلمين من العامّة على ذلك بغيبه الإمام الثاني عشر عليه السّلام، فقد أجاب عنه علماؤنا بالتفصيل. قال المحقّق النصير الطوسي:

وجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا.

فقال العلّامة الحلّي بشرحه:

أقول: هذه اعتراضات على دليل أصحابنا مع الإشارة إلى الجواب عنها:

الأول: قال المخالف: كون الإمامه قد اشتملت على وجه اللّطف لا يكفي في وجوبها على الله تعالى بخلاف المعرفة التي كفي وجه الوجوب فيه علينا لانتفاء المفسد في ظننا، أمّا في حقه تعالى فلا يكفي وجه الوجوب ما لم يعلم انتفاء المفسد ولا يكفي الظن بانتفائها، فلم لا يجوز اشتمال الإمامه على مفسده

ص: ٤٠٦

لا نعلمها فلا تكون واجبه على الله تعالى؟

الجواب: أنّ المفسد معلومه الانتفاء عن الامامه، لأنّ المفسد محصوره معلومه يجب علينا اجتنابها أجمع، وإنّما يجب علينا اجتنابها إذا علمناها لأنّ التكليف بغير المعلوم محال، وتلك الوجوه منتفيه عن الإمامه فيبقى وجه اللطف خالياً عن المفسده فيجب عليه تعالى، ولأنّ المفسده لو كانت لازمه للإمامه لم تنفك عنها، والتالى باطل قطعاً، ولقوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» وإن كانت مفارقة جاز انفكاكها عنها فيجب على تقدير الإنفكاك.

الثانى: قالوا: الإمامه أنّما تجب لو انحصر اللطف فيها، فلم لا يجوز أن يكون هناك لطف آخر يقوم مقام الإمامه فلا تتعين الإمامه للطفية فلا يجب على التعيين؟

والجواب: أنّ انحصار اللطف الذى ذكرناه فى الإمامه معلوم للعقلاء، ولهذا يلتجئ العقلاء فى كلّ زمان وكلّ صقع إلى نصب الرؤساء دفعاً للمفسد الناشئه من الاختلاف.

الثالث: قالوا: الإمام إنّما يكون لطفاً إذا كان متصرفاً بالأمر والنهى، وأنتم لا تقولون بذلك، فما تعتقدونه لطفاً لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطف.

والجواب: أنّ وجود الإمام نفسه لطف لوجوه، أحدها: أنّه يحفظ الشرائع ويحرسها عن الزيادة والنقصان. وثانيها: أنّ اعتقاد المكلفين لوجود الإمام وتجويز انفاذ حكمه عليهم فى كلّ وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم إلى الصّلاح، وهذا معلوم بالضروره. وثالثها: أنّ تصرفه لا شكّ أنّه لطف ولا يتم إلّا بوجوده فيكون وجوده نفسه لطفاً وتصرفه لطفاً آخر.

والتحقيق أن نقول: لطف الإمامه يتم بأمور:

منها: ما يجب على الله تعالى وهو خل الإمام وتمكينه بالقدره والعلم والنص عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى.

ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمّله للإمامه وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام.

ومنها: ما يجب على الرعيه وهو مساعدته والنصره له وقبول أوامره وامثال قوله، وهذا لم تفعله الرعيه، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام (١).

ثم إنّ ظاهر إطلاق «وحجته» كون الأئمه حججاً لله على جميع الخلائق.

وَصِرَاطُهُ

إشاره

قال الراغب: الصراط الطريق المستقيم (٢).

إنّ الأئمه عليهم السلام هم الطريق المستقيم، الوصل إلى الله، فلعلّ هذه الكلمه إشاره إلى قوله تعالى:

«وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ» ٣.

وكوننا مأمورين باتّباع الأئمه عليهم السلام واضح جدّاً، لأنهم لا يقولون إلّا ما قاله الله والرسول، وهم استمرار لطريق رسول الله الذي أمرنا باتّباعه، يقول أبو عبدالله الصادق عليه الصلاه والسلام:

ص: ٤٠٨

١- ١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٨٨.

٢- ٢) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٠. [١]

هو الطريق إلى معرفه الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصرراط في الآخرة، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه على الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم (١).

موجز الكلام على حديث أصحابي كالنجوم

إلا أنّ ما يدعو للاستغراب هو أن يدعى جماعه من أهل السنّه صدور حديث عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله جعلوه محوراً هاماً في اعتقاداتهم وأعطوه أهميّة بالغه، إذ يروون عنه أنه قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (٢).

ونحاول بدورنا تسليط الضوء بدراسه نقديّه مختصره لهذا المدعى، فنقول:

لا يخفى اهتداء الماضين بالنجوم عند قطعهم الطرق في الصحارى والبحار، وهذا الأمر أكّده القرآن الكريم بقوله تعالى:

«وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ٣.

فلو افترضنا صحه صدور الحديث عن نبينا محمّد صلّى الله عليه وآله، فيكون الصّحابه كلّهم حينئذٍ نجوماً دالّهم وهاديه إلى الطريق، فلنا أن نتساءل: هل قصد النبي صلّى الله عليه وآله جميع النجوم، ليصبح جميع الصحابه أدلّاء يُقتدى بهم؟

إن واقع الحال لا- يَقَرُّ بكون جميع النجوم كعلامات، بل هناك نجوم خاصّه يتم الإهتداء بها. فكيف سيصبح والحال هذه كلّ صحابي نجماً هادياً، وطرقهم

ص: ٤٠٩

١- ١) معانى الأخبار: ٣٢.

٢- ٢) ميزان الاعتدال ١/٨٣.

ومساراتهم لا تنتهى إلى غايه واحده وهدف مشترك؟

وعلى ضوء التناقضات الموجوده فى سلوكيات الصحابه، والخلافات والتقاطعات الثابته بينهم، فإننا نقطع بأحد أمرين: إما أن يكون الحديث مختلفاً وكذباً من الأساس، أو أن المراد بالصحابه هم الأئمه المعصومون عليهم السلام.

ومما يعضد كلامنا باختلاق الحديث هو الاستقراء الحاصل لآراء علماء السنّه تجاه هذا الحديث منذ زمن أحمد بن حنبل، فإن أكثر من ثلاثين علماً من أعلامهم يصرّحون بكذب هذا الحديث أو ضعفه، فإذا انتفى هذا الأمر، فما علينا إلا أن ندعن للأمر الثانى الذى يعطى الحديث معنى مقصوداً، ألا وهم الأئمه الإثنا عشر عليهم السلام، الذين لا يهدون إلّا إلى طريق واحد، كما حكى ذلك إمامنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بقوله: «حديثى أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ (١)».

من خلال هذا الحديث يثبت بالبرهان المعنى المقصود من حديث أصحابى كالنجوم. لأن العلامات متعدده إلّا أن الهدف واحد.

فالأئمه الطاهرون عليهم السلام هم صراط الله تعالى، لرجوع كلّ ما يصدر عنهم إلى مصدر واحد، فلا إثنين ولا تعدديه فى الأهداف، فصراطهم واحد وغايته واحده وهو الله جلّ جلاله. وهو ما نطلبه ونرجوه فى صلواتنا إذ نقول:

«اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» ٢

ص: ٤١٠

(١ - ١) الكافي ١/٥٣، [١] الارشاد ٢/١٨٦، [٢] بحار الأنوار ٢/١٧٩. [٣]

وجاء في بعض الروايات تفسير ذلك بأمر المؤمنين عليه السلام كما أورده الخوارزمي في المناقب بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

أوحى الله تعالى إلى نبيه: «فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». فقال: إلهي، ما الصراط المستقيم؟

قال: ولايه على بن أبي طالب، فعلى هو الصراط المستقيم. (١) ولا يعترى أي مسلم شك في أن أتباع أمير المؤمنين عليه السلام بالمفهوم الصحيح، يوجب السعادة في الدنيا و النجاه والفوز في الآخرة، وما ذلك إلا ليقينه بأن الإمام علياً عليه السلام هو الصراط المستقيم بعينه.

فإذا ما خيّر العاقل بين سلوك طريق يوصله إلى الهدف والغاية قطعاً و يقيناً، وبين سلوك طريق آخر مشكوك في نهايته وبلوغه غايته المطلوبه، فكيف لا يختار الطريق الأول، وقد قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله:

«علي مع الحق والحق مع علي لا يفترقان» (٢).

و «علي مع القرآن والقرآن مع علي» (٣).

ص: ٤١١

-
- ١- ١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ١٠٢، مناقب الخوارزمي: ٦٢، شواهد التنزيل ١/٧٦، تفسير الثعلبي ١/١٢٠.
- ٢- ٢) نقل هذا الحديث في المصادر السنية والشيعيه منها: الخصال: ٤٩٦، الأمالي للصدوق: ١٥٠، كفايه الأثر: ٢٠٠، الاحتجاج ١/٩٧، [١] بحار الأنوار ١٠/٤٣٢، شرح الأخبار ٢/٦٠، الفصول المختاره: ٩٧ و ١٣٥، مجمع الزوائد ٧/٢٣٥، تاريخ بغداد ١٤/٣٢٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٤٤٩، ينابيع الموده ١/١٧٣، المعيار والموازنه: ١١٩، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢/٢٩٧.
- ٣- ٣) كذلك جاء هذا الحديث في المصادر المعتمده للفريقين منها: امالي الشيخ الطوسي: ٤٦٠، [٣] الطرائف: ١٠٣، [٤] الأربعون حديثاً: ٧٣، الصراط المستقيم ٣/١٦٣، [٥] بحار الأنوار ٢٢/٤٧٦، [٦] المستدرک على الصحيحين ٢/١٢٤، مجمع الزوائد ٩/١٣٤، المعجم الاوسط ٥/١٣٥، المعجم الصغير ١/٢٥٥، كنز العمال ١١/٦٠٣، فيض القدير ٤/٤٧٠، المناقب للخوارزمي: ١٧٧، الجامع الصغير ٢/١٧٧، سبل الهدى والرشاد ١١/٢٩٧، [٧] ينابيع الموده ١/١٢٤.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«من أطاع علياً فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله» (١).

وهل ينطق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نقيض ما يأمر به الله؟ فالبارى يقول في محكم كتابه:

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ٢.

فعلى هذا الأساس الرصين، أوصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُمَّتَهُ بقوله:

إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا. (٢) فالقرآن والعتره متلازمان ولن ينفك أحدهما عن الآخر البتة، وكلام القرآن وكلام العتره، وكلام القرآن وكلام العتره كلام القرآن، لذلك قال: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وإنى سائلكم عنهما».

ص: ٤١٢

١-١) راجع: معانى الأخبار: ٣٧٣، بحار الأنوار ٣٨/١٣٩، [١] المستدرک على الصحيحين ٣/١٢١، كنز العمال ١١/٦١٤.
٢-٣) نقلت مصادر العامه والخاصه هذا الحديث بألفاظ مختلفه منها: بصائر الدرجات: ٤٣٣، [٢] كمال الدين: ٢٣٦ و ٢٣٨، [٣] العمده: ٧١، الطرائف: ١١٤ و ١١٦، [٤] كفايه الأثر: ١٣٧، [٥] وسائل الشيعه: ١٨ و ١٩، [٦] بحار الأنوار ٣٦/٣٣١، [٧] فضائل الصحابه: ١٥، [٨] مسند أحمد بن حنبل ٣/٢٦، [٩] المستدرک على الصحيحين ٣/١٠٩، مجمع الزوائد ٩/١٦٣، مسند أبى يعلى ٢/٢٩٧، سبل الهدى والرشاد ١١/٦، [١٠] السنن الكبرى ٥/٤٥، [١١] البدايه والنهايه ٥/٢٢٨، ينابيع المودّه ١/١٠٥ و ١١٥، [١٢] كنز العمال ١/١٨٦.

ولماذا خصّص الحوض موعداً للقاء؟

لأن الواقف عليه والمتولّى لأمره والسّياقى منه هو على بن أبى طالب عليه السّلام، إذ قال صلّى الله عليه وآله بلا- خفاء وبلا غموض وبوضوح الرساله:

«يا على، أنت أخى ووزيرى وصاحب لوائى فى الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضى، ومن أحبّيك أحبّنى ومن أبغضك أبغضنى». (1) هذا، ناهيك بتشبيهه النبى صلّى الله عليه وآله الأئمّه المعصومين عليهم السّلام بسفينه نوح عليه السّلام، للفت الأذهان إلى النكات الخفيه التى دارت عليها قصّه النبى نوح عليه السّلام، وتدعو الإنسان للتدبّر فى الأسباب التى أدّت إلى افتراق ابنه عنه ليكون من الهالكين، ولم تغنه شفاعه أبيه النبى عند الله تعالى لانتشاله من الورطه التى أحاطت به، فحال بينهما الماء وكان من المغرقين، وعلى أثر ذلك جاء العتاب الإلهى:

«قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» ٢.

وبناءً على هذه القاطعيه، لم ينج أحد من الغرق إلّا الذى سبق إلى ركوب السفينه، وخاب الآخرون إلى الهلاك، حتى ولو كان ابناً للنبى.

استدلال المحقّق الطوسى

ينقل العلامه الحلّى رحمه الله طريقه فى هذا المجال عن الخواجه نصير الدين الطوسى رحمه الله، حينما سأله عن المذهب الحق فى الإسلام، فردّ الخواجه رحمه الله مستدلاً بقول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله المتفق عليه:

ص: ٤١٣

(١- ١) أمالى الصدوق: ١١٦، [١] عيون أخبار الرضا ٢/٢٦٤، [٢] بحار الأنوار ٣٩/٢١١. [٣]

«ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقه، فرقه منها ناجيه والباقي في النار» .

ويقوله الآخر المتفق عليه كذلك:

«مثل أهل بيتي كمثل سفينه نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك» .

فالنتيجة، أن النبي صلى الله عليه وآله قد عيّن الفرقة الناجيه والمذهب الفائز في القيامة بشكل لا لبس فيه.

فهل يمكن القول-والحال هذه- أن سلوك طريق غير أهل البيت من الصيحه من الهلاك، وضامن لرضا البارئ تعالى ودخول الجنة كما هو اتباع الإمام على وانتهاج طريقه على حدّ سواء؟

ومن يجرو أن يجزم أن مذهب الشيخين أو مذهب أبي موسى الأشعري أو مذهب طلحه و الزبير و عائشه و معاويه و . . . كلها مذاهب صحيحه تعطى نفس النتيجة التي يعطيها مذهب الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام، وتنجي من الهلكه وسوء العاقبه؟ إن من لم يعرف الصراط في هذه الدنيا فلن يجوزه في الآخرة وهو من المغرقين الهالكين. وهذا ما رواه المفضل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

كما وردت روايات أخرى تعطى نفس النتيجة نقلتها مصادر السنه ففي حديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إذا كان يوم القيامة، أمرني الله عزّ وجلّ وجبرئيل فنقف على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلا بجواز من على عليه السلام» (١).

ص: ٤١٤

(١-١) بشاره المصطفى: ٣١١.

وروى الشيخ الجليل ابن البطريق عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْلُهُ: «عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى الْحَوْضِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِجِوَارِزٍ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» (١).

وَنُورِهِ

«النور» مَا يُضِيءُ بِذَاتِهِ، فَهَمَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نُورَ الْإِلَهِ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي تَجَلَّى فَبَدَّدَ ظِلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ وَالضَّلَالَةَ وَالْاِخْتِلَافَ فِي كُلِّ الْأَزْمَنِهِ وَالْمَجَالَاتِ، وَلِكُلِّ الْعَوَالِمِ وَالْأُمَّمِ.

روى أبو خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل:

«فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» ٢.

فقال: يا أبا خالد، النور-والله-الأئمة من آل محمد عليهم السلام إلى يوم القيامة، وهم-والله-نور الله الذي أنزل، وهم-والله-نور الله في السماوات وفي الأرض.

والله يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم-والله-ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم.

والله-يا أبا خالد-لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله

ص: ٤١٥

قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا، وإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فرع يوم القيامة الأكبر (١).

وَبُرْهَانِهِ

قال الراغب:

«البرهان أوكد الأدلّه، وهو الذى يقتضى الصدق أبداً لا محاله». (٢) ما أدقّه من تعريف كما هو معهود عن الراغب بدقته فى فهم ألفاظ القرآن والحديث.

فتعبيره «أوكد» من أفعال التفضيل، وكذلك «الصدق» و «أبداً» و «لا محاله» يفهم منها أن وجود الأئمة عليهم السلام بكلامهم وفعالهم وحركاتهم وسكناتهم صدق محض متأبد لا يطرأ عليه تغيير ولا يعتريه تبديل البتة.

وهو ما فاح عن سيرتهم الذاتيه الشريفه، فليراجعها من أراد الاستزاده ولينظر إلى ما قاله أعداؤهم فيهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٤١٦

[١-١] الكافي ١/١٩٤. [١]

[٢-٢] المفردات فى غريب القرآن: ٤٥. [٢]

المحتويات

كلمه المركز***٥

كلمه المؤلف***٧

المدخل

معنى الزياره لغه وعرفاً***١١

الأئمه أحياء***١٣

زياره الأنبياء والأئمه زياره الله جلّ جلاله***١٥

شبهه واهيه***١٥

ما هو الغرض من الزياره؟***١٧

لماذا كلّ هذا التأكيد على الزيارات؟***١٨

معرفة الأئمه روائياً***٢٠

مقام الصالحين***٢٢

الخلاصه***٢٣

آداب الزياره فى مدرسه أهل البيت***٢٤

أبرز الزيارات المنقوله***٢٥

الزياره الجامعه***٢٧

ص:٤١٧

الزِّيَارَة الجامِعَة الكُبيرة

سند الزياره الجامعه*** ٣٨

المشايخ الأربعة*** ٣٩

حكم الصدوق بصره أخبار كتابه*** ٣٩

«الصحیح» فی الاصطلاح*** ٤٠

ترضی الصدوق علی مشايخه*** ٤١

لا جرح للمشايخ الأربعة*** ٤٣

تعدّد الرواه یوجب الوثوق*** ٤٣

استفاده الوثاقه من الترجم*** ٤٤

بعض الروایات المرویه عنهم*** ٤٥

أبو الحسين الأسدی*** ٥١

محمّد بن إسماعیل البرمکی*** ٥٣

موسی النخعی*** ٥٣

إستشهاد العلماء بالزياره الجامعه*** ٥٩

شروح الزياره الجامعه*** ٦٣

الزياره الجامعه غتيه عن السند*** ٦٤

الزياره الجامعه فی كلمات الأکابر*** ٦٦

محصل هذه الكلمات*** ٦٩

لا غلُو ولا تقصير

ما هم الغلو؟ ***٧٣

الغلو كما جاء فى الروايات ***٧٤

الإعتدال بين الغلو والتقصير ***٧٥

كلام الشيخ المجلسى فى الغلو ***٧٨

المعرفه الحقيقه ***٨٢

الخاتمه فى محاور الزياره الجامعه ***٨٣

القسم الأول

السَّلام على الأئمّه عن علمٍ ومعرفة

السَّلامَ عَلَيْكُمْ ***٨٩

ما هو السَّلام؟ ***٩٠

يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ***٩١

المقصود من «أهل البيت» ***٩٢

لماذا أهل بيت النبوه؟ ***٩٤

استقرار وظائف النبوه فى أهل البيت ***٩٤

نبوه الأنبياء السابقين ببركه أهل البيت ***٩٧

مشاركه أهل البيت فى رساله النبى الأكرم ***١٠٢

نبوه نبينا أول النبوات ***١٠٥

تقدمه فى الخلق وهو نبى الأنبياء ***١٠٩

كون الإمام على معه هناك ***١١٤

وَمَوْضِعَ الرَّسَالِ *** ١١٦

وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ *** ١١٧

نزول الملك إلى الزهراء الطاهرة *** ١١٧

نزول الملائكة إلى الأئمة *** ١١٨

نزول الملائكة إلى قبور النبي والأئمة *** ١١٨

نزولها في ليله القدر *** ١١٩

من روايات عرض الأعمال عليهم *** ١٢٢

قصه نادره *** ١٢٤

وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ *** ١٢٥

«الوحي» لغه *** ١٢٥

نزول الملائكة بالمعارف الإلهية *** ١٢٧

الأئمة محدثون *** ١٢٧

وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ *** ١٢٨

«المعدن» لغه *** ١٢٨

الرحمة الإلهية *** ١٣٠

آيات في الرحمة الإلهية *** ١٣١

دور الأئمة في الرحمة الإلهية *** ١٣٢

وَحُزَانَ الْعِلْمِ *** ١٣٢

شأن العلم في الإسلام *** ١٣٣

الأئمة خزان علم الله *** ١٣٤

خزان علم الرسول***١٣٥

ص: ٤٢٠

خزان علم الكتاب*** ١٣٦

خزان علم الغيب*** ١٣٩

إمامتهم وسيرتهم*** ١٤٠

قبح تقدم المفضول*** ١٤١

وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ*** ١٤٢

الفرق بين الحلم والصبر*** ١٤٢

المراد من «المنتهى»*** ١٤٣

إشاره إلى حلم النبي*** ١٤٤

إشاره إلى حلم الأئمة*** ١٤٥

روايات في الحلم*** ١٤٦

وَأَصُولَ الْكَرَمِ*** ١٤٧

«الأصل» لغيره*** ١٤٧

«الكرم» لغيره*** ١٤٨

وَقَادَةَ الْأُمَمِ*** ١٤٩

الأمم لغيره*** ١٤٩

النبي والأئمة قادة الأنبياء*** ١٥٠

قاده الملائكة إلى العباده*** ١٥١

هم القاده في الآخرة إلى الجنة*** ١٥٢

رجوع الحكام إليهم في المعضلات*** ١٥٣

وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ*** ١٥٤

أقسام النعمه***١٥٤

ص:٤٢١

وجود النبي والأئمة نعمه*** ١٥٦

ولايتهم نعمه*** ١٥٧

كلّ النعم بواسطتهم*** ١٥٨

وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ*** ١٦٠

«العنصر» و «البرّ» لغه*** ١٦٠

وجود الأئمة والأبرار من حقيقه واحده*** ١٦١

النبي الأكرم والإمام على من نور واحد في روايات العامه*** ١٦٣

في رواياتنا*** ١٦٤

خلقه شيعتهم من طينتهم*** ١٦٦

الفرق بين «الشيعة» و «المحبّ» بحسب الروايات*** ١٦٨

الأئمة هم الأصل في بزّ الأبرار*** ١٧٦

وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ*** ١٧٧

«الخير» مفهوماً ومصداقاً*** ١٧٨

على رأس كلّ خير: المعرفة والطّاعه*** ١٧٩

معرفة الله وطاعته بالأئمة*** ١٨٠

وَسَاسَةَ الْعِبَادِ*** ١٨٣

«السياسه» لغه*** ١٨٣

المراد من «العباد»*** ١٨٤

الأئمة ساسه البشر والملائكه*** ١٨٧

حق السائس بالتربيه والعلم*** ١٨٩

حق السائس بالملك*** ١٩٠

سياسه الأئمه ستتجلى في عصر الظهور*** ١٩٠

وَ أَرْكَانَ الْبِلَادِ*** ١٩٢

«الركن» لعه*** ١٩٢

«البلد» لعه*** ١٩٣

نكته قرآنيه*** ١٩٣

وهنا مسائل*** ١٩٤

الأئمه أوتاد الأرض*** ١٩٤

هم العله لخلق الناس وبقائهم*** ١٩٥

هم الأركان في الهدايه والتزكيه والتعليم والمغفره*** ١٩٧

أثر وجودهم للجنّ والحيوانات*** ١٩٩

وَ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ*** ٢٠١

«الإيمان» لعه*** ٢٠٢

روايه في الإيمان*** ٢٠٣

«الإيمان» هو «الدين»*** ٢٠٥

الأبعاد الثلاثة لشخصيته الإنسان الكامل*** ٢٠٧

علّي باب الدين*** ٢٠٨

على باب حطه*** ٢٠٨

باب السلم*** ٢٠٩

على باب الفقه*** ٢١٠

علی باب الجنه***۲۱۰

ص:۴۲۳

على باب مدينه العلم ٢١١

على باب الحكمه ٢١١

على باب النبى ٢١١

على باب الله ٢١٢

على الباب المبتلى به الناس ٢١٣

وَ أَمْنَاءُ الرَّحْمَنِ ٢١٣

«الأمانه» لغه ٢١٣

الغرض من جعل الأمانه ٢١٤

إضافه «الأمانه» إلى «الرحمن» ٢١٥

ما هو الملاك لهذا الائتمان ٢١٥

إشاره إلى ما ورد فى حفظ الأمانه وأدائها ٢١٧

وَ سُلَالَةَ النَّبِيِّينَ ٢١٨

لا يتوهم أفضلية النبيين من الأئمه ٢١٩

وَ صَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ ٢٢١

حديث فى أنهم «الصفوه» ٢٢٢

وَ عِترَةَ خَيْرِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢٢٢

«العتره» لغه ٢٢٢

من الأحاديث فى أن النبى وآله خيره رب العالمين ٢٢٤

ليس «العتره» مطلق الأقارب ٢٢٤

وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ٢٢٨

السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى ٢٣١

الهدايه من الله ٢٣١

الرسول هاد ٢٣٢

القرآن هاد ٢٣٢

أئمه أهل البيت هداه ٢٣٢

هدايه النبي وهدايه الإمام ٢٣٣

إشاره إلى قوله تعالى «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ. . .» ٢٣٦

وَمَصَابِيحِ الدُّجَى ٢٣٧

الأئمة مصابيح الظلمات: ظلمه العدم ٢٣٨

ظلمه الشرك ٢٣٨

ظلمه الجهل ٢٣٩

ظلمه الفتنة ٢٣٩

ظلمه الذنوب ٢٤١

وَأَعْلَامِ التَّقَى ٢٤٣

«العلم» لغه ٢٤٣

«التقى» لغه ٢٤٤

الأئمة أعلام التقى بذواتهم وإرشاداتهم ٢٤٤

هم أعلام لكافة الناس ٢٤٥

وَذَوِي النَّهْيِ ٢٤٧

«النهي» لغه ٢٤٧

روايات في أنهم أولى النهى ٢٤٧

ص: ٤٢٥

وَ أَوْلَى الْحِجَى ٢٤٨

وَ كَهْفِ الْوَرَى ٢٤٩

«الكهف» لغه ٢٤٩

عموم «الورى» ٢٤٩

كهف الملائكه ٢٥٢

علم الأئمه بلغات الحيوانات وحالاتها ٢٥٣

قبورهم أيضاً «كهف الورى» ٢٥٤

«كهف الورى» فى المشكلات العلميه ٢٥٥

وَ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ٢٥٦

الإرث فى اللغه ٢٥٦

الإرث فى الفقه ٢٥٧

الإرث فى القرآن ٢٥٨

موايرث الأنبياء وعموم الإرث ٢٥٩

إنفاق الأنبياء والأئمه ما يملكون فى سبيل الله ٢٦٣

وَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى ٢٦٥

«المثل» لغه ٢٦٥

الأئمه مثل العلى الأعلى ٢٦٦

وَ الدَّعْوَةِ الْحُسْنَى ٢٦٨

الأئمه «دعوه» ٢٦٩

الأئمه «دعاه» ٢٧٠

معنى «الحسنى» ٢٧١

ص: ٤٢٦

وَحُجِّجَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٢٧١

وجه الحاجه إلى إقامه الحجه ٢٧١

مقتضى القاعده نصب الحجه ثم الاحتجاج به ٢٧٣

أَمَّا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ٢٧٤

أَمَّا عَلَى أَهْلِ الْأُولَى ٢٧٧

وَأَمَّا عَلَى أَهْلِ الْآخِرَةِ ٢٧٨

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ٢٧٨

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ٢٨١

من عرفهم فقد عرف الله ٢٨٢

وَمَسَاكِينِ بَرَكَهِ اللَّهِ ٢٨٥

«البركه» لغه ٢٨٥

وَمَعَادِنِ حُكْمِهِ اللَّهِ ٢٨٧

«المعدن» لغه ٢٨٧

«الحكمه» لغه ٢٨٨

الحقائق المحكمه عند الأئمه ٢٨٩

الحكمه من الله ٢٩٠

الحكمه فى الروايات ٢٩١

وَحَفَظَهُ سِرًّا لِلَّهِ ٢٩٢

ما ستره الله عن العباد محفوظ عند الأئمه ٢٩٢

أسروا ببعضها لآحاد من أصحابهم ٢٩٤

وَ حَمَلَهُ كِتَابَ اللَّهِ ٢٩٦

«الحمل» لغه ٢٩٦

المراد من «كتاب الله» ٢٩٧

حقائق القرآن عند الأئمة ٢٩٨

وَ أَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ ٣٠٠

«الوصي» لغه وشرعاً ٣٠٠

الوصايه عن النبي هي الإمامه من بعده ٣٠١

الإمامه لا تنال الظالمين ٣٠٥

الأئمة أوصياء الرسول ٣٠٦

الوصي لقب أمير المؤمنين عليه السلام ٣١٠

حديث الثقلين وصيه النبي ٣١١

التصريح بالوصيه في حديث الدار ٣١٣

من أحاديث الوصيه ٣١٥

وَ ذُرِّيَّهِ رَسُولِ اللَّهِ ٣١٦

«الذريه» لغه ٣١٦

الأئمة أولاد رسول الله وذريته ٣١٨

الإمام الكاظم وهارون ٣٢٠

إبء النواصب عن قبول الحقيقه ٣٢٢

قضيه الحجاج مع يحيى بن يعمر ٣٢٣

إضافه «الذريه» إلى «رسول الله» ٣٢٥

وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ٣٢٥

ص: ٤٢٨

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ ٣٢٩

الأئمة هم الدعاه إلى الله ٣٣٠

من قضايا الأئمة في سبيل الدعوه إلى الله ٣٣١

أساليب الأئمة في دعوه الناس ٣٣٦

كتاب الحجاج إلى علماء عصره في القضاء والقدر ٣٣٧

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى مَرَضَاتِ اللَّهِ ٣٣٨

«الدليل» لغة ٣٣٨

آيات في «مرضات الله» ٣٣٩

مبيت أمير المؤمنين ابتغاء مرضات الله ٣٤١

الفرق بين «الداعى» و «الهادى» و «الدليل» ٣٤٤

الأئمة أدلاء في كل الأحوال ٣٤٤

وَالْمُسْتَقَرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ٣٤٦

«الإستقرار» لغة ٣٤٦

ما المقصود «بأمر الله»؟ ٣٤٧

وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ ٣٤٩

«التمام» لغة ٣٤٩

«المحبة» لغة ٣٤٩

محبة الأئمة لله غير معلله ٣٥٠

يشترط تصديق المحبوب ٣٥١

حديث الزايه وحب الله علينا ٣٥٢

السّرّ في إضافه «المحبه» إلى لفظ «الجلاله» ٣٥٥

ص: ٤٢٩

وَ الْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ ٣٥٥

الإخلاص في العبادة ٣٥٦

الإخلاص في التوحيد ٣٥٧

وَ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ ٣٥٨

طرق إظهارهم أحكام الله ٣٥٨

طرق أخذهم الأحكام ٣٦٠

تفويض الأحكام إلى النبي والأئمة عليهم السلام ٣٦٢

من كلمات أعلام الطائفة ٣٦٨

وَ عِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ٣٧٢

«العباد» لغة ٣٧٢

١- عصمه الأئمة عليهم السلام ٣٧٤

٢- علم الأئمة عليهم السلام ٣٧٥

٣- عمل الأئمة وسلوكهم الإلهي ٣٧٥

٤- شفاعه الأئمة عليهم السلام ٣٧٦

وَ رَحْمَهُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ٣٧٨

السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ ٣٨١

وَ الْقَادَةَ الْهُدَاهِ ٣٨٢

المحتاج إلى الهادي لا يكون هادياً ٣٨٣

وَ السَّادَةَ الْوُلَاةِ ٣٨٤

إشارة إلى الولاية التشريعية ٣٨٤

وَ الذَّادَةُ الْحَمَاءُ ٣٨٦

حفظ الدين وأهله ٣٨٧

وَ أَهْلُ الذِّكْرِ ٣٨٨

«الذكر» إما القرآن وإما النبي والأئمة أهله ٣٨٩

ولعله مطلق «الذكر» ٣٩١

وَ أَوْلَى الْأَمْرِ ٣٩٢

«أولوا الأمر» فى القرآن الأئمة المعصومون ٣٩٣

وَ بَقِيَّةِ اللَّهِ ٣٩٥

الأئمة بقيه الله فى الأئمة ٣٩٥

الأئمة خيرٌ للأئمة ٣٩٦

الإمامه باقيه فى عقب الحسين عليه السلام ٣٩٧

وَ خَيْرَتَهُ ٣٩٩

النبي وأهل بيته خيره خلق الله ٣٩٩

وَ حِزْبِهِ ٣٩٩

حزب الله فى القرآن ٣٩٩

حزب الله فى الروايات ٤٠١

وَ عَيْنِهِ عِلْمِهِ ٤٠٣

وَ حُجَّتِهِ ٤٠٤

بعث الرسول ونصب الإمام شرط صحه المؤاخذه ٤٠٤

الإمام المهدي حججه الله ٤٠٦

وَ صِرَاطِهِ ٤٠٨

موجز الكلام على حديث أصحابي كالنجوم ٤٠٩

ولايه على الصراط المستقيم ٤١١

استدلال المحقق الطوسي ٤١٣

و نُورِهِ ٤١٥

و بُرْهَانِهِ ٤١٦

و رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ ٤١٦

المحتويات ٤١٧

ص: ٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

